

الحسين عليه السلام

من خصال آل البيت الكريم

الكنز عبد الرسول الفجار

جزء الأول

دار الكتب والادب
دار الخزانة البيضاء

2013001
Bibliotheca Alexandrina

الحسين عليه السلام
من خلائق القران الكريم



الحسين عليه السلام

مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الدكتور عبد الرسول الفغار

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الكريم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

دار ومكتبة الرسول الكريم

طباعة - نشر - توزيع

تتم مراسلة المؤلف على العنوان التالي

بيروت - لبنان ص - ب ١١/٨٦٠١ فاكس: ٦٠١٠٠٥ - ١ - ٠٠٩٦١



الإهداء

إلى الأرواح الطاهرة الزكية . . والنفوس الأبية . .
إلى الدماء التي سقت وجه البسيط من رمضاء كربلاء . . .
إلى القربان المضرج . . .
إلى الخدّ التريب ، والجسم السليب . . .
إلى محزوز الرأس من القفصا . . .
إلى العاري الملقى على الثرى . . .
إلى مرضوض البدن . . .
إلى من غيّرت معالمه الشمس والمحن . . .
إليك يا سيّد الأحرار وإلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك
سيّدي أنا لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً ولا أدخر لها سوى حبكم أهل
البيت ، وإن هذا الحب قد أيقظه نداءك يوم عاشوراء «ألا من ناصر
ينصرنا . . .» .
إن صرختك سيّدي مدوّية في الأجيال . . . في النفوس . . . في الضمائر
فإن لم يستجب لك بدني ودمي فها قد جئتكَ - ببضاعة مزجاة - استنصاراً
لصرختك وتلبية لندائك . . . فأستميحك عذراً إن شطّ بي القلم ، أو أسئت
الأدب . . . وأرجو أن أكون قد وقّيت ولو بالنزر القليل ، وإن كان لي فيه
نصيبٌ من الثواب اللهم فاجعله لي ذخراً أنال به شفاعة ابن بنت نبيك ، ورحمة
منك لي ولأبوي ، إنك جوادٌ كريم ، وإحسانك قديم .

شكر وتقدير

لا يخفى على القارئ الكريم ان هذا الجزء من الكتاب -
منذ عشر سنوات - كان ينتظر نور الطباعة، غير ان الظروف
المحيطة بي ولإسباب عديدة تأخر عن الاخراج.
واليوم بفضل سليل العترة الطاهرة من الشجرة الطيبة
سماحة العلامة المجاهد السيد الغريفي ناصر أهل البيت قد
نهض بأعباء طباعة هذا الكتاب ليكون له ذخراً في دنياه
وآخرته.
دامت أفاضاته وحرسه الله من كيد حاسديه انه سميع
مجيب.

تقریض سماحة الأديب الاستاذ الشيخ جعفر الهلالي..... ٩٠

قرض الكتاب: سماحة الأديب الاستاذ الشيخ جعفر الهلالي:

لك عبد الرسول خير وسام
قد نصرت الحسين والنصر بالسَّيِّ
فلقد ضلّت تكشف الزيف عمّا
رحت تجلو حقيقة حيث وافنا
(فبأي الكتاب) رحّت ثرينا
وبحقّ ما كان أمراً غريباً
فهو عدل الكتاب وافى به الله
صامت ذاك، وهو قرآنه النا
وحماه بما تحسّد فيه
قدّم الأهل والأحبة قُرباً
خساً المدّعون: مات حسين
كلّ أن يعلو لذكره صوت
هو ذاك الحسين، أين يزيد؟
فهنيئاً (عبد الرسول) كسبت الفض
وستلقى الحسين وهو سيجزيك
ولقد حُزّتها به (صالحات

سوف يبقى فخراً مدى الأعوام
فب وطوراً يكون بالأقلام
قاله الأدعياء أهل الخصام
كمنازل الضحى بوجه الظلام
مالسبط الرسول من إعظام
لحسين سليل خير إمام
مدى الدهر معجزاً للأنام
طق في مسلك وحسن التزام
يوم حرب الطفوف من إقدام
ناً لتحين شريعة الإسلام
فهو حيّ رغم العلوج الطغام
من صدهاء يهتزّ عرش اللئام
حين ولّى بلعنة الأيام
ل من خالق الورى العلام
ويحبوك بالرضا والسلام
باقيات) دوماً مدى الأعوام

جعفر الهلالي

قم المقدسة / ١٤١٠ هـ ق

تقريض الأديب الشيخ سعيد المنصوري..... ١١

وقرض الكتاب فضيلة الأديب شاعر أهل البيت الشيخ محمد سعيد المنصوري :

(أبو الزَّهراءِ) جاء بخير سِفَرٍ
واسماء (الحسين) ودون شكٍّ
وفي الدُّنيا ينال به افتخاراً
بآياتِ آتانا محكماتٍ
وأهل (الاختصاص) به أقرؤا
فلا تعجب إذا ما (السيط) يحظى
لهم جاء (الكتاب) وجاء فيه
وما لم تدرك الأفهام منه
ومن جهلاً يُسَفِّه ما ذكرنا
أَيُنْكِرُ ما تَوَالى النَّصُّ فيه
وهل تُخْفِي ضياءَ الشَّمسِ كُفٌّ
أبا الزَّهراءِ يا قَلَمًا وعِلْمًا
كسبت بما كتبت عُلًّا وفضلاً
غَدًا يومَ الجزاءِ إليك مِمَّنْ
بفضلٍ منه في التاريخ «لقيا

يسير الحَقُّ باباً بَعْدَ بابٍ
له فيه غَدًا (حسن المآب)
وفضلاً ضَمِنَ إِذْلالِ الصُّعابِ
تُفَسِّرُ في (الحسين) من الكتابِ
وقالوا ما بِهِ أَيُّ ارتيابِ
من القرآنِ في أوفى نِصابِ
بِهِم مِّنْ آيَةٍ لُبُّ اللُّبابِ
يَا لَهِ اللهُ أَكْثَرُ في الحسابِ
لعمرك ذا مِمنَ العجبِ العجائبِ
(بسيط محمد) (وأبي ثرابِ)
إذا رُفِعَتْ على أَعْلَى الهَضابِ
وليس بمالكُمُ أبدي (محابي)
وفزت بِجانبِ أبدأ مُهابِ
يُجَازِي الخلقَ في دار الثَّوابِ
بِخُرْدٍ من كِواءِها عِرابِ»

محمد سعيد المنصوري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف الخلق اجمعين وسيد الانبياء والمرسلين، البشير النذير والسراج المنير، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد...

لقد علم الله تعالى وقبل أن يخلق الخلق - وهم في عالم الذر - أن الناس صنفان مؤمن وكافر، وليلدن المؤمن كافراً وليلدن الكافر مؤمناً، فذلك قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

ولما كانت رحمة الله قد سبقت غضبه، وكان اللطف منه أسبق من نقمته فما كان من شأنه إلا أن يرسل الأنبياء وينزل الشرائع بغية هداية البشر وإنقاذهم من مهالك الكفر والعصيان.

وقد اعطى القرآن الكريم دروساً متتابعة، إذ حذر كل أمة من مغبة الكفر والجحود والطغيان والفساد، وكان يُهددهم بالعذاب الذي نزل من قبل على من سبقهم من الأمم، وهكذا بالنسبة للقصص التي سردها القرآن الكريم لنا عن أمم أخذهم الله بكفرهم وعنادهم، فهي - قصص الأمم الغابرة - عبرة للمسلمين على مدى التاريخ. ولما كانت الأمور تجري وفق مقاييس اقتضتها الحكمة الإلهية وضمن قانون العلية التي أودعها سبحانه في كل شيء، ولما كان سبحانه عالماً بهذه الأمة وما يجري لها بعد وفاة الرسول (ﷺ) من الظلم والأذى والتشريد لآل بيت النبي محمد (ﷺ) فإن من الضروري لتهديب النفوس وتعويدها على

١٤.....الحسين من خلال القرآن

الخير من جهة، ولردع النفوس الشريرة وإصلاح ذوي الاهواء والعقائد الفاسدة من جهة أخرى أن ينذر سبحانه وتعالى ويحذر بآياته المسلمين كافة؛ كي لا يسقطوا في وادي العصيان فتشملهم اللعنة والعذاب، وهذا ما وجدناه في مكنونات القرآن المجيد، حيث قال تعالى: ﴿سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةَ الْأَوَّلِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، وقوله تعالى في توبيخ من حادّ عن الهدى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سَنَةُ الْأَوَّلِينَ﴾. إلى غير ذلك من الآيات البينات.

وما تصريح القرآن الكريم في نشر فضائح اليهود والنصارى والأمم الأخرى الذين سبقوهم؛ كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم إلا تحذيراً لأمة محمد (ﷺ) الذي علم الله أن سيتبعون سنن من سبقهم ويسلكون سبيل اليهود والنصارى، إذ غدر أولئك بالأوصياء الذين هم خلف الأنبياء، بل تجرأوا على أولاد الأنبياء، حيث جحدوا منزلتهم، فقتلوهم وسفكوا دماءهم؛ كما حصل لزكريّا ومن بعده يحيى (عليهما السلام).

وما حدث بالمسلمين من ظلم وجور على أيدي الخلفاء والحكام كان أمراً وأنكى، إذ غضب أولئك الحكام آل البيت (عليهم السلام) حقهم، وسفكوا دماءهم، وسبوا ذراريهم، بل تتبعوهم في البوادي والأمصا وأوقعوا بهم الغدر والفتك. روى الطبرسي (رحمته الله) في الاحتجاج في حديث طويل عن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «لتركبن أمّتي سنّة بني اسرائيل حذو القذّة بالقذّة وحذو النعل بالنعل، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع»^(١).

المقدمة..... ١٥

وفي رواية أخرى أنه قال في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ...﴾ أي: لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء. وفي العيون: بإسناده عن الرضا (عليه السلام) أن المأمون سأله فقال له: ما تقول في الرجعة يا أبا الحسن؟

فقال الرضا (عليه السلام): إنها لحقّ، وقد كانت في الأمم السالفة، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يكون في هذه الأمة كلّما كان في الأمم السابقة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة.

أمّا في كتب العامة فالأحاديث فيها كثيرة جداً ولا يحصيها - هنا - مقام، بل نذكر بعضها:

أخرج البخاري في صحيحه، وكذلك مسلم وآخرون، عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا حجر ضبّ لسلكتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!

هناك أحاديث كثيرة وردت في مصادر أهل السنة فمن أراد فليراجع في مضانها.

وعليه فإن من سنن الله سبحانه في خلقه أن لا يترك هذه الأمة وسائر الأمم الأخرى دون إنذارٍ ووعدٍ ووعيدٍ لمصلحة منه تعالى. فكان سبحانه من تمام ألطافه، وحسن صنيعه، وجمال فعله أن يرشد كلّ أمةٍ إلى طريقها الصالح الذي يقودها إلى النعيم الأبدي، ومن المسلم به أن كلّ أمةٍ لو اتّبعَت سُبُلَ ما قبلها في الظلم والفساد لسقطت في وادي العصيان والهلاك، فلا ينجو منها إلا من اتّبع الهدى وبالغ في تهذيب النفس وجهادها.

فلا عجب أن كل ما ورد في القرآن الكريم من مدحٍ وثناءٍ وإطراءٍ وتكريمٍ للمؤمنين إنّما غني به - على وجه الخصوص - الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته،

١٦.....الحسين من خلال القرآن

أو مؤول بهم، وكلّ ما ورد في القرآن من ذمّ ولعنٍ وطردٍ ووعيدٍ إنّما عُني به أعداء النبيّ وأعداء أهل بيته (عليه السلام)، أو مؤول بهم، كبنّي أمّية، وبني العباس ومن كان من سنخهم على مدى الزمان.

ويدلّ على ذلك ما جاء في الخبر المشهور:

عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «يا محمد، إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأمة بخيرٍ فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوءٍ ممّن مضى فهم عدوّنا»^(١).

وقد وردت عدّة أحاديث وأخبار متواترة صحيحة بهذا المضمون في عدّة تفاسير فلتراجع.

وفي الكافي، وتفسير العياشي، وتفسير الصافي وغيرها: عن الأصمغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»^(٢).

أقول: على أن الأخبار في ذلك متظافرة، والأحاديث متواترة من كتب الفريقين، بل إنّها من المسلّمات، ومع ذلك نجد في هذه الأيام أصواتاً قبيحةً لكتّابٍ مأجورين تتعرّض إلى ثورة الحسين (عليه السلام) بأسلوبٍ خبيثٍ مسموم، فقد جند بعضهم طاقاته الثقافية والأدبية ليصوغ من التاريخ المزيف ومن المغالطات شخصيةً جديدةً ليزيد بن معاوية، فيُظهره على مسرح التاريخ أنّه الرجل العطوف الرؤوف الذي يخاف الله، حتّى أنّهم صيّروه بريئاً من دم الحسين، بل صاغوا الأخبار والأكاذيب ليجعلوا من يزيد الرجل الناقم على عبيد الله بن زياد، المخالف له في أفعاله وتصرفاته، بل ادّعوا أنّ يزيد لعن واليه ابن زياد لمّا أقدم على حرب الحسين وسفك دمه في يوم عاشوراء وسبى أهل بيته...إلى غير ذلك

(١) تفسير العياشي ١٣/١، والصافي ١٤/١ و ٢٥، والبرهان ٢٢/١، وإثابة الهداة ٤٣/٣.

(٢) الكافي ٦٢٧/٢ باب النواذر، ح ٢.

المقدمة ١٧

من الادّعاءات الباطلة.

فلهذا ولأسباب أخر - سنبينها فيما بعد - رأيت من الضروري أن أبين منزلة الحسين (عليه السلام) في القرآن الكريم وأن أحصي الآيات الكريمة النازلة أو المؤولة به (عليه السلام)، أو التي تجري في الحسين لأنه من أبرز مصاديقها^(١).

كما جعلت تنسيق هذه الآيات حسب ترتيبها في القرآن، بدءاً بسورة البقرة وانتهاءً بأخر سورة منه. ثم شرح الآية شرحاً يليق والمواضيع التي تضمنتها: من تاريخية أو عقائدية أو لغوية، مراعيّاً في ذلك الضرورة والأهمية، وبعد ذلك أفردت لكل آية بحثاً روائياً، وهو طريقنا في الاستدلال بأن الآية تخصّ الإمام الحسين (عليه السلام) من أحد الوجوه المعتمدة: كالنزول أو التأويل أو الجري أو من باب المصداق، ولا يضرّ هذا أن تكون الآية بمفهومها العامّ شاملةً لأصحاب الكساء، وهم الرسول الأعظم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، بل لا ضير لو أنها كانت تشمل جميع أهل البيت المعصومين (عليهم السلام)، وعلى أيّ حال، فاختيارنا للآية إنّما يتمّ عندما يكون الحسين (عليه السلام) أحد المعنّيين بها.

والمهمّ في البحث أن تعرف هذه الزمرة من أصحاب الأفلام المأجورة أنّ الحسين (عليه السلام) أعظم ممّا يتصوّرون، وأنّ أفلامهم الأجيّة لابدّ أن تقف عند حدّها، ومهما بالغ أولئك في طمس معالم التاريخ الإسلامي وإخفاء الحقيقة أو تزويرها، ومن ثمّ تشويه ثورة الحسين (عليه السلام). فإنّ أولئك النفر من أهل الضلال والنفاق هم أعجز وأخسّ، وما ينسجونّه من الدسائس إنّما هو أوهن من بيت

(١) روى العياشي بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلّا وله حدّ، ولكلّ حدّ مطلع ما يعني بقوله لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر كلّما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم﴾ نحن نعلمه.

١٨.....الحسين من خلال القرآن

العنكبوت. ولابد من تعرية هؤلاء على حقيقتهم، والكشف عن خبث سرائرهم وسوء نواياهم، كما أن الجدير بالذكر أن البعض اقتفى آثار من سبقه، مدّعيًا أن ذلك تجديدًا في التاريخ أو تحليلًا موضوعيًا، أو أن ما يصنعه إنما هو تسليط الأضواء على زوايا مهمة من تاريخنا لغرض أن يستنتج شيئًا جديدًا - على حدّ تصوّره - ولو كان فيه مخالفة للعقائد الدينيّة أو المذهبية، بل إنهم يدّعون ذلك مساهمةً في بناء التاريخ الصحيح ورفي الحضارة الإسلامية، ألساء ما يدّعون. فكان من جملة الدواعي المهمة في تأليف هذا الكتاب - والذي هيئت مسوداته منذ تسع سنوات - هو ما وجدته من نتائج قد كُتِبَتْ خلال هذه السنين الغابرة، طعنًا بثورة أبي الشهداء (عليه السلام)، وأخصّ بالذكر منها:

أولاً: مقالة الدكتور حمد محمد العرينان^(١)، أستاذ التاريخ في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز، وتتصدّر المقالة مقدّمة بقلم الوهابي المتعصّب محمد ابراهيم الشيباني. وحديثنا مع الدكتور العرينان سيكون في لوط بن يحيى ومع الشيباني في مقدمته. وسنفرد لهما ردًّا في الصفحات الآتية. وقد طبعت المقالة والمقدّمة معاً في كراس مستقلّ عام ١٩٨٣ م.

ثانياً: ما ذكره الشيخ محمد الخضري في كتابه «محاضرات تأريخ الأمم الإسلامية»، المطبوع عام ١٣٥٤ هـ في مطبعة الاستقامة، المحاضرة الرابعة والثلاثون.

سيجد القارئ ردّنا على الخضري في بحث الآية الكريمة:
﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله...﴾^(٢) فراجع هناك.

(١) عنوان المقالة: «إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة». ونشرت في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز؛ المجلد الخامس ص ٧٩، عام ٧٨/٧٧.

(٢) البقرة/٢٠٧.

المقدمة ١٩

ثالثاً: أفلام مشبوهة ومنحرفة عقائدياً عن خطّ أهل البيت (عليهم السلام)، والتي جهدت نفسها كسباً للمال وسعيّاً للنجاه والشهرة ولا يخفى أنّ البعض من هؤلاء يتلقّون الدعم المادّي والمعنويّ من حكّام ومنظّماتٍ وهابية. بصورةٍ أو أخرى، وقد أوجزنا الحديث عن هؤلاء، فما هم بشيءٍ، بل إنّهم من المتطفّلين في الكتابة، بل إنّ بعضهم كالعنكبوت في النسج، علماً وأسلوباً، وصدق الشاعر عندما قال:

ما زاد حنون في الإسلام خردلةً ولا النصارى لهم شغل بحنّون
فمن هؤلاء: الصالحي النجف آبادي في كتابه (شهيد جاويد)^(١) ثم
تطرّقنا باختصار عن سرقات الركابي الذي انتحل الكتاب الأنف فنقله من
الفارسية إلى العربية وجعله تحت عنوان **وقعة كربلاء**.

هذه جملة من الأسباب الداعية لتأليف هذا الكتاب؛ «الحسين سنام
القرآن» سائلين المولى الإتمام والقبول.

وقد عرفت من الصفحات المتقدّمة أنّ الأسلوب الذي نهجناه بعد
استعراض جملةٍ من الأحاديث المتواترة في حقّ أهل البيت (عليهم السلام)، وما
سيأتي في الصفحات اللاحقة هو الاستفادة من المحصّلة الأخلاقية التي جاء بها
القرآن الكريم لتهديب/بني الإنسان.

إذن، كان ولا بدّ من التأكيد على الجانب الإرشاديّ في القرآن الكريم،
والذي ألّفناه بصياغته الأدبية والبلاغية، إنّ كتاب مقدّس فيه تأريخ الأمم وهو
زاخر بالعبر والمواعظ، وفيه تجارب الأنبياء مع أممهم، كما أنّه يكشف لنا
مواقف تلك الأمم من الشرائع السماوية، بالإضافة إلى كونه كتاب تشريعٍ يضم
بين دفتيه جميع الأحكام والأصول القانونية والمبدئية.

وعليه، فما عسانا إلّا أن نقول: إنّ الهدف من هذا الأسلوب الذي صيغ به

(١) كتاب فارسي طُبع في قم المقدسة عام ١٣٥٠ هـ ش.

٢٠.....الحسين من خلال القرآن

القرآن إنما كان بمقتضى الحكمة الإلهية لتهذيب البشر والأجيال المتعاقبة. إذن، إرشاد الناس للهداية بآيات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، وعرض صورٍ من تاريخ الشعوب والأمم كان الطريقة المثلى لتصحيح سلوك الناس في المجتمع الإسلامي وردعهم عن الظلم والفساد والعصيان، وهذا اللون من الإرشاد والتبليغ لابد منه؛ كي لا يختلف المسلمون في أهل بيت نبيهم، ولا يتفرقوا عنهم، ولا ينحرفوا عن الطريق السوي والصراط الواضح.

لهذا كان المقصود بلسان المدح في القرآن هم أئمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام). ولا محذور في ذلك طالما أنهم خلقوا من نورٍ واحدٍ، وهو نور نبينا محمد (ﷺ) قبل أن يخلق آدم، ولولا هم لما خلق الله الخلق ولا السماء ولا الأرض.

وقد دلت الأخبار والروايات عن الرسول والأئمة الأطهار أنّ ذوات محمد وأهل بيته (عليهم السلام) هي علة إيجاد هذا الكون، كما يظهر من الحديث المشهور «لولاك لما خلقت الأفلاك»، وحديث: «أول ما خلق الله نوري». ثم إن هذا النور تضمن ذات علي (عليه السلام) أو حديث: «خلقت أنا وعلي من نورٍ واحد»^(١).

وعن جابر الجعفي - في حديث طويل - قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «كان الله ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً (ﷺ)، وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر...إلى أن قال (عليه السلام): فبذلك - يا جابر - قامت السماوات بغير عمدٍ، وثبتت الأرض، ثم خلق الله آدم من أديم الأرض، فسوّاه ونفخ منه من روحه، ثم أخرج ذريته من صلبه، فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية، ولمحمد (ﷺ) بالنبوة،

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٥٨/٢.

المقدمة..... ٢١

ولعليّ بالولاية، أقرّ منهم من أقرّ، وجحد من جحد، فكنا أوّل من أقرّ بذلك.
ثم قال لمحمد (ﷺ): وعزّتي وجلالي وعلوّ شأنِي لولاك ولولا عليّ
وعدّتكما الهادون المهديّون الراشدون ما خلقت الجنّة ولا النار ولا المكان ولا
الأرض ولا السماء ولا الملائكة، ولا خلقاً يعبدني.

يا محمد، أنت خليلي وحيبيّ وصفّي وخيرتي من خلقي، وأحبّ الخلق
إليّ، وأوّل من ابتدأت إخراجَه من خلقي، ثمّ من بعدك الصديق عليّ
أمير المؤمنين وصيّك، به أيدتك ونصرتك، وجعلته العروة الوثقى، ونور
أوليائي، ثمّ هؤلاء الهداة المهديّون.

من أجلكم ابتدأت خلق ما خلقت، وأنتم خيار فيما بيني وبين خلقي.
خلقتكم من نور عظمتي واحتجبت بكم عن سواكم من خلقي... الخ^(١).
أقول: وروى أحمد بن حنبل بإسناده عن رسول الله (ﷺ) قال: كنت أنا
وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام^(٢).

وفي عيون أخبار الرضا بإسناده عن السروي عن الرضا (عليه السلام) أنّه قال في
حديث طويل: «إنّ آدم (عليه السلام) رفع رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه
مكتوباً (لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين،
وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل
الجنّة)، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ فقال عزّوجلّ: من ذريّتك، وهم خير منك
ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار، ولا السماء ولا
الأرض. والأحاديث في ذلك عن طرقنا لا يحصرها عدّ، فليراجع، أمّا الأخبار
الواردة في كتب أهل السنّة فهي كثيرة.

(١) بحار الأنوار ١٧/٢٥ - ٢٠ الحديث: ٣١ نقله المجلسي (رحمته الله) عن كتاب رياض الجنان لفضل الله بن

محمود الفارسي من علماء القرن الخامس الهجري.

(٢) ومثله في الاحتجاج ١٤٦/٢.

٢٢.....الحسين من خلال القرآن

وعلى سبيل المثال نذكر ما قاله العلامة الخطيب الشافعي المعروف بابن المغازلي في كتابه «المناقب»، بإسناده عن زاذان، عن سلمان، قال: سمعت حبيبي محمداً (ﷺ) يقول: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله - عزّ وجلّ - يسبح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق الله آدم بألف عام، فلمّا خلق الله آدم ركب ذلك النور في صُلبه فلم يزل في شيءٍ واحدٍ حتّى افترقنا في صُلب عبدالمطلب؛ ففي النبوة، وفي عليّ الخلافة»^(١).

وأخرجه العلامة الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٣١٥، وكذلك في ميزان الاعتدال للذهبي ٢٣٥/١، كذلك في تذكرة الخواص ص ٥٢ ط الغري. ثم حديث الكساء الذي اشتهر بين العامة والخاصة.

فنذكر هنا ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الفضائل قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله، حدّثنا حجاج، حدّثنا عبد الحميد بن بهرام، حدّثنا شهر بن حوشب قال: سمعت أمّ سلمة تقول: حين جاء نعي الحسين بن عليّ لَعَنَت أهل العراق وقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وذلّوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله (ﷺ) وجاءته فاطمة (عليها السلام) ومعها ابناها، جاءت بهما تحملهما حتى وضعتهما بين يديه، فقال لها: أين ابن عمّك؟ قالت: هو في البيت، قال: إذهبي فأدعيه وائتني با بني، قال: فجاءت تقود ابنيها كلّ واحدٍ منهما في يدٍ وعليّ يمشي في أثرها، حتّى دخلوا على رسول الله (ﷺ) فأجلسهما في حجره، وجلس عليّ على يمينه وجلست فاطمة على يساره.

قالت أمّ سلمة: فأخذ من تحتي كساءً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة، فلغّه رسول الله (ﷺ) فأخذه بشماله بطرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربّه عزّ وجلّ قال: اللّهمّ أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ثلاث مرّات، كلّ ذلك يقول: اللّهمّ أهلي أذهب عنهم الرجس

المقدمة..... ٢٣

وطهّرهم تطهيراً^(١).

وتجد حديث الكساء في عشرات المصادر من كتب أهل السنة. ولا نبالغ إذا قلنا: إنها تناهز المائة، ناهيك عما روته كتب الشيعة؛ وزيادةً في التفصيل راجع كتابنا (ملاح شخصية الإمام عليّ (عليه السلام)) من كتب الجمهور، وكذلك بحث آية التطهير من كتب الصحاح^(٢).

وفي الحديث القدسي: «...وعزّتي وجلالي إنّي ما خلقت سماءً مبنيةً ولا أرضاً مدحيةً ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئةً إلّا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء»^(٣).

وربّ سائل يسأل، ما وجه ارتباط هذه الآيات التي تذكرها مع واقعة الطفّ؟ وما وجه تأويلها بالحسين (عليه السلام)؟

قلت: إنّ لظاهر الآيات معنى، ولباطنها معانٍ قد خفيت عن الناس، ولا يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم: كالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) الذين هم معدن، العلم ومخزن الوحي، وقد بيّنا في الصفحات السابقة: أنّ علم القرآن وتأويله عند أهل البيت (عليهم السلام)، وقد وردت عنهم روايات وأخبار مفادها ما ذهبنا إليه؛ في ما خصّ الحسين (عليه السلام) من القرآن. فقد روى العياشي وآخرون عن جابر، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثمّ سألت ثانياً؟ فأجابني بجوابٍ آخر، فقلت:

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٢٩٢، وفوائد الخمسة ١ / ٢٧٨.

(٢) صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة. مستدرک الصحيحين ٣ / ١٤٧، و٢ / ١٦٦، وسنن البيهقي ٢ / ١٤٩. وتفسير ابن جرير ٥ / ٢٢ و٧، تفسير الدر المنثور آية التطهير. صحيح الترمذي ٢ / ٢٠٩ و٢ / ٣٠٨ و٣١٩ و٢٩، مشكل الآثار للطحاوي ١ / ٣٣٥. ومسند أحمد بن حنبل ٢ / ٢٥٢ و٣٣٠ / ١ و١٠٧ / ٤.

وهناك عشرات الأحاديث في عشرات المصادر فلتراجع في مضائها.

(٣) انظر الهامش السابق.

٢٤.....الحسين من خلال القرآن

جعلت فداك، كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم! فقال لي: يا جابر، إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنَّ الآية لتكون أولها في شيءٍ وآخرها في شيءٍ، وهو كلام متّصل ينصرف على وجوه.

وقد ذكر أبو نعيم في حلية الأولياء، وكذا الغزالي في إحياء العلوم، وآخرون عن ابن مسعود قال: إنَّ القرآن نزل على سبعة أحرفٍ ما منها حرف إلاَّ وله ظهر وبطن، وإنَّ عليَّ بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن^(١). والمراد من بطن القرآن تأويله كما قال تعالى: ﴿ولا يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم﴾^(٢).

وفي البصائر: عن أحمد بن محمد بن عيسى عن آدم بن اسحاق عن هشام عن الهيثم التميمي قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «يا هيثم، إنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئاً. وجاء قوم من بعدهم فأمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهرٍ إلاَّ بباطن، ولا بباطنٍ إلاَّ بظاهر»^(٣).

وذكرنا فيما تقدّم: أنَّ القرآن نزل قسم منه في أهل البيت (عليهم السلام)، وقسم في أعدائهم، وقسم أحكام وسنن. ونضيف إلى ذلك ما أخرجه العياشي في تفسيره، عن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع في فرائض وأحكام، وربع سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن»^(٤).

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ / ٦٥ ط ١ بيروت سنة ١٩٨٨.

(٢) آل عمران/٧.

(٣) بصائر الدرجات الجزء العاشر ص ٥٥٦، الحديث ٥.

(٤) تفسير العياشي ٩/١، والبرهان ٢١/١، وتاريخ اليعقوبي ١٣٦/٢، والصافي ١٤/١.

المقدمة ٢٥

وفيه عن محمد بن خالد بن الحجاج الكرخي، عن بعض أصحابه رفعه إلى خيثمة قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «يا خيثمة، القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنّة ومثل، ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونّها وهم منها من خير أو شر»^(١).

وفيه، عن ابن مسكان قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكبّ الفتن»^(٢).

وهناك عشرات الأحاديث والأخبار في هذا الشأن، وعلى أيّ، ليس الأمر خفياً على أهل النظر والتحقيق ومن سبر الغور في مطالعة كتب الحديث والتفسير، وكما عرفت أنّ هذه الأئمّة سوف تتّبع مسلك الأئمّة الغابرة، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك.

وكما صرّح هو بنفسه (عليه السلام) فقال: «والله لتعتدنّ عليّ كما اعتدت بنو إسرائيل»^(٣).

فما جرى هناك من عصيان وسفك دماءٍ وقتل ذراري الأنبياء كذلك يجري في أئمّة محمد (صلى الله عليه وآله)، وحقّاً أنّ الذي أخبر عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) قد وقع القسم الأكبر منه وتحقّق في الخارج. ومن أبرز تلك الحوادث والوقائع التي أشار إليها (صلى الله عليه وآله):

هي واقعة الطف ومقتل ابن بنته سيّد شباب أهل الجنّة ومن بعد القتل صلبوا رأسه الشريف على رمحٍ طويلٍ وسبوا نساءه وحريمه، كما أنّ

(١) تفسير العياشي ١/ ١٠١.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٣.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٦٩.

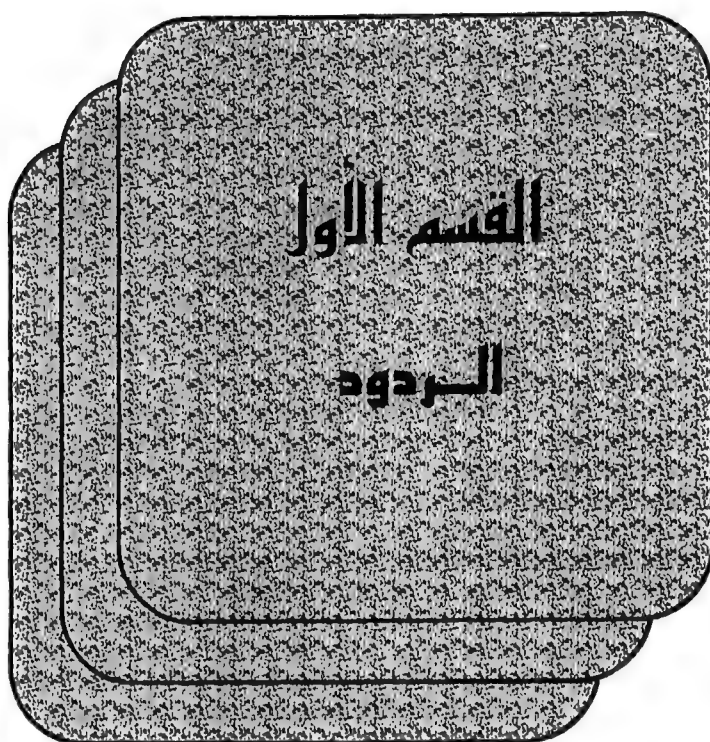
٢٦.....الحسين من خلال القرآن

الرسول (ﷺ) أشار إلى عدّة آياتٍ كانت مؤوِّلةً بالحسين (عليه السلام) ، وهكذا الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أولوا كثيراً من الآيات بقيام الحسين وثورته واستشهاده، وما جرى له ولأهل بيته من أذىٍ وتشريدٍ وسبي.

والذي أحصيناه قد لا يساوي عُشر ما نزل في الحسين من الآيات أو قلّ ما أوّل به، ولا ندّعي في ذلك الاستقصاء والكمال، ولكن كلّ ما بذلت هو قصارى جهدي المتواضع أمام هذا الصرح الشامخ الخالد الذي يضاهي كلّ ما في الوجود، فما عسك أيّها المطالع إلّا أن تقف لحظةً لتفكّر في عظمة أبي الأحرار وسيّد الشهداء؛ كي تأخذ منه الدروس والعبر، وتنصف نفسك فتضعها في أحد شقيّ الناس: إمّا موالياً له ولأهل بيته، وإمّا معادياً له ولمن تبعه، أعاذنا الله من ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله والعاقبة للمتّقين.

المؤلّف



- ١ -

مع محمد إبراهيم الشيباني
في مقدّمته

اليوم نرى بعض المأجورين وهو يكتب مقدّمة على مقال^(١)، وكاتب المقال هو الدكتور حمد محمد العرينان أستاذ مساعد بقسم التاريخ، كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وناشر المقال مع المقدّمة هو «محمد إبراهيم الشيباني» نشرهما في كراس واحد، يقع المقال في «٢٢» صفحة وللمقال فهارس في ١٩ صفحة، والمقدّمة - التي موضوعها البارز براءة يزيد مما جرى على الحسين وأهل بيته من قتلٍ وسبي وأسر - تقع في «١٦» صفحة؛ أي مجموع صفحات الكراس «٥٧» صفحة، وتاريخ النشر ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

نحن لا نريد مناقشة الدكتور حمد محمد العرينان على ما أورده من أباطيل وأدلةٍ واهية لا يقبلها أدنى مطالع، ولا يرتضيها أقلّ منصف؛ لأنّ البحث الذي نحن بصددّه لا يتضمّن إباحة المدينة حتّى نردّ على الكاتب، كما أنّه لا يتظمن حريق الكعبة، لكن سنفرد له مقالاً - إن شاء الله - في الردّ على مقال حمد العرينان، ونؤقّفه على جملةٍ من الأدلة والبراهين الدامغة، ومن ثمّ نقول له: كفّ قلمك من بثّ الأباطيل والإساءة لكبار مؤلّفي أهل السّنة الذين أنصفوا التاريخ في كثيرٍ من جوانبه...، إلّا أننا لا نغفل عن مناقشته في لوط بن يحيى، كما سيأتي. أمّا حديثنا الآن فهو مع صاحب المقدّمة - محمد إبراهيم الشيباني - الذي وقف موقف الدفاع المستميت لتنزيه يزيد عن جرائمه وفجوره، بل رفع يزيد إلى مراتب القديسين، ولا أدري لو كان يزيد حيّاً في الوجود ماذا كان يصنع الشيباني...؟! ولا أظنّه يخل في المبالغة في وصفه بالمكارم والمناقب والمعاجز

(١) نُشر في مجلّة كلية الآداب، المجلد الخامس ص ٧٩ سنة ٧٧ - ٧٨ تحت عنوان «إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة».

٣٢.....الحسين من خلال القرآن

إن لم يُوصله إلى مراتب الأنبياء...!!

إنَّ الشيبانيَّ معجب «بالعرينان»؛ لأنَّه تحرَّى الحقيقة على حدِّ تعبيره، فلم يجد مَنْ يؤلّف رسالةً أو بحثاً في حقيقة يزيد...، لذا أقدم على تصدير المقالة بمقدمةٍ ثمَّ نشرها بين أوساط المسلمين؛ لأنَّ يزيد كما يعتقد الشيباني - خليفة المسلمين، والخلفاء منزّهون عن كلّ معصيةٍ أو ذنب...

قال الشيباني في مقدّمته: (... فلم يؤلّف بحث أو رسالة فيما أعلم يُبيّن فيها الحقيقة التي توضّح لجماهير المسلمين وغيرهم شخصية يزيد بن معاوية كما جاء بهذه الرسالة الصغيرة الحجم الكبيرة المعاني، فقد بيّن الدكتور العرينان ما أغفله الأوائل وأبهم عليهم، وغاب عنهم من حقائق التاريخ، فهو وضّحه بأسلوبه الشيق، وبحثه المستوفى في أمّهات المصادر التاريخية والحديثة حتّى خرجت هذه الرسالة بهذه الصورة التي تكشف الحقائق وتزيل لثام الكذب والافتراء على هذا الخليفة؛ وذلك باتّهامه بحادثتين نقلهما أكثر المؤرّخين بدون تمحيصٍ وتدقيق، وهما: استباحة المدينة وقتل أهلها واغتصاب نساؤها من المسلمين، وحادثة حرق جيشه للكعبة المشرفة...).

ثمَّ يقول بعد ثلاثة أسطر: (...وقد كان منهجي في هذه الرسالة أولاً: نشرها ليطلع المسلمون عليها وما حوت من حقائق طمسها أهل الزيف والضلال. وثانياً: ليعلم أهل الحقّ كيف يزوّر التاريخ الإسلامي من قبل أهل التزوير والتلفيق والغارات التي تشنّ على خلفاء المسلمين من الصحابة وغيرهم وعلى أمّهات المسلمين...).

أقول: أيّ حقيقةٍ طرحها العرينان حتّى تكون - أيّها الشيباني - من المعجبين به؟! إنّه أقدم على نسف كلّ المصادر التاريخية وزيفها، وإنّه كذب الطبري في هذه الواقعة، حيث ينقل عن لوط بن يحيى، وإنّه كذب اليعقوبيّ بادّعائه أنّه يميل إلى روايات الشيعة، لذا فالتعامل معه يجب أن يكون بحذرٍ

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٣٣

شديد. وإنّه أخرج المسعوديّ من دائرة الاعتبار؛ لأنّه يُحسب من مؤلّفي الشيعة، وأبعد ابن الأثير؛ لأنّه متأخّر عن الصدر الأوّل، لذا لا قيمة لكامله؛ لأنّه اقتبس تأريخه من الطبري. أمّا كتاب ابن قتيبة «الإمامة والسياسة» فلا يمكن الاعتماد عليه لأنّه مكذوب على ابن قتيبة...، وهكذا في بقية المصادر والمراجع التي هي أمّهات الكتب، فلو أخذنا بقول العرينان لما بقي لدينا خبر ولا حديث ولا واقعة تسلم من الطعن والردّ، ولأصبح التأريخ في جيب العرينان الأيمن يسطرّ لنا ماشاءت قريحته وما درّت عليه الدولارات!!

ثمّ أيّها الشيباني، إنّ المقالة كانت تتحدّث عن «إباحة المدينة وحريق الكعبة» فما الذي حدا بك أن تترجم لحياة يزيد وتذكر طرفاً من مناقبه ومحاسنه، ثمّ من أين لك هذه المقولات الكاذبة؟ وأيّ المصادر المعتبرة اعتمدتها في مقدّمك؟

لقد ذكرت في الصفحة «ح»: (أنّ يزيد أمر بحمل الطعام إلى أهل المدينة وأفاض عليهم بالأعطية، وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض...) (١).

أين الدليل على ذلك؟ وما هي المصادر التي تكشف النقاب عن كذب الروافض؟ وأيّ المراجع اعتمدتها في هذا النص؟

ألم يكن هذا زوراً وبهتاناً...؟ ألم يكن هذا باطلاً وكذباً وأنت تريد الحقيقة وتتحرى الواقع، فأين الذي ذكرته في تلك الحقيقة المنشودة؟

بل ان في ذلك تحريف للحقائق وتزوير للوقائع، لأنّ يزيد بن معاوية لم يَر من أهل المدينة إلا المنابذة والمجابهة العنيفة والإصرار على خلعه لأنّه فاسق فاجر لا يليق لإمرة المسلمين.

نعم ان يزيد بن معاوية زاد في عطاء أهل الكوفة؛ أهل السمع والطاعة. قال البلاذري: وحَدَّثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مجاهد بن سعيد

(١) انظر الصفحة (ب) و(ح) من مقدّم كتابه.

٣٤..... الحسين من خلال القرآن

قال: كتب يزيد إلى ابن زياد: أما بعد فزِدْ أهل الكوفة؛ أهل السمع والطاعة في اعطياتهم مائة مائة^(١).

وهذا دليل واضح على أن يزيد بن معاوية شكر صنيع ابن زياد في قتله الحسين بن علي (عليه السلام).

فابن زياد صنيع يزيد وهو من أهل السمع والطاعة. والذين اشتركوا في جيش عمر بن سعد هم أهل السمع والطاعة. وهؤلاء انما كانوا في الكوفة، وهم سكنة العراق، فإي عطاء لَحِقَ بأهل الحجاز أو المدينة كما يدّعيه الشيباني؟؟ ثمّ هلأ سألْت نفسك لماذا خلع الناس يزيد بن معاوية...؟ حيث قلت في الصفحة «ج»: (كما قال الإمام أحمد: حدّثنا اسماعيل بن عليّة، حدّثني صخر بن جويرة، عن نافع قال: لمّا خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثمّ تشهّد ثمّ قال: أمّا بعد...).

لقد نقلت كتب التاريخ والسيرة والتراجم أنّ البيعة أخذت ليزيد قهراً، وأنّ السيوف شهرت بوجه من لم يبايعه، وهذا حدث في زمان معاوية لمّا أخذ البيعة لابنه يزيد...!

فإي بيعة شرعية في أعناق المسلمين ليزيد...؟ وكيف تصحّ البيعة له وبين المسلمين من الصحابة والتابعين من هو أفضل منه علماً وتقوى وزهداً وإيماناً وجهاداً...؟

ثمّ قلت تحت عنوان «مقتل الحسين وانقسام أهل العراق فيه»: (ومع هذا فيزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا حمل رأسه إلى بين يديه، ولا نكث بالقضيب على ثناياه، بل الذي جرى منه هو عبيد الله بن زياد، كما ثبت في صحيح البخاري، ولا طيف برأسه في الدنيا، ولا سُبِي أهل الحسين، بل الشيعة كتبوا إليه

(١) أنساب الأشراف ٣ / ٢٢٠ ط ١، دار التعارف ١٩٩٧ بيروت.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٣٥

وغرّوه... (١).

إذا كان يزيد لم يأمر بقتل الحسين، فمن الذي أمر بقتله...؟ ومن الذي يصدر الأوامر الجليلة للقواد والولاة والأمراء والحكام...؟ أليس الأوامر تصدر من خليفة المسلمين...؟ أم هناك شخص غيره...

وإذا قلتم: إنّ ذلك صدر من عبيدالله بن زياد فمن الذي أجاز له الحرب الحسين؟ ومن الذي جهّزه بالجيوش والسلاح...؟ ولو سلّمنا أنّ عبيدالله بن زياد هو الذي أمر بقتل الحسين لكن من هو عبيدالله؟ ألم يكن أحد ولاة يزيد بن معاوية على العراق؟ فإذا أنكر يزيد هذا العمل فلماذا لم يقتص من واليه؟ ولماذا لم يصدر بحقه التأديب والعقوبة والتي لا تخرج عن «القصاص بالقتل»، أو قلّ على أقلّ تقدير: عزله من الإمارة وحاكميّة الكوفة والبصرة...؟ بل المشهور والمنقول من كتب التاريخ: أن يزيد فرح فرحاً شديداً على ما صنعه عبيدالله بن زياد بالحسين وأهل بيته...

إذاً لا مفرّ من الإذعان بالحقيقة والتسليم لها، والاعتراف بأنّ حرب الحسين بدأت من يزيد بن معاوية، وهو الذي أمر الولاة والحكام والقواد بأخذ البيعة من الحسين بن علي. «وإنّ أبي ذلك فاضربوا عنقه ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة...!»

ثمّ أيّ مصدرٍ اعتمدته في إنكارك لهذه الجريمة التي اقترفها يزيد بحقّ الحسين وعياله وأهله بيته...؟

نعم، ليس لك إلا أن تقول: إنّ المصدر الوحيد المعتمد هو: «الناصبّي» ابن تيميّة، وقرينة الغزالي.

ثمّ هلا سألت صاحبك الغزالي عن المصدر الذي نقل عنه عندما قال: (...وأما قتل الحسين فلم يأمر به، ولم يرض به، بل ظهر منه التألم بقتله)

٣٦.....الحسين من خلال القرآن

وذم من قتله، ولم يحمل الرأس إليه، وإنما حمل إلى ابن زياد^(١).
أين الدقة التي تسجلها أيها الشيباني؟ وأي حقيقة تحرّيتها؟ وأي علم
وفنّ كان ضائعاً وأنت اليوم تعثر عليه؟
ألم يكن حديثك هذا هو طمس للحقائق ونشر للضلال والزيف؟! فالذي
كنت تحذره قد سقطت فيه.

ثم قلت في أول مقدّمك مستعرضاً منهج البحث: (ليعلم أهل الحق كيف
يزوّر التاريخ الاسلاحي من قبل أهل التزوير والتلفيق...) فهلاً أخرجت نفسك
من هذا الرعيل يمين الله إنني أشهد أنّك قطب من أقطاب التزوير، وأنك لكبير
القوم في التلفيق...

أما رواية يزيد بن معاوية للحديث النبويّ فقد ذكرت أنّه روى عن أبيه
معاوية حديثاً وهو: «من يرد الله به خيراً يفقهه للدين» وقلت روى حديثاً آخر
في الوضوء، فقط. الحمد لله الذي أجرى الحقّ على لسان أهل الباطل
والتحريف...

خليفة المسلمين يحفظ عن الرسول وبواسطة واحدة حديثين فقط...
إنّهما حديثان فقط... نعم، حديثان... وهكذا شأن أبيه معاوية أنّه لم يحفظ إلاّ
هذان المقدار^(٢). يا ويل المسلمين!! يا للرزء الشديد!! خليفة المسلمين لم
يحفظ من الأحكام والأحاديث النبويّة سوى حديثين... لا أدري كيف جبن
المسلمون من الصحابة والتابعين؟ وكيف انقادوا لأجهل القوم؟ بل كيف أغمدوا
سيوفهم قبال سيف الشرّ والفسق والفجور...؟!

إنّ الأموال التي سخرت القلوب وجلبت ضعاف النفوس في صدر

(١) الصفحة (د).

(٢) روى الحاكم في المستدرک، بإسناده عن أبي إدريس الخولاني، قال: (سمعت معاوية ابن أبي

سفيان - وكان قليل الحديث عن رسول الله ﷺ - يقول: (... / ٤ / ٣٥١.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٣٧

الإسلام هي التي حرّكت الأيدي المأجورة اليوم، هي الأموال والمصالح والأطماع... هي الدنيا التي بها تُشترى الضمائر، وتسخر الأقلام، وتجند الطاقات في الباطل والضلال...

فالإغزاءات الماديّة هي التي تخلق في عالمنا اليوم أمثال الشيباني والعربان والمئات من المتطفّلين على مائدة التأريخ...

أما بشارة النبي (ﷺ) للجيش الذي يغزو قسطنطينية:

قلت: روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «أول جيش من أمتي يغزو مدينة قيصر مغفور لهم»^(١).

أقول: من أين عرفت أنّ هذا الحديث يخصّ يزيد بن معاوية؟ وأي دلالة تُشعر على أنه بالخصوص مغفور له. وإذا كان كذلك فلماذا لم يرد في مصادر التأريخ التصريح بمثل هذه المغفرة ليزيد، وهل يشقّ على الرسول الأكرم أن يصرح باسمه بالقياس إلى الأخبار الكثيرة التي وردت عن الرسول وقد أخبر بها قبل وقوعها...!!

ثمّ لو سلّمنا بصحّة الحديث فإنّ المغفور لهم من سقط منهم أثناء الغزو واستشهد؛ أمّا من بقي فموكول إلى أعماله وخواتيم عمره، فكم من صحابيٍّ كان من قبل مشركاً وقد هداه الله ببركة الإسلام، ثمّ ختم عمره بأحسن العواقب^(٢). وكم من صحابيٍّ كانت له صولة وجولة في بدء الدعوة الإسلامية فنصر الإسلام ووقف في جانب الحقّ. إلّا أنّه فيما بعد زلّت قدماء فكانت عاقبته من أسوء العواقب^(٣)... فالأعمال موكولة بعواقبها، لا بأوائلها...

(١) الصفحة (س).

(٢) جُلّ الصحابة ممّن كان يعبد الأصنام من هذا القسم.

(٣) خير دليل على ذلك: أصحاب الجباه السود الذين اشتركوا في معركة صفّين والنهروان والجمل ضدّ الإمام علي (عليه السلام) أيام خلافته.

٣٨.....الحسين من خلال القرآن

ذكر أرباب التاريخ والسير ان معاوية أرسل يزيد للالتحاق بالجيش
الذاهب لفتح القسطنطينية، ولكن يزيد تخلف عن المسلمين، وقال في ذلك
شعراً يظهر فيه زهده في الجهاد وتحمل الصعاب، وتعلقه بالحياة اللاهية العابثة.
فلو سلمنا بصحة صدور الحديث المتقدم عن الرسول - (ﷺ): «أول
جيش من أمّتي يغزو مدينة قيصر مغفور لهم - فهذا الحديث لا يشمل يزيد، وأئله
ليس من المغفورين لهم كما عرفت من الخبر المتقدم: أن يزيد رجع من أول
الطريق، بل لم يشترك معهم، حيث تخلف عن الحملة متجهاً إلى الصيد واللهو،
فكيف أصبح من المغفورين؟!

قال المتقي الهندي في كنز العمال بسنده عن أنس - وعن أمّ حرام -
قال: قال الرسول (ﷺ): «ناس من أمّتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركب
ثبج البحر ملوكاً على الأسرة»^(١).

ذكر صاحب الشفاء الحديث بلفظ مقارب هذا نصّه: «وأنهم يغزون في
البحر كالمملوك على الأسرة في سبيل الله يركبون ثبج».

أمّا علي القاري الحنفي في شرحه ذكر ما نصّه: «وأنهم يغزون في البحر
كالمملوك على الأسرة» كما في الصحيحين بلفظه.

ثمّ قال: كان رسول الله (ﷺ) يدخل على أمّ حرام بنت ملحان من
خالات النبي (ﷺ) من الرضاع، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها
يوماً فأطعمته، ثمّ جلست تفلي رأسه، فنام، ثمّ استيقظ يضحك، فقالت: ممّ
تضحك؟ قال: ناس من أمّتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج - أي:
وسطه. ومعظمه، وقيل: ظهره - هذا البحر، ملوك على الأسرة، أو كالمملوك على
الأسرة، فقالت: أدع الله تعالى أن يجعلني منهم، فدعا: لهم، ثمّ نام، ثمّ استيقظ
يضحك، فقلت: ممّ تضحك؟ فقال كالأول، فقالت: أدع الله تعالى أن يجعلني

(١) كنز العمال ٤ / ٢٩١، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٩، رقم الحديث ١٠٥٤٣.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٣٩
 منهم، فقال: أنت من الأولين، فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابّتها
 بعد خروجها منه فهلكت. والأسرة جمع سرير وهو بساط الملك^(١).
 أقول: أين لفظ المغفرة في هذا الحديث...؟ هذا ما أورده صاحب الشفاء،
 وما عقّب عليه الشيخ عليّ القارئ الحنفي.
 إذاً، الحديث عارٍ عن أيّ معنى يمتّ بصلّة إلى موضوع المغفرة. كما أن
 يزيد لم يعرف له وجود في هذا الحديث...
 وإضافة إلى ما تقدّم فسوف أضع بين يدي - الشيباني - والقراء الأعزّاء
 المصادر الصحاح المعروفة والموثوق بها عند المسلمين من أبناء العامة التي
 تؤكّد على كفر يزيد، وأنّه غير مغفور له، وأنّه في العذاب، وأنّ عليه لعنة الله
 والملائكة والأنبياء جميعاً...

الأول

ما رواه العلامة المولى المتقي الهندي في منتخب كنز العمال، قال رسول
 الله ﷺ: يزيد لا برك الله في يزيد - بن معاوية - الطعان اللعان، إنّه نعي إليّ
 حبيبي وسخيلي حسين، أتيت بترته ورأيت قاتله، أما إنّه لا يقتل بين ظهرائي
 قوم فلا ينصرونه إلا عمّهم الله بعقاب^(٢).

الثاني

ما رواه العلامة ميرزا محمد خان بن رستم خان المعتمد البدخشي في
 كتابه «مفتاح النجا في مناقب آل العبا» قال: وأخرج الطبراني، عن معاذ^(٣) أنّ
 النبي ﷺ قال: «يزيد لا برك الله في يزيد نعي إليّ حسين وأتيت بترته

(١) شرح الشفاء ١ / ٣٩٩ م دارالطبعة ، ١٢٦٤ هـ .

(٢) منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ / ص ١١١ ط الميمنية، مصر.

٤٠.....الحسين من خلال القرآن

وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا تقتل بين ظهراني قوم لا يمنعه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً^(١).

الثالث

ما رواه العلامة محمد خان البدخشي - بعين ما تقدّم - من طريق ابن عساكر، عن عبدالله بن عمرو بن العاص^(٢).

الرابع

ما رواه العلامة الشبلنجي في «نور الأبصار»: قال: روى سليمان الأعمش (رحمته الله) قال: خرجنا ذات سنة حجاً لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله)، فبينما أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل، فلما فرغت من طوافي قلت: سبحان الله العظيم، ما كان ذنب هذا الرجل؟ فتنحيت عنه، ثم مررت به مرة ثانية وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل، فلما فرغت من طوافي قصدت نحوه فقلت: يا هذا، إنك في موقفٍ عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام، فلو سألت منه - عز وجل - المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل، فإنه منعم كريم، فقال: يا عبدالله، من أنت؟ فقلت: أنا سليمان الأعمش، فقال: يا سليمان، إياك طلبت وقد كنت أتمنى مثلك فأخذ بيدي وأخرجني من داخل الكعبة إلى خارجها، فقال لي: يا سليمان، ذنبي عظيم، فقلت: يا هذا، أذنبك أعظم أم الجبل، أم السماوات، أم الارضون، أم العرش؟ فقال لي: يا سليمان، ذنبي أعظم! مهلاً حتى أخبرك بعجب رأيت، فقلت له: تكلم رحمك الله، فقال لي:

(١) مفتاح النجا ص ١٣٦ (مخطوط).

(٢) المصدر السابق.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٤١

يا سليمان، أنا من السبعين رجلاً الذين أتوا برأس الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) إلى يزيد بن معاوية، فأمر بالرأس فنصب خارج المدينة، وأمر بإنزاله ووضع في طستٍ من ذهبٍ ووضع بيت منامه، قال: فلمّا كان في جوف الليل انتبّهت امرأة يزيد بن معاوية فإذا شعاع ساطع إلى السماء، ففزعت فزعاً شديداً وانتبه يزيد من منامه، فقالت له: يا هذا، قم فإنّي أرى عجباً، قال: فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها: أسكتي فإنّي أرى كما ترين، قال: فلمّا أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاطٍ وهو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلاً فخرجنا إليه نحرسه، وأمر لنا بالطعام والشراب حتّى غرب الشمس، ومضى من الليل ماشاء الله ورقدنا، فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابة عظيمةٍ ولها دويّ كدويّ الجبال، وخفقان أجنحة، فأقبلت حتّى لصقت بالأرض، ونزل منها رجل وعليه حلّتان من حلل الجنّة ويده درانك وكراسي، فبسط الدرانك وألقى عليها الكراسي، وقام على قدميه ونادى: انزل يا أبا البشر، انزل يا آدم، فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيباً، فأقبل حتّى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا وليّ الله، السلام عليك يا بقيّة الصالحين، عشت سعيداً وقتلت طريداً، ولم تزل عطشاناً حتّى ألحقك الله بنا، رحمك الله، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم زال وقعد على كرسيٍّ من تلك الكراسي. قال: يا سليمان، ثمّ لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتّى لصقت بالأرض، فسمعت منادياً يقول: انزل يا نبي الله، انزل يا نوح، وإذا برجل أتمّ الرجال خلقاً، وإذا بوجهه صفرة وعليه حلّتان من حلل الجنّة، فأقبل حتّى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا عبدالله، السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتّى ألحقك الله بنا، غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم زال فقعد على كرسيٍّ من تلك الكراسي.

٤٢.....الحسين من خلال القرآن

قال: يا سليمان، ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابةٍ أعظم منها، فأقبلت حتى لصقت بالأرض، فقام الأذان، وسمعت منادياً ينادي: انزل يا خليل الله، انزل يا إبراهيم، وإذا برجلٍ ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني أبيض الوجه أملح الرجال شيباً، فأقبل حتى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا عبدالله، السلام عليك يا بقية الصالحين، قتلت طريداً، وعشت سعيداً، ولم تزل عطشاً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم تنحى فقعده على كرسيٍّ من تلك الكراسي.

ثم لم ألبث إلا يسيراً فإذا بسحابةٍ عظيمةٍ فيها دويٌّ كدويِّ الرعد وخفقان أجنحةٍ فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان، فسمعت قائلاً يقول: انزل يا نبي الله، انزل يا موسى بن عمران، قال: فإذا برجلٍ أشدَّ الناس في خلقه واتمهم في هيئته وعليه حلّتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس، فقال مثل ما تقدّم ثم تنحى فجلس على كرسيٍّ من تلك الكراسي.

ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابةٍ أخرى وإذا فيها دويٌّ عظيم وخفقان أجنحةٍ فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا عيسى، انزل يا روح الله، فإذا أنا برجلٍ محمّرٍ الوجه وفيه صفرة، وعليه حلّتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل مقالة آدم ومن بعده. ثم تنحى فجلس على كرسيٍّ من تلك الكراسي.

ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابةٍ عظيمةٍ فيها دويٌّ كدويِّ الرعد والرياح، وخفقان أجنحةٍ فنزلت حتى لصقت بالأرض، فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي: انزل يا محمد، انزل يا أحمد، وإذا بالنبي وعليه حلّتان من حلل الجنة وعن يمينه صف من الملائكة والحسن وفاطمة (رضي الله عنهما)، فأقبل حتى دنا من الرأس فضمّه إلى صدره وبكى بكاءً شديداً، ثم دفعه إلى أمّه فاطمة فضمّته إلى صدرها وبكت بكاءً شديداً حتى علا بكاؤها، وبكى لها من سمعها

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٤٣

في ذلك المكان، فأقبل آدم (عليه السلام) حتى دنا من النبي (ﷺ) فقال: السلام على الولد الطيّب، السلام على الخلق الطيّب، أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك في ابنك الحسين، ثم قال النبي (ﷺ): يا أبي آدم، ويا أبي نوح، ويا أبي إبراهيم، ويا أخي موسى ويا أخي عيسى، اشهدوا وكفى بالله شهيداً على أمتي بما كافؤني في ابني وولدي من بعدي، فدنا منه ملك من الملائكة فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم، أنا الملك الموكل بسماء الدنيا، أمرني الله تعالى بالطاعة لك، فلو أذنت لي أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم أحد، ثم قام ملك آخر فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم، أنا الموكل بالبحار، أمرني الله بالطاعة لك، فإن أذنت لي أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد، فقال النبي (ﷺ): يا ملائكة ربّي، كفّوا عن أمتي، فإن لي ولهم موعداً لن أخلفه، فقام إليه آدم (عليه السلام) فقال: جزاك الله خيراً من نبي أحسن ما جُوزي به نبي عن أمته، فقال له الحسن: يا جدّاه، هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخي، وهم الذين أتوا برأسه، فقال النبي (ﷺ): يا ملائكة ربّي، أقتلوهم بقتلهم ابني، قال: فوالله ما لبثت إلاّ يسيراً حتّى رأيت أصحابي قد ذُبحوا أجمعين، فقال: فلصق بي ملك ليذبّحني فناديت: يا أبا القاسم أجبرني وارحمني يرحمك الله، فقال: كفّوا عنه ودنا منّي، وقال: أنت من السبعين رجلاً؟ قلت: نعم، فألقى يده في منكبي وسحبني على وجهي، وقال: لا رحمك الله ولا غفر لك، أحرّق الله عظامك بالنار، فلذلك أيسّت من رحمة الله! فقال الأعمش: اليك عنّي، فإنّي أخاف أن أعاقب من أجلك^(١).

الخامس

ما رواه العلامة الخوارزمي في «مقتل الحسين»، قال: نقل عن معاوية في وصيّته ليزيد: فقد حدّثني ابن عباس فقال: حضرت رسول الله (ﷺ) عند وفاته وهو يوجد بنفسه، وقد ضمّ الحسين إلى صدره وهو يقول: هذا من أطائب

(١) نور الأبصار / ١٢٥ ط مصر، وكذا في شرح الشفاء: الفصل (٢٤).

٤٤.....الحسين من خلال القرآن

أرومتي وأبرار عترتي وخيار ذريّتي، لا بارك الله فيمن لم يحفظه من بعدي، قال ابن عباس: ثمّ أغمي على رسول الله ساعةً، ثمّ أفاق فقال: يا حسين، إنّ لي ولقاتلك يوم القيامة مقاماً بين يدي ربّي وخصومةً، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصماً لمن قاتلك يوم القيامة، يا بني، فهذا حديث ابن عباس. وأنا أحدثك عن رسول الله (ﷺ)، قال: أتاني يوماً حبيبي جبرئيل فقال: يا محمد، إنّ أمّتك تقتل ابنك حسيناً، وقاتله لعين هذه الأمّة، ولقد لعن النبيّ (ﷺ) قاتل حسينٍ مراراً، فانظر يا بني، ثمّ أنظر أن تتعرّض له بأذى، فإنّه مزاج ماء رسول الله، وحقّه - والله - يا بنيّ عظيم، وقد رأيتني كيف كنت احتمله في حياتي وأضع له رقبتني وهو يجبهني بالكلام القبيح الذي يوجع قلبي فلا أجيبه ولا أقدر له حيلة؛ لأنّه بقية أهل الله بأرضه في يومه هذا، وقد أعذر من أنذر، ثمّ أقبل معاوية على الضحّاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المريّ وهما من أعظم قوّاده، وهما اللذان كانا يأخذان البيعة ليزيد، فقال لهما: اشهدا على مقاتلي هذه، فوالله لو فعل بي الحسين وفعل لاحتملته، ولم يكن الله تعالى يسألني عن دمه، أفهمت عنّي يا بني ما أوصيتك به؟ قال: قد فهمت يا أمير المؤمنين^(١).

السادس

ممنّ روى الحديث المتقدّم: العلامة ابن الأثير الجزريّ في «أسد الغابة»، نقله عن حمّاد بن سلمة، عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عباس^(٢).

السابع

وممنّ رواه: العلامة محبّ الدين الطبريّ في «ذخائر العقبى»، نقله عن

(١) مقتل الخوارج ١ / ١٧٣ ط الغري.

(٢) أسد الغابة ٢ / ٢٢، ط مصر.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٤٥

طريق ابن بنت منيع، ومن طريق أبي عمر الحافظ السكّني^(١).

الثامن

وممّن رواه: العلامة ابن حجر العسقلانيّ في «تهذيب التهذيب»، نقله عن حمّاد بن سلمة، عن عمّار ابن أبي عمّار، عن ابن عبّاس^(٢).

التاسع

وممّن رواه العلامة الذهبيّ في «تلخيص المستدرک» المطبوع بذيّل المستدرک^(٣).

العاشر

وممّن رواه العلامة سبط ابن الجوزيّ في «التذكرة»، نقله من طريق زيد ابن الحسن اللغوي، قال: أخبرنا أبو منصور القزّار، أخبرنا أحمد بن عليّ بن ثابت، أخبرنا ابن زرق، أخبرنا محمد بن عمر الحافظ، حدّثنا الفضل بن حبّاب، حدّثنا محمد بن عبدالله الخرزجي، حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن عمّار ابن أبي عمّار، عن ابن عبّاس^(٤).

الحادي عشر

وممّن رواه العلامة الكنجيّ في «كفاية الطالب»، نقله من طريق العدل أبي

(١) ذخائر العقبي / ١٤٨ ط مطبعة القدس، القاهرة.

(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٣، ط حيدر آباد.

(٣) المستدرک ٤ / ٤٩٧ ط حيدر آباد.

(٤) تذكرة الخواص / ٢٧٨ المطبعة الحيدرية، النجف.

٤٦.....الحسين من خلال القرآن

العبّاس بن المفرج الدمشقي، عن العلامة أبي محمد بن عبدالله بن الخشاب النحوي، أخبرنا عبدالله بن شاتيل، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبوبكر، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، أخبرني أبي، حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد عن عمّار ابن أبي عمّار عن ابن عبّاس^(١).

الثاني عشر

وممن رواه: العلامة القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة»^(٢).

الثالث عشر

وممن رواه: ابن الأثير الجزري في «الكامل»^(٣).

الرابع عشر

ورواه: أيضاً ابن الأثير الجزري أيضاً في «المختار»^(٤).

الخامس عشر

وممن رواه: ابن كثير في «البداية والنهاية»، نقله عن سعيد بن نصر، عن قاسم بن أصبغ، عن ابن وضّاح عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن عفّان، عن حمّاد بن سلّمة^(٥).

(١) كفاية الطالب / ٢١٠ مطبعة الغري.

(٢) ينابيع المودة / ٣٢٠ ط اسلامبول.

(٣) الكامل ٣ / ٣٠٣ ط المطبعة المنيرية، مصر.

(٤) المختار / ٢٢.

(٥) البداية والنهاية ١ / ١٤٣.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٤٧.

السادس عشر

وممّن رواه: الشيخ حسين بن محمد المالكيّ في «تأريخ الخميس»^(١).

السابع عشر

وممّن رواه: باكثر الحضرميّ في «وسيلة المآل»^(٢).

الثامن عشر

وممّن رواه: السيوطي في «الخصائص الكبرى»، نقله عن الإمام أحمد والبيهقي^(٣).

التاسع عشر

وممّن رواه: ابن الصبّان المصريّ في «إسعاف الراغبين» المطبوع بهامش نور الأبصار^(٤).

العشرون

وممّن رواه: ابن حجر العسقلانيّ في «الإصابة»^(٥).

الحادي العشرون

وممّن رواه: الحافظ مخلص الدين، أبو عبدالله محمد بن أحمد المعمر

(١) تأريخ الخميس ٢ / ٣٠٠ ط الأستانة الوهيّة، مصر.

(٢) وسيلة المآل / ١٩٨.

(٣) الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦ ط حيدر آباد.

(٤) إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار ١ / ١٩١ ط مصر.

(٥) الإصابة ١ / ٣٣٤ ط مصر، مصطفى محمد.

٤٨.....الحسين من خلال القرآن

القرشي في مسنده على ما في مناقب الكاشي^(١).

الثاني والعشرون

حديث معاذ بن جبل رواه العلامة الطبراني في «المعجم الكبير»، قال: حدثنا الحسن بن العباس الرازي، حدثنا سلم بن منصور بن عمار، حدثنا أبي (ح)، وحدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيّان الرقي، حدثنا عمرو بن بكر ابن بكّار القعني، حدثنا مجاشع بن عمرو، قال: حدثنا عبدالله بن لهيعة، عن أبي قبيل، حدثني عبدالله بن عمرو بن العاص أنّ معاذ بن جبل أخبره قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متغير اللون، فقال: أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه، فأطيعوني مادمت بين أظهركم، فإذا أذهبت فعليكم بكتاب الله عزوجلّ، أحلّوا حلاله وحرموا حرامه، أتتكم الموتة أتتكم بالروح والراحة، كتاب من الله سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلّما ذهب رسل جاء رسل تناسخت النبوة، فصارت ملكاً، رحم الله من أخذها بحقّها وخرج منها كما دخلها، أمسك يا معاذ واحص، قال: نعي إليّ حسين، وأتيت بتربته، وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهري قوم لا يمنعه إلاّ خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلّط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً، ثم قال: واهاً لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف، أمسك يا معاذ، فلمّا بلغت عشرة قال: الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل البيت يسأل الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناس وكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه - ثم قال: بعد العشرين ومائة موت سريع وقيل ذريع، ففيه هلاكهم، ويلى عليهم رجل من ولد العباس^(٢).

(١) مسند الحافظ القرشي / ٢٦٢ (مخطوط).

(٢) نقلنا الحديث كما هو، ولا يخلو من تصحيف. ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ١١ / ٦٦ ،

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٤٩

الثالث والعشرون

وممّن روى حديث معاذ بن جبل: الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد^(١).

الرابع والعشرون

وممّن رواه: العلامة البدخشي في «مفتاح النجا في مناقب آل العبا»^(٢).

الخامس والعشرون

وممّن رواه: العلامة الخوارزمي في «مقتل الحسين»^(٣).

السادس والعشرون

حديث المسور بن مخرمة، نقله العلامة الخوارزمي في «مقتل الحسين» قال: قال المسور بن مخرمة: ولقد أتى النبي (ﷺ) ملك، من ملائكة الصفيح الأعلى لم ينزل إلى الأرض منذ خلق الله الدنيا، وإثما استأذن ذلك الملك ربّه ونزل شوقاً منه إلى رسول الله (ﷺ)، فلما نزل إلى الأرض أوحى الله عز وجلّ إليه: أيّها الملك، أخبر محمداً بأن رجلاً من أمّته يقال له: يزيد يقتل فرخك الطاهر وابن الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، فقال الملك: إلهي وسيدي، لقد نزلت وأنا مسرور بنزولي إلى نبيك فكيف أخبره بهذا الخبر؟! ليتني لم أنزل عليه، فنودي الملك من فوق رأسه: أن امضِ لِمَا أمرت، فجاء وقد نشر أجنحته حتّى وقف بين يديه، فقال: السلام عليك يا حبيب الله، إني استأذنت ربّي في

والشهاد التستري في إحقاق الحق ١١ / ٣٨٤.

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٩ ط مكتبة القدسي، القاهرة.

(٢) مفتاح النجا / ١٣٥ (مخطوط).

(٣) مقتل الخوارزمي ١ / ١٦٠ مطبعة الغري.

٥٠.....الحسين من خلال القرآن

النزول إليك فليت ربّي دقّ جناحيّ ولم آتِك بهذا الخبر، ولكّنيّ مأمور يا نبيّ الله، اعلم: أنّ رجلاً من أمتك يقال له: يزيد يقتل فرحك الطاهر ابن فرختك الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، ولم يمتّع من بعد ولدك، وسيأخذه الله معافصة على سوء عمله فيكون من أصحاب النار، فقال: ولمّا أتت على الحسين من مولده ستان كاملتان خرج النبيّ في سفرٍ، فلمّا كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك؟ فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرضٍ بشاطئيّ الفرات يقال لها: كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة، فقيل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال: له يزيد، لا بارك الله في نفسه، وكأنيّ أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها وقد أهدي رأسه، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلاّ خالف الله بين قلبه ولسانه، يعني لبس في قلبه ما يكون بلسانه من الشهادة، قال: ثمّ رجع النبيّ من سفره ذلك مغموماً، فصعد المنبر فخطب ووعظ، والحسين بين يديه مع الحسن، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسين ورفع رأسه إلى السماء، وقال: اللّهمّ إنيّ محمد عبدك ونبّيّك، وهذان أطائب عترتي وخيار ذريّتي وأرومتي ومن أخلفهما في أمّتي، اللّهمّ وقد أخبرني جبرئيل بأنّ ولدي هذا مقتول مخذول، اللّهمّ فبارك لي في قتله، واجعله من سادات الشهداء، إنّك على كلّ شيءٍ قدير، اللّهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله، قال: فضجّ الناس في المسجد بالبكاء، فقال النبيّ: أتبكون ولا تنصرونه؟ اللّهمّ فكن له أنت وليّاً وناصراً^(١).

السابع والعشرون

أمّا حمل الرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية في الشام، والذي أنكره الشيبانيّ فنذكر في صفته حديثاً نقله العلامة الخوارزمي في «مقتل الحسين»،

(١) مقتل الخوارزمي ١ / ١٦٢ ط الغري، نجف.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٥١

قال: حدّثنا عَيْنُ الأئمة أبو الحسن عليّ بن أحمد الكرباسيّ الخوارزمي، حدّثنا الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن محمد البلالي، حدّثنا الإمام السيد المرتضى أبو الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسينيّ الحسني، أخبرنا الحسن بن أحمد الفارسي، أخبرنا عليّ بن عبد الرحمن، حدّثنا محمد بن منصور، حدّثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن حسين، عن أبي خالد، عن زيد، عن ابن لهيعة، قال: كنت أطوف بالبيت إذا أنا برجلٍ يقول: اللهم اغفر لي وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبدالله، اتّق الله، لا تقل مثل هذا، فإنّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار واستغفرت الله غفرها لك فإنه غفور رحيم، فقال لي: تعال حتّى أخبرك بقصّتي، فأتيتّه فقال: اعلم: إنّنا كنّا خمسين نفرًا حين قتل الحسين بن عليّ، وسلّم إلينا رأسه لنحمله إلى يزيد بالشام، فكنا إذا أمسينا نزلنا وادياً ووضعنا الرأس في تابوت، وشربنا الخمر حوالى التابوت إلى الصباح، فشرب أصحابي ليلة حتّى سكروا ولم أشرب معهم، فلمّا جنّ الليل سمعت رعداً وبرقاً، وإذا أبواب السماء قد فتحت، فنزل آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل ونبينا محمد صلوات الله عليهم، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل من التابوت فأخرج الرأس وقبّله وضمّه، ثمّ فعل الأنبياء كذلك، ثمّ بكى النبي محمد (ﷺ) على رأس الحسين، فعزّاه الأنبياء، وقال له جبرئيل: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أمّتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط، فقال النبي (ﷺ): لا يا جبرئيل، فإنّ لهم معي موقفاً بين يدي الله - عزّ وجلّ - يوم القيامة، قال: ثمّ صلّوا عليه ثمّ أتى قوم من الملائكة فقالوا إنّ الله تعالى أمرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبي (ﷺ): شأنكم بهم، قال: فجعلوا يضربونهم بالحربات، وقصدني واحد منهم بحرّبه ليضربني فصحت: الأمان... الأمان يا رسول الله، فقال لي: اذهب فلا غفر الله لك،

٥٢.....الحسين من خلال القرآن

قال: فلمّا أصبحت رأيت أصحابي جاثمين رماداً^(١).

الثامن والعشرون

في حرمان يزيد الشفاعة

ذكر العلامة أبو اسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى في «غرر الخصائص الواضحة»، قال: ويقال: إنّه لمّا حمل رأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد بن معاوية ووضع بين يديه خرجت كفّ يد من الحائط فكتبت في جبهته أي: جبهة يزيد بن معاوية:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب^(٢)

التاسع والشعرون

ممن روى البيت المتقدم: ابن المغازلي في «مناقبه»^(٣).

الثلاثون

في حمل الرأس الشريف من الكوفة إلى يزيد بن معاوية في الشام ذكر الأستاذ الشيخ محمد الصبّان في كتابه «إسعاف الراغبين في هامش «نور الأبصار»، قال: ولما قتل الحسين (عليه السلام) حزّوا رأسه وأتوا به إلى ابن زياد فأرسله ومن معه من أهل بيته إلى يزيد، ومنهم: عليّ بن الحسين وعمّته زينب، فسّر يزيد سروراً كثيراً وأوقفهم موقف السبي وأهانهم، وصار يضرب الرأس

(١) مقتل الخواري ٢ / ٨٧ ط الغري.

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي ٩ / ١٩٩ ط مكتبة القدسي ١٣٥٣ القاهرة، وغرر الخصائص الواضحة ص ٢٧٦ ط مصر.

(٣) مناقب ابن المغازلي ص ٣٨٨ م الاسلامية طهران.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٥٣

الشریف بقضيبي كان معه، ويقول: لقيت بغيك يا حسين وبالغ في الفرح، ثم ندم لما مقتته المسلمون على ذلك، وأبغضه العالم. وفي هذه القصة تصديق لقوله (ﷺ): إنَّ أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإنَّ أشدَّ قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو مخزوم^(١).

ورواه الحاكم، وما ذكر: من أنَّ الضارب لرأس الحسين بالقضيب يزيد هو ما في طبقات المناوي.

ثم قال: ولكن نقل في الصواعق: أنَّه ابن زياد، وأنه كان عنده أنس فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله... إلى أن يقول: ويمكن الجمع بأنَّ هذا الفعل - الضرب بالقضيب على ثنایا الحسين - وقع أولاً من ابن زياد، ثم وقع ثانياً من يزيد^(٢).

الحادي والثلاثون

وممن روى حديث حمل الرأس إلى يزيد وأنه جعل ينكت بالقضيب ثغر الحسين: البلاذري في كتابه أنساب الأشراف^(٣) وتذكرة الخواص^(٤)، وكذا ابن الجوزي في كتابه «الرد على المتعصب العنيد» بطرق عديدة.

الثاني والثلاثون

ذكر العلامة سبط ابن الجوزي في «التذكرة»، قال: ذكر عبد الملك بن هشام في كتاب السيرة الذي أخبرنا القاضي الأسعد أبو البركات عبد القوي ابن

(١) اسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار.

(٢) نور الأبصار ١٨٩ - ١٩١.

(٣) أنساب الأشراف ٣ / ٢١٤، ط دار التعارف.

(٤) تذكرة الخواص ٢٣٥ - ٢٣٦.

٥٤.....الحسين من خلال القرآن

أبي المعالي ابن الجبار السعدي في جمادي الأولى سنة تسع وستمئة بالديار المصرية قراءة عليه ونحن نسمع، قال: أنبأنا أبو محمد عبدالله بن رفاعة بن غدِير السعدي في جمادي الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة، قال: أنبأنا أبو الحسن عليّ ابن الحسن الخلعي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن سعيد النحاس النحوي، أنبأنا أبو محمد عبدالله بن هشام النحوي البصري، قال: لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد بن معاوية مع الأسرى موثقين في الجبال منهم نساء وصبيان وصبيّات من بنات رسول الله (ﷺ) على أقتاب الجمال موثقين، مكشّفات الوجوه والرؤوس، وكلّما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدّوه له، فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل، ثم يعيدونه إلى الصندوق ويرحلون، فنزلوا بعض المنازل، وفي ذلك المنزل دير فيه راهب، فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادته وأسندوا الرمح إلى الدير، فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ابن زياد. قال: وهذا الرأس؟ قالوا: رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ابن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) قال: نبيكم؟ قالوا: نعم، قال بشس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه أحداقنا، ثم قال: هل لكم في شيء؟ قالوا: وما هو؟ قال عندي عشرة آلاف دينار تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة، وإذا رحلتم تأخذونه، قالوا: وما يضرّنا، فناولوه الرأس وناولهم الدنانير، فأخذه الراهب، فغسّله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كلّهُ، فلما أسفر الصبح قال: يا رأس، لا أملك إلا نفسي، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ جدّك محمداً رسول الله وأشهد الله أنّي مولاك وعبدك، ثمّ خرج من الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت.

قال ابن هشام في السيرة: ثمّ إنهم أخذوا الرأس وساروا، فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتّى نقسّم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منّا،

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٥٥

فأخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً وعلى أحد جانبي الدينار مكتوب: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الآية، وعلى الجانب الآخر: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون﴾ فرموها في برّدى^(١).

وفي مجمع الزوائد للهيثمي: ذكر كتاب يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد يقول فيه: قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلاد، وابتليت به من بين العمّال، وعندها تُعتق أو تعود عبداً كما تُعتبد العبيد، فقتله عبيد الله بن زياد وبعث برأسه إليه، فلمّا وضع بين يديه تمثّل بقول الحصين بن حمام المري:

نفلق هاماً من رجالٍ أحبّةٍ إلينا وهم كانوا أحقّ وأظلمنا
قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله ثقات^(٢).
وكذا رواه البلاذري في أنساب الأشراف^(٣).

الثالث والثلاثون

وممن روى الحديث المتقدم: العلامة ابن حجر الهيثمي العسقلاني في كتابه «الصواعق المحرقة»^(٤).

الرابع والثلاثون

وممن رواه: العلامة أبوبكر الحضرمي في «رشفة الصادي»^(٥).

(١) انظر تذكرة الخواص ص ٢٣٦ - ٢٣٧ م مؤسسة أهل البيت / بيروت.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٣، وص ١٩٥ مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٣ م.

(٣) أنساب الأشراف ٣ / ١٦٠ دار التعارف بيروت ط ١٩٧٧ م.

(٤) الصواعق المحرقة ص ١١٩ ط حلب.

(٥) رشفة الصادي ص ١٦٤ ط مصر وص ٦٠ نقلاً عن روض الأخبار.

٥٦.....الحسين من خلال القرآن

الخامس والثلاثون

وممن رواه: العلامة القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة»^(١).

السادس والثلاثون

وممن رواه: العلامة الخوارزمي في «مقبل الحسين»^(٢).

وممن ذكر حمل الرأس الشريف إلى يزيد: البلاذري في «أنساب الأشراف»^(٣).

السابع والثلاثون

ذكر المقرئ في خطه انه لما اخرج الرأس من عسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريخ المسك وهذا يدل على ان الرأس الشريف قد حمله العسكر إلى الشام إلى يزيد بن معاوية ثم طافوا به البلدان منها عسقلان^(٤).

هذه جملة من مصادر أبناء العامة في التأريخ والحديث والسيرة والتراجم التي أكدت على أن قاتل الحسين هو يزيد بن معاوية وإن لم يباشر يزيد القتل بنفسه، وأن الذي اقترفه بحق الحسين لجرم عظيم لا يغتفر، وأنه من المخلدين في نار جهنم، هو ومن تبعه ومن رضي بفعله، ومن حاول تنزيهه أو تبرئته، وقد تركنا مئات الأحاديث في هذا الباب خوف الإطالة، فهل من واعظ يتعظ؟ أو من زاجر ينزجر؟ فهذه بضاعتكم ردت إليكم... فهل تعي القلوب التي أبغضت علياً وأبناءه؟ بل إنما لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها!!

بعد هذه المطالعة السريعة في مصادر كتب العامة ولكبار علمائهم

(١) ينابيع المودة ص ٣٢٥ ط اسلامبول.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ١٠٢، م الزهراء.

(٣) أنساب الأشراف ٣ / ١٩٣ و ٢١٢ و ٢١٩ و ٢٢٠ ط دار التعارف بيروت ١٩٧٧.

(٤) انظر الخطط المقرئية ٢ / ٢٨٤.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٥٧.

ومصنّفهم، وبعدهما تبَيَّن أن يزيد قاتل الحسين بلا منازع في ذلك عند جميع طوائف المسلمين إلّا من أعمى الله قلبه قبل عينيه فأولئك الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة... بعد هذا كلّهُ لنضع بين يدي الشيبانيّ بعض الأحاديث ومن طرق القوم التي تنصّ على عذاب قاتلي الحسين وكفرهم، وبراءة الرسول منهم...، فتتابع التسلسل المتقدّم.

الثامن والثلاثون

ما رواه ابن المغازليّ بإسناده قال: قال رسول الله (ﷺ): إنّ موسى بن عمران سأل ربّه - عزوجلّ - فقال: يا ربّ، إنّ أخي هارون قد مات فاغفر له! فأوحى الله - عزوجلّ - إليه: يا موسى، لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن عليّ فإنّي أنقم له من قاتله^(١).

التاسع والثلاثون

وممّن رواه: العلامة الخوارزميّ في (مقتل الحسين)^(٢).

الأربعون

وممّن رواه: العلامة السيوطيّ في ذيل اللّالي^(٣).

الحادي والأربعون

ذكر الحافظ أبوبكر البغداديّ في تاريخ بغداد، قال: أخبرني الأزهرى حدّثنا المعافى بن زكريا الجريري، حدّثنا محمد بن مزيد ابن أبي الأزهر، حدّثنا

(١) مناقب ابن المغازلي ص ٦٨.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٨٥ ط الغري.

(٣) ذيل اللّالي ص ٧٦ ط لکنهو - الهند.

٥٨ الحسين من خلال القرآن

عليّ بن مسلم الطوسي قال: حدّثنا سعيد بن عامر، عن قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه، عن جدّه، عن جابر بن عبد الله قال: وأنبأنا مرّة أخرى عن أبيه، عن جابر قال رأيت رسول الله - (ﷺ) وهو يفخّج بين فخذَي الحسين ويقبّل زبيبتَه ويقول: لَعَنَ اللهُ قاتلك، قال جابر: فقلت: يا رسول الله، ومن قاتله؟ قال: رجل من أمّتي يبغض عترتي لا تناله شفاعتي، كأني بنفسه بين أطباق النيران يرسب تارةً ويطفو أخرى، وأنّ جوفه ليقول: عَقَّ عَقِّي^(١).

الثاني والأربعون

وممّن رواه: الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في «لسان الميزان»^(٢).

الثالث والأربعون

وممّن رواه: ابن عساكر الدمشقيّ في «تأريخ دمشق»^(٣).

الرابع والأربعون

ما رواه العلامة الشيخ ابراهيم بن محمد ابن أبي بكر الحمويّ في كتابه «فرائد السمطين»، باسناده عن مجاهد قال: قال ابن عباس: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في حديث: فلمّا ولد الحسين بن عليّ وكان مولده عشية الخميس ليلة الجمعة أوحى الله - عز وجلّ - إلى مالك خازن النار: أخدم النيران على أهلها لكرامة مولدٍ ولد لمحمّد (ﷺ) في دار الدنيا، وأوحى الله تبارك وتعالى إلى رضوان خازن الجنان: طيّبها لكرامة مولدٍ ولد لمحمّد (ﷺ) في دار

(١) تاريخ بغداد ٣ / ٢٠٩ ط السعادة - مصر.

(٢) لسان الميزان ٥ / ٣٧٧ ط حيدر آباد.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ / ٣٣٩ ط روضة الشام.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته ٥٩.

الدنيا، وأوحى الله تبارك وتعالى إلى حور الدين، أن تزيّنوا وتزاوروا لكرامة مولد ولد لمحمد (ﷺ) في دار الدنيا، وأوحى الله إلى الملائكة. أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتحميد والتكبير لكرامة مولود ولد لمحمد (ﷺ) في دار الدنيا، وأوحى الله - عزوجل - لجبرائيل: أن أهبط إلى النبي محمد (ﷺ) في ألف قبيل، والقبيل ألف ألف من الملائكة على خيول بلق مسرّجة ملجمة عليها قباب الدرّ والياقوت، ومعهم ملائكة يقال لهم: الروحانيون بأيديهم حراب من نور أن هنوا محمداً بمولوده، وأخبره يا جبرئيل أنني قد سمّيته الحسين فهنّه وعزّه، وقل له: يا محمد، تقتله شرّ أمتك على شرّ الدواب، فويل للقاتل، وويل للسانق، وويل للقائد، وقاتل الحسين أنا منه بريء، وهو منّي بريء، لأنّه لا يأتي يوم القيامة أحد إلّا وقاتل الحسين أعظم جرماً، قاتل الحسين يدخل النار يوم القيامة مع الذين يزعمون أنّ مع الله إلهاً آخر، وللنار أشوق إلى قاتل الحسين ممّن أطاع الله إلى الجنّة، قال: فبينما جبرائيل (عليه السلام) يهبط من السماء إلى الدنيا إذ مرّ بدردائيل فقال له دردايل: يا جبرائيل، ما هذه الليلة في السماء؟ هل قامت القيامة على أهل الدنيا؟ قال: لا، ولكن ولد لمحمد (ﷺ) مولود في دار الدنيا، وقد بعثني الله - عزوجل - إليه لأهنّيه بمولوده، فقال له الملك: يا جبرائيل، بالذي خلقتني وخلقك إنّ هبطت إلى محمد فأقرأه منّي السلام، وقل له: بحقّ هذا المولود عليك إلّا ما سألت ربّك أن يرضى عني ويردّ عليّ أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة، فهبط جبرائيل على النبي (ﷺ) فهنّاه كما أمره الله - عزوجل - وعزّاه، فقال له النبي (ﷺ): تقتله أمتي؟ فقال له: نعم يا محمد، فقال النبي (ﷺ): ما هؤلاء بأمتي أنا بريء منهم والله بريء منهم، فدخل النبي (ﷺ) على فاطمة فهنّاه وعزّاه، فبكت فاطمة (عليها السلام) ثمّ قالت: يا ليتني لم ألدّه، فقال النبي (ﷺ) وأنا أشهد بذلك... الخ^(١).

٦٠.....الحسين من خلال القرآن

الخامس والأربعون

ذكره العلامة ابن المغازلي في «المناقب»^(١).

السادس والأربعون

ممن روى الحديث المتقدم بعينه: العلامة أبو اليقظان الكازروني في «شرف النبي»^(٢) على مناقب الكاشي.

السابع والأربعون

وممن رواه العلامة القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة»^(٣).

الثامن والأربعون

وممن رواه: العلامة ابن الصبان المصري في «إسعاف الراغبين»^(٤).

التاسع والأربعون

وممن رواه: العلامة الشبلنجي في «نور الأبصار»^(٥).

الخمسون

وممن رواه: العلامة السخاوي في «المقاصد الحسنة»^(٦).

(١) مناقب ابن المغازلي ص ٤٠٣ و ٦٦ ط ٢، ١٤٠٢ م الاسلامية طهران.

(٢) شرق النبي على مناقب الكاشي ص ٢٥٢ مخطوط.

(٣) ينابيع المودة ص ٢٦٢ ط اسلامبول.

(٤) اسعاف الراغبين ص ١٨٦ مصر.

(٥) نور الأبصار ص ١٢٧ مصر.

(٦) المقاصد الحسنة ص ٣٠٢ ط مكتبة الخانجي، مصر.

١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته..... ٦١

الحادي والخمسون

وممن رواه العلامة ابن الربيع الشيباني في «تميز الطيّب من الخبيث»^(١).
تتابع موضوع حمل الرأس - والطواف به في البلدان مع السبايا والذي
أنكره الشيباني... مع متابعة التسلسل:

الثاني والخمسون

قال العلامة الشبلنجي في كتابه «نور الأبصار»: ... فلما دخلوا بهم - نساء
آل محمد الذين أسرههم عمر بن سعد ثم صيرهم من كربلاء إلى الكوفة
فأدخلهم على الوالي - على عبيد الله بن زياد، أرسل بهم رأس الحسين معهم إلى
الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يقال له: زجر بن قيس ومعه جماعة هو
مقدمهم، وأرسل بالنساء والصبيان على أقتابٍ ومعه عليّ بن الحسين، وقد جعل
ابن الزيادة الغلّ في يديه وعنقه، ولم يزلوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن
وصلوا إلى الشام، فتقدّم زجر بن قيس فدخل على يزيد فقال له: هات ما وراءك؟
قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره؛ ورد علينا الحسين بن عليّ في
ثمانية عشر من أهل بيته...».

ثم يقول الشبلنجي تحت عنوان «فصل»: اختلفوا في رأس
الحسين (عليه السلام) - بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار وفي أي موضع استقر؟
فذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به في البلاد، فطيف به حتى انتهى إلى
عسقلان فدفنه أميرها بها... الخ^(٢).

(١) تميز الطيّب من الخبيث ص ١٣٩، مصر.

(٢) نور الأبصار ص ١٣١ - ١٣٣ ط صر.

٦٢.....الحسين من خلال القرآن

الثالث والخمسون

ممن روى الحديث المتقدم: الشيخ محمد الصبان في كتابه «إسعاف الراغبين»^(١) المطبوع بهامش نور الأبصار.

الرابع والخمسون

ذكر ابن جرير الطبري في تأريخه عندما تطرق لحديث الحسين (عليه السلام):
أن يزيد بن معاوية الشارب الخمر هو الذي جهّز الناس لحرب الحسين بن علي (عليه السلام) بإيعاز إلى عبيد الله بن زياد الذي ضمّ إليه ولاية الكوفة مع ولاية البصرة^(٢).

الخامس والخمسون

ابن الأثير في الكامل يذكر صفات يزيد بن معاوية الشارب الخمر، وما جرى في زمنه، وإقدامه على حرب الحسين (عليه السلام)^(٣).

السادس والخمسون

ذكر الخوارزمي في مقتل الحسين: أن الرسول (صلى الله عليه وآله) أمر بقتل معاوية ابن أبي سفيان، وهو الذي قال (عليه السلام): «إنّ الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»^(٤).

ولا ينكر أن يزيد بن معاوية داخل في عموم قول النبي (صلى الله عليه وآله)، فإنّ يزيد

(١) إسعاف الراغبين ص ١٨٩ ط مصر.

(٢) تاريخ الطبري ٧ / ٢١٦.

(٣) انظر تفاصيل ذلك في الكامل لابن الأثير ٣ / ٢٦٤.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١٨٥ واللهم في قتل الطفوف ٢٠.

٦٣ ١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته

هو من آل أبي سفيان نسباً وعقيدة.

قال شارح الشفا؛ ملا علي ابن سلطان محمد القاري الحنفي: وقال - أي النبي عليه الصلاة والسلام - كما في الصحيحين هلاك أمّتي على يدي أغيلمه تصغير تحقير لا غلّمة جمع غلام، يعني صبيان من قريش، وفي رواية أعوذ بالله من إمارة الصبيان.

وقال (عليه السلام): إن أطعتموهم أذلتكم وإن عصيتموهم أهلكتكم إذ هم صغار الانسان. وقال أبو هريرة راويه - أي راوي هذا الحديث: لو شئت لسميتهم لكم، أي بيّنتهم، وقلت لكم أنّهم بنو فلان وبنو فلان، لكني ما أشاء تسميتهم صريحاً خوف الفساد والفتنة، إلا أن في العبارة إشارة بالكنية، والمراد يزيد بن معاوية، فإنّه بعث إلى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فأباحها ثلاثة أيّام فقتل من خيار أهلها كثيراً؛ فيهم ثلاثة من الصحابة، وأزيلت بكارة ألف عذراء. وبعده بنو مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما أوجب أنّ النبي (ﷺ) تبرأ منهم. كما رواه الشيخان أنه قال أنّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء ولكن لهم رحم سألها ببلالها، فالمكّنّي هو الحكم بن العاص وبنوه فإنّهم آله، فكُنّي عنهم بعض رواة هذا الحديث حذراً منهم إذ كانوا ولاية الأمر وأصحاب الشر. هذا وقد قال القرطبي هم والله تعالى اعلم يزيد بن معاوية، وعبدالله بن زياد ومن جرى مجراهم من احداث ملوك بني أمية^(١).

السابع والخمسون

مما يؤكّد انحراف بني أميّة، وانتهاكهم للحرّمات، وتعطيّلهم للحدود، وإظهارهم للفساد والفجور، وتحكّمهم في رقاب الناس، وظلمهم للعباد، قول الحسين (عليه السلام) لمّا أراد الوقوف بوجه يزيد وإعلان الحرب عليه:

(١) شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفاء ١ / ٣٩٧، م دار الطباعة.

٦٤.....الحسين من خلال القرآن

«أيها الناس، إنّ رسول الله (ﷺ) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مَدْخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله...»^(١).

وتعصيماً لما ذكر: نقل المتقي الهندي بسنده عن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة، وعن عمر؛ كل روى عن الرسول (ﷺ) أنّه قال: «أحبّ الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم مجلساً إمامٌ عادلٌ، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه إمامٌ جائرٌ». وفي لفظٍ آخر: «وأشدّهم عذاباً إمامٌ جائرٌ»^(٢).

الروايات عديدة من الفريقين تؤكد على مجابهة حكام الظلم والجور والوقوف بوجههم؛ كيلا يستشري الفساد بين الناس، وأن لا يستغل الطغاة الأمة وأن لا يستعبدوها. لهذا تنبأ الرسول (ﷺ) عمّا سيجري على الأمة من بعده، وما سيفعله حكام بني أمية.

وعليه، فقد أمر الرسول (ﷺ) بقتل معاوية فيما لو شوهده على منبره، وللإطلاع راجع تاريخ الطبري^(٣). وتهذيب التهذيب^(٤). وكتاب صفين^(٥). وشرح النهج^(٦). وكنوز الدقائق للمناوي على هامش الصغير^(٧). والثالثي

(١) الكامل لابن الأثير ٣ / ٢٠٠، أنساب الأشراف ٣ / ١٧١، تاريخ الطبري ٧ / ٣٠٠.

(٢) كنز العمال ٦ / ٩ و ١٥، منشورات مكتبة التراث الاسلامي، حلب ط ١، ١٩٧١.

(٣) تاريخ الطبري ١٢ / ١٨١ و ١١ / ٣٥٧.

(٤) تهذيب التهذيب ٢ / ٤٢٨.

(٥) كتاب صفين ٢٤٣.

(٦) شرح النهج ١ / ٣٤٨.

(٧) كنوز الدقائق على هامش الصغير ١ / ١٨.

٦٥ ١ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته

المصنوعة للسيوطي^(١). وميزان الاعتدال للذهبي^(٢). وسير أعلام النبلاء^(٣).
كما أنّ الرسول (ﷺ) لعن أبا سفيان ومعاوية ويزيد. أنظر تاريخ
الطبري^(٤). وكتاب صفين^(٥).

وفي تذكرة الخواص لابن الجوزي: أنّ الرسول (ﷺ) لما رأى أبا سفيان
على جملي وابنه معاوية يسوقه ويزيد يقوده قال (ﷺ): «لعن الله الراكب
والقائد والسائق»^(٦).

الثامن والخمسون

وعلى هذا تأكّد كفر يزيد وجواز لعنه بإجماع الأمة، فهذا العلامة الألوسي
أحدهم يقرر ذلك، فقال: من يقول ان يزيد لم يعص بذلك ولا يجوز لعنه
فينبغي أن ينتظم في سلسلة أنصار يزيد، وأنا أقول أنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً
بالرسالة للنبي (ﷺ) وان مجموع ما فعله مع أهل حرم الله وأهل حرم
نبيّه (ﷺ) وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من
المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من القاء ورقة من المصحف
الشريف في قدر ولا أظن أنّ أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك ولكن
كانوا مغلوبين مقهورين ولم يسعهم إلا الصبر ولو سلم ان الخبيث كان مسلماً
فهو مسلم جمع من الكبائر مالا يحيط به نطاق البيان وأنا أذهب إلى جواز لعن
مثله على التعيين ولو لم يتصوّر أن يكون له مثل من الفاسقين والظاهر أنه لم

(١) اللثالي المصنوعة ١ / ٣٢٠.

(٢) ميزان الاعتدال ١ / ٢٦٨؛ انظر ترجمة الحكم بن ظهير.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٩٩.

(٤) تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٧؛ انظر حوادث ٢٨٤ هـ.

(٥) كتاب صفين ص ٢٤٧.

(٦) تذكرة الخواص ص ١١٥ ط ايران.

٦٦.....الحسين من خلال القرآن

يتب واحتمال توبته أضعف من ايمانه^(١).

التاسع والخمسون

وفي رسائل الجاحظ: «المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وحمله بنات رسول الله ﷺ سبايا وقرعه ثنيا الحسين بالعود واخافته أهل المدينة وهدم الكعبة تدل على القسوة والغلظة والنصب وسوء الرأي والحقد والبغضاء والنفاق والخروج عن الإيمان، فالفاسق ملعون ومن نهى عن شتم الملعون فملعون^(٢)».

الستون

نقل ابن خلدون في مقدّمته الاجماع على فسق يزيد، وانه لا يكون صالحاً للإمامة ومن أجله كان الحسين (عليه السلام) يرى من المتعين الخروج عليه وقعود الصحابة عن نصرته الحسين لا لعدم تصويب فعله بل لأنهم يروا عدم جواز إراقة الدماء فلا يجوز نصرته يزيد بقتال الحسين بل قتله من فعلات يزيد المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيداً^(٣).

الحادي والستون

ان الامام أحمد بن حنبل سأل - يوماً - ابنه عبدالله عن لعن يزيد، قال: كيف لا يلعن من لعنه الله في كتابه، فقال عبدالله قرأت كتاب الله عزوجل فلم أجد فيه لعن يزيد. فقال الامام أحمد: ان الله يقول: ﴿فهل عسيتم أن توليتم أن

(١) تفسير روح المعاني ج ٢٦ ص ٧٣، انظر تفسير الآية: ﴿فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله﴾ وما بعدها. سورة محمد ﷺ / ٢٢ - ٢٣، ط بيروت سنة ١٩٨٥م.

(٢) رسائل الجاحظ، الرسالة الحادية عشر في بني أمية، ص ٢٩٨.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٤ فصل ذكر ولاية العهد.

٦ - محمد إبراهيم الشيباني في مقدمته ٦٧.

تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله ﴿١﴾ وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد؟ ﴿٢﴾.

الثاني والستون

قال ابن الجوزي في كتابة السرّ المصون برواية ابن مفلح الحنبلي: من الاعتقادات العامة التي غلبت على جماعة من المنتسبين إلى السنة أنهم قالوا كان يزيد على الصواب والحسين مخطيء في الخروج عليه، ولو نظروا في السير لعلموا كيف عقدت البيعة له والزم الناس بها ولقد فعل مع الناس في ذلك كل قبيح، ثم لو قدرنا صحة خلافته فقد بدرت منه بوادر وظهرت منه أمور كل منها يوجب فسخ ذلك العقد من نهب المدينة ورمي الكعبة بالمنجنيق وقتل الحسين وأهل بيته وضربه على ثنياه بالقضيب وحمل رأسه على خشبة، وإنما يميل إلى هذا جاهل بالسيرة عامي المذهب يظن أنه يغيب بذلك الرافضة ﴿٣﴾.

وفي موطن آخر قال سبط ابن الجوزي: سئل ابن الجوزي عن لعن يزيد، فقال: قد أجاز أحمد لعنه ونحن نقول لا نحبه لما فعل بآب بن بنت نبينا وحمله آل رسول الله سبايا إلى الشام على اقتاب الجمال وتجريه على رسول الله، فإن رضيت بهذه المصالحة بقولنا لا نحبه وإلا رجعنا إلى أصل الدعوى جواز لعنته ﴿٤﴾.

(١) سورة محمد ﷺ / ٢٢.

(٢) انظر تفسير الآلوسي بحث الآية الآتفة الذكر.

(٣) انظر الفروع، باب قتال أهل البغي ج ٣ / ٥٤٨ ط المنار، ١٣٤٥ هـ.

(٤) مرآة الزمان، حوادث سنة ٥٩٧ هـ، ج ٨ / ٤٩٦.

٦٨ الحسين من خلال القرآن

الثالث والستون

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: كان يزيد بن معاوية ناصبياً فظاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الشهيد الحسين وختمها بوقعة الحرة فمقتته الناس ولم يبارك في عمره^(١).

الرابع والستون

قال الشوكاني: لقد أفرط بعض أهل العلم فحكوا بأن الحسين السبط (عليه السلام) وأرضاه باغ على الخمير السكير الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية لعنهم الله فيا للعجب من مقالات تقشعرّ منها الجلود ويتصدّع من سماعها كل جلود^(٢).

(١) انظر الروض الباسم ج ٢ / ٣٦ محمد بن إبراهيم الوزير اليماني.

(٢) نيل الأوطار ٧ / ١٤٧.

- ٢ -

مناقشة حمد العرينان في مقالاته

نشر الدكتور حمد العرينان مقالة^(١) تحت عنوان: «إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة». تعرّض الدكتور في مقالته إلى أكبر حدثين في التاريخ الإسلامي، فعمد إلى رفضهما بعدما حاول - عبثاً - إقامة الدليل على فكرته. أراد الكاتب أن ينفي هذين الحدثين الكبيرين بعدما أطبقت المصادر جميعها على وقوعهما في عهد يزيد بن معاوية، إذ كان حريق الكعبة واستباحة المدينة من قبله لمدة ثلاثة أيام على يد مسلم بن عقبة المرّي مع جيش جهّزه يزيد وأرسله إلى الحجاز لهذا الغرض.

يقول ابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب» في ترجمة يزيد بن معاوية: (...وأرسل الجيوش إلى الحسين فقتل، كما تقدّم في ترجمته سنة إحدى وستين. ثمّ خرج أهل المدينة على يزيد وخلعوه سنة ثلاث وستين، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّي، وأمره أن يستبيح المدينة ثلاثة أيّام، وأن يبايعهم على أنّهم خول وعبيد ليزيد، فاذا فرغ منها نهض إلى مكّة لحرب ابن الزبير، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل بها خلقاً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين، وأفحش القضية إلى الغاية. ثمّ توجه إلى مكّة فأخذه الله تعالى قبل وصوله، واستخلف على الجيش حصين بن نمير السكوني، فحاصروا ابن الزبير، ونصبوا على الكعبة المنجنيق، فأدّى ذلك إلى وهي أركانها ووهي بنائها

(١) انظر مجلّة كلىّة الآداب الصادرة من جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، العدد الخامس لعام

٧٢.....الحسين من خلال القرآن

ثم أحرقت...^(١).

وهناك عشرات المصادر التاريخية القديمة التي ذكرت الحادثتين، ناهيك عن المصادر التاريخية الحديثة. ولا تعليق لنا على هاتين الحادثتين؛ لأنهما من باب المسلّمات، وما جاء به الكاتب كالذي ينفخ في رماد. غير أن الكاتب التمس دليلاً في الماء العكر عندما أراد نفي الحادثتين. وصبّ اهتمامه على كتاب الطبري فقط، مدّعيًا أنه المصدر الوحيد لنقل الحادثتين، وأنّ راويهما هو لوط بن يحيى المعروف بأبي مخنف.

ولمّا أراد الكاتب - من خلال تعصّبه الشديد لبني أميّة - أن يثبت نزاهة يزيد بن معاوية وبرأته من تلك القبايح الشنيعة والأفعال المخلة بعدالته، بل والمثبتة لفسقه وكفره^(٢)، على أنّ جرائمه كثيرة وقبايح لا تعدّ ولا تحصى، إلّا أنّ من أبرزها واقعة الطفّ، ثمّ واقعة الحرّة، ثمّ حريق الكعبة، فما كان من «العرينان» إلّا أن يدافع عن معشوقه وأميره في الضلال يزيد بن معاوية، فعمد إلى رواية لوط بن يحيى ليرفضها بالمرّة؛ لأنّه شيعي، ورواية الشيعي لا تصحّ عند مذهبه كما يزعم...!!

أقول: كما أسلفت في الصفحات السابقة: أنّ أترك بحث الحادثتين للعرينان لأنهما من البديهيّات في وقوعهما والتي قد تسالم عليهما أرباب التاريخ والتدوين قديماً وحديثاً ولا ينفعنّا ما جاء به الكاتب فشأنه كمن يحجب عينيه بكّمّه عن نور الشمس ليقول بمقالة من أنكر الشمس وهي في رابعة النهار.

بل حديثنا معه في لوط بن يحيى.

وخلاصة حديث العرينان وكل ما في كنانته هو ان لوط بن يحيى شيعي

(١) تهذيب التهذيب ١١ / ٣٦١، ط ١ حيدر آباد، الهند.

(٢) لقد ثبت فسق يزيد وكفره عند كثير من علماء السنّة وكبار مشايخهم.

٢ - مناقشة حمد العرينان في مقالته ٧٣

تالف ولا يجوز الأخذ بروايته، وليس هناك مصدر أقدم من تأريخ الطبري في نقل الحادثتين!

أقول: بعد استقراءنا لكثير من المصادر القديمة المقاربة لتأريخ الطبري في التأليف فلم نجد فيها ذكراً للطبري في نقل الحادثتين حتى نجعله على صدر قائمة المصادر التاريخية. هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: هناك قائمة من الكتب التاريخية التي ألفت قبل تأريخ الطبري، علماً أن وفاة ابن جرير الطبري كانت سنة (٣١٠ هـ).

فهناك عوانة بن الحكم المتوفى سنة (١٥٨ هـ)، وهو معاصر للوط بن يحيى، وله كتب في التأريخ، إلا أنها لم تصل إلينا.

وكذلك هشام بن محمد بن السائب الكوفي انتسابه (ت ٢٠٦ هـ) قبل الطبري..

ومحمد بن عمر الواقدي (١٣٠ - ت ٢٠٧ هـ) قبل الطبري.

وأبو الفضل نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ)، وله كتاب «وقعة صفين».

وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، وابن واضح البغدادي (اليعقوبي).

وابن قتيبة (ت ٣٢٢ هـ)، معاصر للطبري، وله كتاب «الإمامة والسياسة».

وابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، معاصر للطبري، وله كتاب «العقد

الفريد».

وعلي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، وله كتاب «إثبات الوصية».

والحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، وله

كتاب «المعجم الكبير».

فهؤلاء من مشاهير علماء التاريخ الذين سبقوا ابن جرير الطبري في

تدوين التاريخ، أو ممن عاصروه.

٧٤.....الحسين من خلال القرآن

و«العريينات» في مقالته تلك عمد إلى رفض الحادّثين؛ لكون المصادر المتأخّرة تروي عن الطبري، والطبري يرويها عن لوط بن يحيى. إذن رواية هؤلاء مردودة؛ إمّا بتهمة ميولهم إلى التشيع، أو لأنّهم يستندون في روايتهم على الطبري.

وكما عرفت من خلال رواية ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب المتقدّمة وروايات عديدة لمصادر قديمة شتّى أن ليس فيها ذكر لابن جرير الطبري ولو من بعيد.

كما أنّ سند روايتها لم ينته إلى لوط بن يحيى، وليس له ذكر فيها. فكيف أباح الدكتور العريينات لنفسه أن يتّهم الصدر الأوّل من الكتاب والمؤلّفين ويطعن بروايتهم؟

ولماذا هو يرفض رواية الطبري في هاتين الحادّثتين فقط، ثمّ يعتمد عليه في بقية الحوادث ويجعله الكتاب الأساس للتاريخ؟

ولماذا يطعن برواية هؤلاء في تلك الحادّثتين دون غيرهما؟ ولماذا يكون على حذر في التعامل مع من كان ميوله إلى التشيع؟ وكيف يُسيّ الظنّ برواية الطبري في هاتين الحادّثتين دون غيرهما من الحوادث؟

بل كيف يجزم الكاتب أن تاريخ الطبري هو الأساس في نقل هاتين الحادّثتين؟

ثمّ كيف يجزم العرينان بعدم الأخذ برواية علماء الشيعة عند أهل السّنة؟ ثمّ لماذا لم يتحرّر الكاتب الدقّة في شخصيّة لوط بن يحيى؟ بل إنه اتبع ملّة أسياده في تأييد الباطل والإيغال فيه.

هذه جملة من الأسئلة، وعلى المُنصّف أن يسلك الطريق العلمي والمنطقي لإحقاق الحقّ ونبذ الباطل، «إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا».

٢ - مناقشة حمد العرينان في مقالته ٧٥

ولست أدري هل أن الكاتب عجز عن البحث والتدقيق، أم أعيته السبل،
أم في قلبه نفثات لابد من إخراجها وإن كانت هي مسمومة؟!
يحاول العرينان أن يردّ رواية لوط بن يحيى بأي شكل من الأشكال؛ لذا
يقول عنه: (وهذا شيعي لا يمكن الاعتماد على روايته)!
أقول: ما هو المقياس عند العرينان في ردّ أخبار لوط بن يحيى؟ هل أنه
كذاب؟

فلم توجد بين أيدينا رواية تقدر فيه أو تُنسب إليه الكذب، بل ورد المدح
والثناء بحقه، هذا عند كتب الخاصة. وأما عند العامة فكذلك لم يُوجد عندهم
أي نصّ يذهب إلى اتهام لوط بن يحيى بالكذب أو الفسّخ...

إذن، ما المقياس المعتمد عند العرينان؟
يبدو أن مقياسه هو كون الراوي شيعياً فحسب! وكما صرح به في مقالته
استناداً إلى بعض كتبهم في حقل التراجم والرجال.

أقول: إذا كان العرينان يريد أن يدخل إلى تفنيد أخبار الواقعتين - اباحة
المدينة وحريق الكعبة - من هذه الزاوية فهذا يعني أنه لا يعتمد على أية رواية
في سندها شيعي. وإذا كان كذلك فأمره عجيب جداً حيث نجد في أسانيد
الكثير من روايات أهل السنة - من كتب الصحاح السنة وغيرها - رواة من
الشيعة، ومع ذلك مدحوا الرواية متناً وسنداً ووثّقوا رجالها.

فهناك أكثر من (٣٠٠) رواية في أسانيد رجال من الشيعة.
وقد أفرد العلامة عبد الحسين شرف الدين في المراجعة (١٦) فصلاً في
ذلك، وذكر مائة اسم من رواة الشيعة في أسانيد أهل السنة، وذكرهم على سبيل
المثال لا الحصر^(١).

وكذلك ذكر العلامة الأميني طائفة من أولئك في المجلد الثالث من

(١) انظر المراجعات / المراجعة (١٦).

٧٦.....الحسين من خلال القرآن

الغدير^(١). فماذا يقول العرينان في ذلك؟!
ثمّ لدينا نقاش مع العرينان في الفحص عن هويّة لوط بن يحيى وإليك
طرفاً من ترجمته وشأنه:

لوط بن يحيى في مصادر الشيعة

١ - قال النجاشي (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ): لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الأزديّ الغامدي، أبو مخنف، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يسكن إلى ما يرويه، روى عن جعفر بن محمد (عليه السلام). وقيل: إنّه روى عن أبي جعفر (عليه السلام) ولم يصحّ...^(٢).

٢ - قال الطوسي: (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ) في الفهرست: لوط بن يحيى يكنى أبا مخنف، من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن أصحاب الحسن والحسين (عليه السلام) على ما زعم الكشي، والصحيح أنّ أباه كان من أصحاب عليّ (عليه السلام) وهو لم يلقه. له كتب كثيرة في السيرة^(٣).

وفي رجاله ذكره - تبعاً للكشي - تارةً من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأخرى من أصحاب الحسن (عليه السلام)، وثالثةً من أصحاب الحسين (عليه السلام)، ورابعةً من أصحاب الصادق (عليه السلام)^(٤).

٣ - قال ابن شهر آشوب (المتوفى سنة ٥٨٨ هـ) في المعالم: لوط بن يحيى الأزدي، أبوه من أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليه السلام)، له

(١) الغدير للعلامة الأميني المجلد ٣.

(٢) رجال النجاشي / ص ٣٢٠.

(٣) الفهرست / ص ١٢٩.

(٤) رجال الطوسي ص ٥٧ و ٧٠ و ٧٩ و ٢٧٩.

لوط بن يحيى في مصادر الشيعة ٧٧.

كتب كثيرة في السير: كمقتل الحسين (عليه السلام)، ومقتل محمد ابن أبي بكر، ومقتل عثمان، والجمل، وصفين، وخطبة الزهراء (عليها السلام) (١).

٤ - ابن داود الحلّي (المتوفى سنة ٧٠٧ هـ) قال في رجاله: ولوط بن يحيى روى عن الحسن والحسين والصادق (عليهم السلام) (٢).

٥ - وقال العلامة الحسن بن يوسف الحلّي (المتوفى سنة ٧٢٦ هـ): لوط ابن يحيى بن سعيد بن مخنف بن أسلم الأزدي الغامدي، أبو مخنف رحمته الله، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يسكن إلى ما يرويه. روى عن جعفر ابن محمد (عليه السلام) (٣).

٦ - قال العلامة الصدر في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: قلت: لا يرمونه بغير التشيع، وهو عند أهل العلم منهم لا ينافي الوثاقة، وقد اعتمد عليه أئمة السنة كأبن جرير الطبري وابن الأثير، خصوصاً ابن جرير قد شحن تأريخه الكبير من رواية أبي مخنف (٤).

٧ - وقال العلامة شرف الدين - بعدما عدّ في المراجعات مائة من رجال الشيعة في أسناد السنة. بل حتّى صحاحهم وعيّن مواضعه - قال: وخلاصة القول فيه: ينبغي التأمل في كونه شيعياً لا إمامياً كما صرح به ابن أبي الحديد، فهو كلام متين، وإنّما عدّه بعض العامة شيعياً على ما تعودوا عليه بالنسبة إلى من يميل إلى أهل البيت (عليهم السلام) بالموّدة والمحبة والهوى، ولم يصرح أحد من علماء الشيعة السابقين بتشيّعه، وإنّما وصفه النجاشي بأنّه (كان شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة) ولم يقل: شيخ أصحابنا، ولا شيخ أصحاب أخبارنا. على أيّ لم يثبت

(١) معالم العلماء ص ٩٤.

(٢) رجال ابن داود / ص ١٥٧.

(٣) رجال العلامة الحلّي / ص ١٣٦.

(٤) تأسيس الشيعة / ص ٢٣٥ ط بغداد.

٧٨.....الحسين من خلال القرآن

الرجل كونه إمامياً، نعم، يصحّ القول عنه شيعياً؛ لأنّه يميل إلى محبة أهل البيت (عليه السلام).

هذه بعض أقوال علماء الشيعة في لوط بن يحيى.

أقوال علماء السنة في لوط بن يحيى

١ - قال في القاموس في مادة (خ ن ف): وأبو مخنف لوط بن يحيى أخباري شيعي تالف متروك^(١).

٢ - وقال ابن أبي الحديد: وأبو مخنف من المحدثين، وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة، ولا معدوداً من رجالها، توفي لوط سنة (١٥٨ هـ). وسبب تضعيف روايته عند العامة هو ما قاله في القاموس^(٢).

٣ - وقال الذهبي: ...أخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: ليس بشيء. وقال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم^(٣).

وثاقة لوط بن يحيى

مما تقدّم من نصوص اتّضح لنا: أنّ لوط بن يحيى لم يكن من أصحاب الإمام عليّ (عليه السلام)، ولا من أصحاب الامام الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر (عليه السلام). بل إنّ من أصحاب الإمام جعفر بن محمد

(١) القاموس / مادة (خ ن ف).

(٢) انظر تأسيس الشيعة / ص ٢٣٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٣ / ٢٣ ط مطبعة الحلبي.

وثيقة لوط بن يحيى ٧٩.

الصادق (عليه السلام) ؛ لأنَّ جدّه سعيد بن مخنف لم يشهد صفّين لصغره، وكان أخوه - محمد بن مخنف - لمّا شهد صفّين ابن سبع عشرة سنة. ومركة صفّين كانت عام (٣٧ هـ)، وهذا يكشف لنا أنَّ ولادة محمد بن مخنف - عم أبي لوط - كانت في عام (٢٠ هـ)، وسعيد كان أصغر منه، وليكن ولادته مقاربةً لأخيه، أي: بعد عام (٢٠ هـ) بقليل.

وقد أكّد الأخ المحقّق الشيخ اليوسفي في تحقيقه. لكتاب. وقعة الطف ما ذهبنا إليه، إذ يقول: إنّ لوط بن يحيى لم يكن من أصحاب الإمام عليّ وولديه الحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن عليّ الباقر (عليه السلام)، بل إنّ من أصحاب الصادق (عليه السلام)، فهو لم يرو عن الإمام عليّ، كما أنّه لم يرو عن الإمامين الحسن والحسين (عليه السلام)، وكذلك أنّه لم يرو مباشرةً عن الإمام عليّ بن الحسين، بل إنّ روى عنه (عليه السلام) بواسطتين، وكذلك لم يرو عن الإمام محمد الباقر، بل روى عنه بواسطة. وأمّا روايته عن الإمام جعفر بن محمد الصادق فهي بضع رواياتٍ بلا واسطة. ثمّ إنّ لم يرو عن الإمام الكاظم (عليه السلام) على أنّه عاش بعد الإمام الصادق عشر سنوات، حيث وفاته كانت في (١٥٨ هـ)، فهو كان معاصراً للإمام الكاظم (عليه السلام) عشر سنين.

وقال المحقّق اليوسفي: وهذا ممّا قد يدُلُّنا على أنّه لم يكن شيعياً ومن صحابة الأئمة بالمعنى المصطلح الشيعي الإمامي الذي يعبر عنه عند العامة بالرافضي، وإنّما كان شيعياً في الرأي والهوى؛ كأكثر الكوفيّين، غير رافضٍ لمذهب عامّة المسلمين آنذاك.

وقد يكون مما يؤيّد هذا: أنّ أحداً من العامّة لم يرميه بالرفض كما هو المعروف من مصطلحهم، إنهم لا يقصدون بالتشيع سوى الميل إلى أهل البيت (عليه السلام). وأمّا من علموا منه اتّباع أهل البيت (عليه السلام) في مذهبه فإنّهم يرمونه بالرفض لا التشيع فحسب، وهذا هو الفارق في مصطلحهم بين

٨٠.....الحسين من خلال القرآن

الموردين^(١).

وتعقيباً لما ذكر في التفريق بين مصطلح الشيعي والرافضي، قال ابن عابدين في رسائله: (من شك في كفرهم - الشيعة - فهو كافر)^(٢).

وفي الخلاصة يقول: (الرافضي إذا كان يسبّ الشيخين ويلعنهما فهو كافر، وإن كان يفضل عليهما فهو مبتدع).

هذه نبذة مختصرة عن لوط بن يحيى في أهم المصادر الرجالية عند الفريقين، واني ذهبت إلى أنّ الرجل ليس فيه مغمز، ولا فيه طعن من حيث عقيدته، بل إنّ كتب الحديث عند جمهور المسلمين كانت تروي عنه، عدا البعض أعرض عنه؛ لكونه شيعياً فحسب. وقد عرفت أنّ مصطلح الشيعي عند بعض إخواننا السنّة غير مصطلح رافضي، وعلى هذا فيكون الأمر بإجماع المسلمين على سلامة مرويات لوط بن يحيى، وهذا يخالف منهج ومسلك حمد العرينان. ومن ثمّ لا ثمرة علمية لكلّ ما ذهب إليه العرينان في ردّ أخبار ابن جرير الطبري في صدد واقعة الحرّة وحريق الكعبة، بل إنّ الموضوع في غاية السخرية، وما جاء به العرينان ممّا يضحك الثكلى لوهنه، وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت...

(١) وقعة الطف، تحقيق اليوسفي / ص ١٩.

(٢) رسائل ابن عابدين ٢ / ١٦٩.

- ٣ -

مع الصالحيّ النجف آبادي

وكتابه «شهيد جاويد»

(الشهيد الحيّ)

يعتبر الشيخ الصالح النجف آبادي أحد مدرّسي الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، ينحدر من عائلة فقيرة من منطقة (نجف آباد) التابعة إلى محافظة أصفهان.

عُرف النجف آبادي بكتابه «شهيد جاويد» الذي صدرت الطبعة الأولى منه في سنة (١٣٥٠ هـ ش) المصادف (٥ رجب ١٣٩١ هـ ق)، وقد ادّعى مصنّفه أنّه أمضى في تأليفه سبع سنين...

تكرّر طبع الكتاب في قم ثلاثة عشر مرّة، وقد تضمّن عدّة تقارير، منها: تقرّض للشيخ آية الله المنتظري، إذ أبدى إعجابه بالكتاب وأثنى عليه كثيراً، حتّى قال: إنني تلذّذت في مطالعتي للكتاب، وإنه ينفع المحقّقين والجامعيّين لما فيه من تحليل ودراسة.

لا يهمننا صدق عبارات المقرّظ بقدر ما يهمننا من انه وثيقة مهمة في وقتها دعمت الكتاب، وأضفت عليه صبغة علمية وأطّرت به بالعمق في الدراسة والتحقيق، بل أغرت المطالع من خلال القدسيّة التي منحتها للكتاب ولمؤلّفه... كما قرّض الكتاب عدّة علماء وفضلاء، كما هو في مقدّمة الطبعة الحادية عشرة عام (١٣٦٠ هـ ش)، طبعة مؤسسة خدمات فرهنگي «رسا». وإليك أسماء المقرّضين:

التقرّض الأول: لآية الله الحاج السيّد (أبو الفضل مجتهد زنجاني موسوي)، من طهران، تاريخ التقرّض (٢٥ صفر ١٣٩١ هـ ق).

التقرّض الثاني: بقلم آية الله الشيخ الحاج محمد شريعت أصفهاني من باكستان، تاريخ التقرّض في غرة ربيع الأول (١٣٩١ هـ ق).

٨٤.....الحسين من خلال القرآن

التقريض الثالث: بقلم الأستاذ محمد تقي الجعفري في (١٣٥١/٣/٢١ هـ ش).
 هـ ش).

التقريض الرابع: بقلم حجة الإسلام علامة من بم كرماني، وقد أرسل
 للمصنّف رسالتين، وكانت إحداها مؤرخة في (١٢ محرم ١٣٩١ هـ ق).

التقريض الخامس: بقلم الكاتب أحمد آرام في (١٠ فروردين ١٣٥١ هـ ش).
 هـ ش).

التقريض السادس: بقلم آية الله ضياياري من رشت في (٢٠ شعبان
 ١٣٩١ هـ ق).

التقريض السابع: صادر من الاتحاد الإسلامي لطلبة كلية الصناعة،
 (دانشگاه صنعتي آريا مهر) طهران في (١٣٥٠/٨/١ هـ ش).

التقريض الثامن: بقلم الشاعر محسن خيّا طان (خاتم) طهران.
 التقريض التاسع: بقلم آية الله حسين عليّ منتظري قم في (١٥ صفر
 ١٣٩٠ هـ).

التقريض العاشر: بقلم آية الله عليّ المشكيني قم في (٤ ربيع الثاني
 ١٣٩٠ هـ).

علماً بأن هذا التقريض في الطبعة الثالثة عشرة لم يثبت، ويبدو أن الشيخ
 المشكيني أدرك تفاهة الكتاب وعدم جدوى تقريضه.

أقول: وكأنا المصنّف كان يدرك مسبقاً أن ما يكتبه سوف يثير حفيظة
 العالم الإسلامي والشيعة بصورة خاصة لما في الكتاب من إساءة للعقلية
 الشيعة، ولتأريخ هذه الأمة وتراث أهل البيت، والنيل من قدسيّة سيد الشهداء
 ويوم الطفّ، لذا عمد إلى أولئك المقرّضين ليحمّلهم نصيباً من تلك المسؤولية،
 ولا أدري كيف تقبل هذا اللفيف من العلماء والكتّاب أن يقرّضوا هكذا كتاب
 فيه تشكيك لمسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) والانتقاص من منهجه الرسالي

ماذا من جديد في كتاب (شهيد جاويد)؟ ٨٥

المحمدي؟ بل كيف أباحوا لأنفسهم أن يجاروا المؤلف في ردّ جملة من الأحاديث المعتبرة التي لا غبار عليها، بل قد أطبق علماؤنا - الخلف الصالح والسلف المغفور له - بصحتها سنداً ومتناً؟!

ماذا من جديد في كتاب (شهيد جاويد)؟

مؤلف الكتاب أحد طلاب العلم، كان يقطن في نجف آباد الأصفهانية، ومنذ أكثر من ثلاثين عاماً سكن مدينة قم المقدّسة، وهناك حاول أن يبثّ بعض أفكاره وتشكيكاته في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وردّ جملة منها، والانتقاص من علماء الطائفة والطعن في أهمّ معتقدات الإمامية.

لقد نشر عدّة مقالات تنبئ عن انحرافه العقائدي والمذهبي، وكانت هي بداية له كي يُعرف في الأوساط العلمية بأنّه رجل محقّق وقدير في الكتابة، فقد نشر في مجلة (مكتب إسلام) أكثر من مقالة منها، يتناول حديث الكساء وأنّه لا ينبغي الاهتمام به، بل صوّر الكساء بالخيمة والتي تضرب لغرض اللعب... ثمّ في مقالة أخرى تناول آية التطهير وجعل موضوعها أمراً عادياً وليس ذات أهمية لأهل البيت. ثمّ يعقّب فيقول: إنّ عائشة يشملها آية التطهير.

وفي مقالٍ ثالثٍ نشرته مجلته (مكتب إسلام) عام (١٣٤٧ هـ) تناول فيه حديث ضربة الإمام عليّ (عليه السلام) في محرابه في الكوفة وأعطاه البعد العبادي. وهناك أحاديث وموضوعات أخرى لا كها في مجالس عديدة لا تخلو من إثارة وشبهة، كلّ ذلك قد سبق كتابه (شهيد جاويد).

فماذا في هذا الكتاب...؟

أولاً: يتصدّر الكتاب جملة من تقاريض أهل العلم وبعض أساتذة الجامعات، وقد ذكرناها آنفاً، ولا يخفى أنّ التقاريض والكتاب طبع باللغة

٨٦.....الحسين من خلال القرآن

الفارسيّة.

ثانياً: يقول المؤلف: لابد من التحقيق في كلّ المسائل التاريخية، ولا بد من الاجتهاد فيها؛ ففي الصفحة (٦) قال:

«چند نکته: ... ٤ - مسائل تاریخی نیز باید مثل مسائل فقه و تفسیر و فلسفه بر اساس اجتهاد آزاد مورد بررسی و تحقیق واقع شود، و هر صاحب نظری نظر خود را بگوید تا برخورد افکار مختلف به روشن شدن حقیقت کمک کند، و برای رعایت ادب باید هر صاحب نظری در عین حال که نظر خود را می گوید به نظرهای مخالف هم با دیده احترام بنگرد».

ثالثاً: تناول موضوع الإمامة، وعلم الإمام، وعلم الغيب، وأنهم إذا شاؤا علموا، وكان الحديث فيه سهياً، والذي أراد أن يقوله هو: أن الإمام كسائر الناس، وعلمه كعلمهم.

والمصنّف في إثارته لهذا الموضوع أراد أن يصل إلى نتيجة - هو يؤمن بها - أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن عالماً بأمره من حين خروجه من المدينة إلى مكة إلى العراق، ولا يعلم أن هذا الخروج سيفضي إلى شهادته وشهادة أهل بيته وأسر نسائه وأطفاله.

ثم يجرّ الكلام ليستدلّ بالآية الكريمة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، وأن خروج الامام الحسين (عليه السلام) مع هذه الثلة القليلة من أصحابه إنما هو إلقاء النفس في التهلكة، والعقل لا يقبل هكذا فعل...

رابعاً: يشكك المصنّف بروايات السيّد ابن طاووس والشيخ المفيد.

خامساً: يرفض الأخبار والروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) عن أهل البيت (عليهم السلام) في شأن مقتل الإمام الحسين بعدما يناقشها على موجب المصادر التاريخية التي كتبها المخالفون، ومن عُرِفوا بعدائهم ونصبهم لأهل البيت (عليهم السلام).

ماذا من جديد في كتاب (شهيد جاويد)؟ ٨٧.

فمن تلك الأخبار التي يردّها:

- ١ - رؤيا الإمام الحسين (عليه السلام) عند قبر جده.
 - ٢ - قول الإمام (عليه السلام) وأخرج بأقوام للشهادة وكذا قوله (عليه السلام): «لا أرى الموت إلا سعادة».
 - ٣ - الاعتراض على الإمام فيما لو صدق الخبر: «أنزل الله النصر على الحسين (عليه السلام)».
 - ٤ - قول الإمام (عليه السلام): «خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة».
 - ٥ - قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للحسين (عليه السلام) في المنام: «إن الله قد شاء أن يراك قتيلاً»، ثم يفصل «شاء» هذه تكوينية أم تشريعية.
 - ٦ - حديث أم سلمة والتربة (الطينة) التي أودعها النبي عندها لتكون علامة فيما بعد لاستشهاد الحسين (عليه السلام).
 - ٧ - حديث «أفواج الملائكة» التي نزلت لنصرة الإمام الحسين في عاشوراء.
 - ٨ - حديث «الملائكة والجن» الذين عرضوا نصرتهم للحسين (عليه السلام).
 - ٩ - حديث الإمام في أهل بيته عندما قال لهم: «من لحق بي استشهد».
- كانت هذه النقاط هي مورد التشكيك والرفض ومن ثم ردّها، فهي المحور الأساسي عند المصنّف في كتابه من طبعته الأولى، إلا أنه أجرى تعديلاً على الكتاب بتقديم وتأخير جملة من مطالب الكتاب، لذا تجد هذه البحوث قد جعلها في الطبعة (١١ و ١٢ و ١٣) في الخاتمة (ص ٣٦٧)، علماً بأنه قد أشار إلى تلك العناوين في (ص ٩٨) متعرّضاً إلى موضوع خروج الحسين، وأنه ما خرج لغرض الشهادة، بل خرج لإقامة حكومة إسلامية...
- سادساً: تضمّن الكتاب نقاطاً أخرى، منها: تعرّضه لابن عباس في (ص ٥٦)

٨٨.....الحسين من خلال القرآن

وحتى (٦٠)، ويعبر عنه أنه رجل سطحي وغير مطلع...
سابعاً: اعتماده في مناقشة الأخبار والأحداث على كتب الجمهور كالعقد
الفريد، وتاريخ الطبري، والإمامة والسياسة، والكامل لابن الأثير، إذ نقل عنهم
أكثر من مائتين وخمسين مورداً، وقلما تجد فيها أسانيد معتبرة بل كلها ضعيفة
السند...

ثامناً: ينكر كرامات أهل البيت ومعجزاتهم جملةً وتفصيلاً...
تاسعاً: ادعى أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان قاصداً للرئاسة وتشكيل
الحكومة، وليس مراده الشهادة، حيث إنه لم يكن (عليه السلام) عالماً بشهادته، لا زماناً
ولا مكاناً.

عاشراً: لم يفهم المصنف الثمرة العملية من إستشهاد الإمام (عليه السلام) وأهل
بيته وأصحابه، ولم يستوعب ما للثورة من أثرٍ وأهميّة وفائدة...!

موقف العلماء من كتاب «شهيد جاوید»

كان لطبع الكتاب أثر كبير في نفوس العلماء والمحققين وأرباب العلم،
مما أثار أصحاب الأقلام ليردوا على المصنف بأسرع وقت. كما أن العلماء
أخذوا قراراً على المؤلف أن لا يُعيد طبع الكتاب ثانية، على أن المصنف نزل
إلى الأمر الواقع واستجاب للمعترضين، إلا أنه لم يف بوعده، إذ كرّر طبع
الكتاب (١٣) مرة.

وكيف كان، فقد تصدى العلماء للرد على المصنف وجدّ جدّهم، حتى
وجدنا جملة ردودٍ مهمّة تعرّضت لمباحث الكتاب بشيءٍ من التفصيل، ونحن
نذكر بعضها:

١ - شهيد آگاه، للعلامة آية الله الشيخ لطف الله الصافي.

موقف العلماء من كتاب «شهيد جاوید» ٨٩

٢ - دفاع از حسین شهید (علیه السلام)، تألیف المرحوم محمد علی أنصاري.

٣ - جواب أو از كتاب أو، للعلامة السيد محمد مهدي (عبدالصاحب)

اللينگرودي.

٤ - بررسی قسمتی از كتاب (شهيد جاوید) با استفاده از مجالس الفاخرة

سيد شرف الدين، للعلامة الشيخ رضا أستاذي.

٥ - كتاب هفت ساله چرا صدا در آورد؟ للشيخ علي پناه اشتهاودي.

٦ - جزوه علم غيب امام (عليه السلام)، لآية الله السيد محمد حسين الطباطبائي

صاحب تفسير الميزان.

٧ - قسمتی از كتاب شهيد كربلا، للحاج آقا تقي قمی.

٨ - ردّ علی شهيد جاوید، للشيخ أبوالفضل زاهدي قمی.

٩ - ردّ كتبه الشيخ محمد تقي صديقين الأصفهاني.

١٠ - ردّ كتبه الشيخ آقا شهاب إشراقي، ومحمد فاضل اللنكراني.

١١ - ردّ كتبه الشهيد مرتضى المطهري.

١٢ - ردّ كتبه الدكتور علي شريعتي.

١٣ - ردّ كتبه آية الله العظمى المرحوم شهاب الدين المرعشي

النجفي (قدس سره).

١٤ - ردّ كتبه آية الله أبوالحسن الرفيعي الحسيني القزويني.

١٥ - ردّ كتبه آية الله العظمى الشيخ محمد علي العراقي (الأراكي) (قدس سره).

١٦ - ردّ كتبه الشيخ محمد تقي النجفي البروجردي.

١٧ - ردّ كتبه الشيخ مرتضى الحائري (قدس سره).

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟

من خلال المقدمة وبحوث الكتاب وجدنا كل ما أثاره المصنّف الصالحي النجف آبادي من تساؤلاتٍ غير جديرةٍ بالبحث والتحقيق؛ لأنّها واضحة كالشمس في رابعة النهار، غير أنّ المصنّف كاد أن يقول: دعنا نفتش في زوايا التاريخ كي نصطاد العظمة والشهرة فيما ننقد ونكتب...

طلب المصنّف التحقيق والتدقيق في المسائل الدينية والعقائدية، وطلب أن نجتهد فيها كما لو اجتهدنا في الفقه والأصول... ولا غبار على هذا الاقتراح، بل من المعقول والمنطق السليم أن تكون جميع المسائل الدينية والعقائدية محقّقةً طبق الموازين السليمة والمقاييس الصحيحة، ومراجعة متون المسائل والنصوص، ومقابلة بعضها مع البعض الآخر، ثم الاستعانة بمنطق العقل والاجتهاد...، لكن وفق أيّ مسلكٍ وطبق أيّ منهج؟

هناك نقطة مهمّة جدّاً، وهي: أن مسائل المذهب وعقائده لا بدّ أن تُحقّق وفق ما تقدّم؛ لإثبات الصحيح منها ونبذ الفاسد، وهذا لا يتمّ إلّا من خلال الاعتماد على كتب علمائنا الخاصّة وآرائهم، وما كتبه محقّقينا. أمّا ما ورد في كتب المخالفين فلا بدّ من التحرّز والوقوف عند كلّ شبهة.

نعم، ما كان يوافق نصوصنا فهو مورد تأييدٍ ودعمٍ لما يكتبه علماؤنا، وما عدا ذلك فلا يجوز الأخذ به، كما فعله المصنّف الصالحي النجف آبادي في كتابه (شهيد جاويد)، حيث اعتمد على كتب جمهور علماء السّنة لإثبات حقائق تاريخيّة وعقائد مذهبية لا تمتّ إلى القوم بصلة، بل إنهم يُنكرونها ويشنّوا على الطائفة الإماميّة حملاتهم المسعورة بين الآونة والأخرى، فكيف نبيح لأنفسنا أن نصيغ عقائدنا من كتبهم؟!

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟ ٩١

المصنّف في الصفحات الأولى من كتابه يظهر التأسّف وعدم الارتياح عندما يسمع من الغير من أن الحسين (عليه السلام) خرج لغرض الشهادة، فإنه يرتجف لهذا القول، وإليك نصّ ما يقوله:

«عقدهً غشوده»

(سألتها بود وقتي مي شنيدم كه مي گفتند: «امام حسين (عليه السلام) باين قصد حركت كرد كه خونش ريخته شود و خانواده اش اسير گردند» بر خود مي لرزيدم و ناراحت مي شدم و با خود مي گفتم: امامي كه بايد خون مقدّس و پر حرارتش در رگهايش بجوشد و به اجتماع انساني حرارت بدهد، حركت بدهد، نور ببخشد، پشتوانه اسلام و مسلمانان باشد، چرا آن حضرت مي خواست اين خون پاك و پر حرارت روي خاك بيابان بريزد و جهان انساني از چنين رهبر عظيمي محروم گردد؟!!!!»^(١).

إنّه يتأسّف لما يقوله الناس عن شأن دم الحسين (عليه السلام)، إن ما يذهب إليه هؤلاء خطأ في عقيدته، ولا بدّ من تصحيح أفكارهم؛ لأنّ الحسين (عليه السلام) على حدّ زعمه - لم يخرج لغرض الشهادة وإراقة دمه الطاهر على تراب كربلاء ويحرم العالم الانساني من هذه القيادة العظيمة...

إنّه كلام فارغ وسذاجة في التصوير، وقد غاب عن المصنّف أنّ دماء الشهداء عبارة عن فتيل الثورة لا يقاظ الضمير والوجدان في عمق التاريخ، فكيف بدم المعصوم...؟!

إنّ دم الحسين الطاهر ما أريق عبثاً، بل علّم الناس دروساً في الإباء والعزّ والكرامة والشرف، علّمهم كيف يثوروا بوجه الطغاة؟ كيف يضحوّوا كيف ينتصروا...؟

يوصل المؤلف اعتراضه فيقول: لماذا أخرج الحسين (عليه السلام) عياله معه

٩٢.....الحسين من خلال القرآن

وقد عرّضهم فيما بعد للأسر وشماته الأعداء؟

«وچرا امام ميخواست بانوان سراپرده عصمت كه نمونه هاي كامل عفت اسلامي بودند بدست دشمنان خونخوار اسير گردند و در گذرگاههاي عمومي، در معرض تماشاى چشمان حريص اراذل واوباش درآيند؟!»

این حالت تعجب واستفهام كه با گذشت زمان بصورت يك عقده روحى جانكاه ومشكل درآمده بود...»^(١).

إن مجرد نظرة فاحصة لهذا السؤال أو الاعتراض يصل القارئ إلى نتيجة لا تقبل الردّ، وهذه النتيجة يمكن أن تقرّر من خلال أحد الاحتمالين، وذلك: إمّا أن يكون المصنّف شأنه التشكيك بثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ومعطياتها، وإمّا أن يكون ساذجاً في فهمه لهذه الثورة، بحيث لم يستوعب جزئياتها وتفصيلها وأبعادها...

وأيّ الاحتمالين قلت به فهو منقصة لمثل هذا المصنّف الذي - كما يدّعي - أمضى على تأليف كتابه سبع سنين!!

إن الإمام الحسين (عليه السلام) قد علم أن يزيد وعمّاله في الأمصار سوف يسعون جادين في تشويه ثورته المقدّسة والطعن فيه وفي أهل بيته، كما حصل لهم ذلك لما أشاعوا بين الناس في الكوفة والشام أن هؤلاء الأسارى هم أسرى الخوارج...!

لكنّ تواجد البيت الهاشمي وعقائل بيت النبوة ومعدن الرسالة هو الذي كشف عن زيف هذا الادّعاء.

كيف أنت بأمة لم تفرّق بين الناقة والجمال...، هكذا أمة ألّم تصدّق بأقوال أميرها يزيد وأعوانه الذين ورثوا هذا الملك العضوض من خليفتهم معاوية ابن أبي سفيان، إذ مهّد لهم البلاد، وأذلّ لهم العباد، وأخاف كلّ صغير وكبير.

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟ ٩٣.

لقد علم أبو الشهداء (عليه السلام) أن السلطة غاشمة، وقد ضربت بيد من حديد وأخرى من نارٍ وكمّت الأفواه، لذا خاف رجال الدين من التظاهر بالإنكار والتمرد على السلطة الظالمة، وخير دليل على ذلك تنكّر عبدالله بن عمر لخروج الإمام الحسين (عليه السلام)، وقال: إن ليزيد بيعاً في عنقي لا يمكن نقضها؛ هذا النموذج يؤكد جبن كبار الناس وعلمائهم، فكيف أنت بالسواد العام ثم ما جرى على عبدالله بن عفيف الأزدي في مجلس ابن زياد في الكوفة هو الدليل الآخر على صحّة ما نذهب إليه.

ولما كانت حرائر الرسالة وعقائل بيت النبوة شيمتهم الصبر على المكاره ومقارعة الخطوب بجنانٍ ثابتٍ وعزيمة صادقة وملاقاة الصدمات الفادحة والدواهي المؤلمة بقلوبٍ أرسى من الجبال فلا يفوتهنّ تعرية النظام الجائر وفساد أجهزته وطغيان أمرائه، ولا يفوتهنّ تعريف الملأ الذي يغطّ بنومه وسكره، المغمور بالخُدع والأضاليل، نتائج أعمال هؤلاء الطغاة المردة الذين أرادوا هدم الدين والعبث في مقدّرات المسلمين، والتحكّم في الرقاب؛ لينعموا في دنيا الشهوات والملذّات، إلّا أن دماء الشهداء أذكت روح النهضة في النفوس، وأعطت درساً عملياً في الجهاد.

كما أن حرائر بيت الرسالة - على ما هنّ عليه من أكبادٍ حرّى مكتوية بنار فقد الأحبة وذلّ الأسر - وقفن إلى جنب دماء الشهداء؛ لإحياء الدين المحمديّ الذي كاد أن يندرس لولا وجودهنّ في الساحة الجهاديّة.

انظر موقف زينب العقيلة المخدّرة التي تنطق عن وعي الرسالة كمنطق أمّها الزهراء (عليها السلام) ابنة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فهي بقيّة السلف. إنها انحازت عن النساء في مجلس ابن زياد في الكوفة وهي متنكرة ممّا ألقت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكرة؟ قيل له: ابنة أمير المؤمنين؛ زينب العقيلة.

فأراد أن يحرق قلبها، فقال متشمتاً: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم

٩٤.....الحسين من خلال القرآن

وأكذب أحد وثكنكم.

فقلت (عليه السلام): الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمدٍ وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يُفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت (عليه السلام): ما رأيت إلا جميلاً. هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجَّ وتُخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة!!

إنه كلام منضد ينحدر من عليّة القوم، من سلالة بيت الوحي...

عبارات ألقمت ابن زياد حجراً، فلا يستطيع أن يُحر جواباً، بل جواب هؤلاء الأوغاد هو القوّة.

انظر إلى تشفي ابن زياد، لما قال: لقد شفى قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك...!

فما عسى أن تقول عقيلة بني هاشم زينب (عليها السلام).

قالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

لقد استحوذ الشيطان على أهل الكوفة، فما تجد فيهم من يفرع ويقول كلمة الحقّ أمام الطغاة، إلا رجل واحد مكفوف البصر، ألا وهو: عبدالله بن عفيف الأزدي، انظر إلى الذلّ والهوان الذي لحق بالمسلمين، فهذا عبيدالله بن زياد أمر أن ينادي بالصلاة جامعةً، فاجتمعوا في الجامع الأعظم ورقى ابن زياد المنبر، فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب: الحسين بن عليّ وشيعته!!

فلم ينكر عليه أحد من أولئك الجمع الذي غمره الضلال، إلا عبدالله بن عفيف الأزدي الغامدي حين قام وقال إليه:

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟ ٩٥

يا ابن مرجانة، الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولأك وأبوه، يا ابن مرجانة، تقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال ابن زياد: من هذا المتكلم؟

قال ابن عفيف: أنا المتكلم يا عدو الله! تقتلون الذرية الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس، وتزعم أنك على دين الإسلام؟ واغوثاه، أين أولاد المهاجرين والأنصار، ليتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول رب العالمين؟

فازداد غضب ابن زياد، وأمر الشرطة أن يأتوا به، إلا أن قبيلة الأزدي انتزعته من بين الشرطة وذهبوا به إلى منزله، إلا أن ابن زياد أرسل مضر ومحمد ابن الأشعث إلى دار ابن عفيف، واقتحموا عليه الدار، ولمّا نشبت بينهم المعركة استطاع الشرطة ومعهم ابن الأشعث أن يأخذوا ابن عفيف أسيراً إلى ابن زياد، فقال له ابن زياد: الحمد لله الذي أخزأك!

قال ابن عفيف: وبماذا أخزاني؟

والله لو يُفَرِّج لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري.

قال ابن زياد: يا عدو الله، ما تقول في عثمان؟

فشتمه ابن عفيف، وقال: ما أنت وعثمان، أساء أم أحسن، أصلح أم أفسد، وإن الله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق؟ ولكن، سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد: لا سألتك عن شيءٍ ولتذوق الموت غصةً بعد غصة.

قال ابن عفيف: الحمد لله رب العالمين، أما إنني كنت أسأل ربّي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أمك، وسألت الله أن يجعلها على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه، ولما كف بصري يشست من الشهادة، أمّا الآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرفني الإجابة في قديم دعائي.

٩٦.....الحسين من خلال القرآن

فأمر ابن زياد بضرب عنقه وصلبه في السبخة^(١).

هذا هو منطق ابن زياد وحكّام الدولة الأموية طواغيت العصر وفسّاق الدهر. إنّه منطق القوّة القاهرة، بل قل: منطق التسلّط والجبروت والطغيان... فالناس نيام لا يوقظهم إلّا كلمة حقّ عند سلطانٍ جائر، فما وقوف الحوراء زينب وأمّ كلثوم وسكينة في مجلس ابن زياد في الكوفة وكذلك وقوفهم بين صفوف الناس، سواء كان في العراق أم في الشام الّا تعبيراً عن الحقّ والجهد المكمّل لرسالة الحسين (عليه السلام).

فهل يدعن المؤلّف (صالح نجف آبادي) إلى هذه الحقائق الدامغة التي لا غبار عليها أم أنّه يصرّ على عناده لينفخ في رماد...!؟
والآ ما وجه الاعتراض على خروج أهل البيت...؟ وهل كان عقل (صالح نجف آبادي) قد استوعب كلّ المصالح لهذه الثورة المباركة حتّى يعترض على الإمام!؟ أم أنّه ذو عقلية فذّة واسعة أوسع من عقلية الإمام الحسين (عليه السلام) بحيث يدرك كلّ جزئيات الأحداث الحاضرة والمستقبلية وما يترتّب على ذلك من آثار...!؟

إنّ اعتراضه هذا مكابرة محضة وإساءة أدب...

ثمّ إنّه في الصفحة التاسعة والعاشرية يقسم المؤلّفين في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى قسمين:

الأول: يتنقص هذه النهضة؛ لأنّ الحسين - على حدّ زعم المؤلّف - لم يوازن بين المقاييس المنطقية والعقلية، بل إنّ عناصر النهضة لم تكن متوفّرة عند الإمام، لذا كان خروجه بمثابة الفوضى وإثارة القلق الأمني...
أمّا القسم الثاني من المؤلّفين - كما يصوّره نجف آبادي - ينظر إلى نهضة

(١) انظر اللهوف لابن طاووس / ص ٩٢، كشف الغمّة / ص ١١٦، مقتل الخوارزمي ٢ / ٥٣ مشير الأحزان / ص ٥٠، تأريخ الطبري، الإرشاد للمفيد.

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟ ٩٧

الحسين كفاجعة مؤلمة يجب التأسف وصبّ الدموع لها، ولا يحقّ له البحث والاعتراض أو التحقيق في فصول الفاجعة، فيقول:

«مقدم: بين نویسندگان که درباره قیام حسین بن علی (علیه السلام) اظهار نظر کرده‌اند دو گروه را می‌بینیم که در دو طرف افراط و تفریط واقع شده و نظر آنان درست بر ضد یکدیگر بوده و در قطب مخالف قرار گرفته است. یک گروه از اهل سنت قیام امام حسین (علیه السلام) را یک شورش ابتدائی نارس و یک انقلاب حساب نشده و نافرجام بر ضد دولت وقت دانسته و در این قیام نسبت خطا بامام داده‌اند!»

منطق این گروه اینست که: حسین بن علی (علیه السلام) با نداشتن نیروی نظامی و مالی و بدون یک نقشه صحیح و بدون بند و بستهای کامل سیاسی و تاکتیکیهای دقیق دیپلماس بر ضد حکومت قوی پنجه یزید شورش کرد و نظم عمومی را برهم زد و دستگاه حکومت را ناچار نمود که برای برقرار کردن نظم اجتماع شورش او را سرکوب کند و امنیت اجتماعی را برقرار سازد، و این دستور پیغمبر خدا بود که: «من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان».

و در مقابل این گروه، جمعی از نویسندگان شیعه، قیام امام را از مجرای کارهای عقلانی و موازین حقوقی بیرون برده و آنرا پیروی از یک نقشه و دستور غیبی و اختصاصی دانسته و گفته‌اند:

امام حسین (علیه السلام) به پیروی از علم امامت که یک رشته از علوم اختصاصی است و بحکم یک فرمان محرمانه الهی دست باین قیام بی سابقه زده و کسی حق ندارد درباره اقدام آنحضرت اظهار نظر یا چون و چرا کند...»^(۱).
ثم يستطرد المصنف في كلامه فيقول:

۹۸.....الحسین من خلال القرآن

«وطبق نظر دوم قیام امام حسین (علیه السلام) از حدود فکر مردم بالاتر است، زیرا روی این عقیده، عمل امام از روی علم مخصوص امامت انجام شده و چنانکه خود داشتن علم غیب، نوعی از خرق عادتست. کاری هم که از روی علم غیب انجام شود، رنگ خارق عادت بخود می‌گیرد و از دسترس سایر مردم خارج می‌گردد و در ردیف وظائف اختصاص امام واقع می‌شود چون مردم دیگر، علم غیب ندارند و اهل خرق عادت نیستند.

بنابر این هیچکس حق ندارد درباره ماهیت قیام حسین بن علی (علیه السلام) و علل و عوامل با هدف آن گفتگو کند یا از آن پیروی نماید یا مردم را دعوت کند که از آن درس بگیرند و عمل کنند.

و طبق نظر دوم اگر کسی درباره قیام امام حسین (علیه السلام) بحث و گفتگو کند اگر عقیده مذهبی داشته باشد فقط بمنظور ثواب بردن یا گریه کردن یا گریاندن به ذکر تاریخ شهادت امام پردازد^(۱).

«بگمان ما صاحبان این دو نظر متضاد چون قیام امام را در همه مراحل یک حرکت و اقدام ابتدائی پنداشته و ضمناً گمان کرده‌اند که آنحضرت در هیچیک از مراحل قیام نیروی کافی نداشته است، و از طرفی دیده‌اند قیام ابتدائی با نداشتن نیروی کافی کاری عاقلانه نیست، از اینرو آنانکه به امامت و عصمت حسین بن علی عقیده نداشته‌اند طبعاً در این قیام نسبت خطا با امام داده‌اند»^(۲).

«و نیز نظر دوم که بعضی از نویسندگان شیعه اظهار نموده و قیام مقدس امام را از قابلیت پیروی و بهره‌برداری ساقط کرده‌اند یک نوع رکود و خشکی زیان‌آوری است که هم فکر انسان را از تأمل و تحقیق باز می‌دارد و هم ارزش

(۱) المصادر السابق / ص ۱۱.

(۲) المصدر السابق / ص ۱۱.

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟ ٩٩

واقعي جنبش آزاديبخش اين مرد آسماني وملكوتي را از بين مي برد»^(١).
من خلال هذا النص ونصوص أخرى ينفي المصنف علم الإمام وما
سيجري عليه من قتلٍ وسلبٍ ونهبٍ وأسرٍ حريمه، فلو لم نسلّم لموضوع علم
الإمام الحضوري، ولو لم نقل إنّ ذلك من أسرار الإمامة ومن التكليف الخاصّة
بالمعصوم فإنّ هناك عشرات الأحاديث والأخبار - التي ستقف عليها - قد
صدرت من النبي (ﷺ)، ومن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد نبأها جبرئيل للنبي،
والنبي لأُمير المؤمنين (عليه السلام).

إذن الصورة كانت واضحةً عند الإمام الحسين (عليه السلام) وإنّ استشهاده في
كربلاء كان مسلماً، فهو بقضاء الله وقدره، وكانت مجريات الأحداث تسير وفق
أسبابها، ومن جملة تلك الأسباب: هو خروج الإمام الحسين بوجه الطاغية
يزيد؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) مكلف بحفظ الشريعة المقدّسة، وهذا متوقّف على
جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا كما يدّعي المؤلّف (نجف آبادي):
أنّ الأمر بالمعروف يستلزم الأخذ بزمام السلطة، أي بمعنى آخر: قيام حكومةٍ
ودولة، ومن ثمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنّ ذلك أمر خاطئ لا
يمكن تحقّقه، كما أنّ الإمام (عليه السلام) قال في وصيّته لأخيه محمد بن الحنفية:
«...وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا فمسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت
لطلب الإصلاح في أمة جدي (ﷺ)، أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن
المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب...»^(٢).

ولماذا ينفي (نجف آبادي) علم الإمام بالمعصيّات...؟ فهل حبيب بن
مظاهر وميثم التمار ورشيد الهجريّ وكميل بن زياد وحجر بن عديّ الكنديّ
وأبو ذرّ هم أفضل من الحسين (عليه السلام)...

(١) المصدر السابق / ص ١٢.

(٢) مقتل الخوارزمي ١ / ١٨٨ والمقرّم / ص ١٣٩.

١٠٠.....الحسين من خلال القرآن

وقد نقل لنا التاريخ ما نقله هؤلاء فيما يخصهم، وهي أمور تعدّ من المغيّبات، فهؤلاء بنو أسد اجتمعوا ودار بينهم ما سيجري على أهل البيت (عليه السلام)، وكان من بينهم حبيب بن مظاهر وميثم التمار، وقد حدّث كلّ منهما الآخر بما يجري عليه من القتل في نصرة أهل البيت (عليه السلام) فكذبهما القوم ومن لم يفقه الأسرار الإلهية. ولما جاء رشيد الهجريّ يسأل عنهما قيل له: افترقا وكان من أمرهما كذا وكذا، فقال: رحم الله ميثمًا لقد نسي أنّه يزداد في عطاء الذي يأتي برأس حبيب مائة درهم! ثمّ أدبرا فقال القوم: هذا والله أكذبهم. ولم تذهب الأيام والليالي حتى وقع كلّ الذي تحدّثوا به، حيث صلب ميثم بالقرب من دار عمرو ابن حريث، وقتل حبيب مع الحسين (عليه السلام)، وقطّع ابن زياد يدي رشيد الهجريّ ورجليه ولسانه كما أخبره أمير المؤمنين (عليه السلام) (١).

أقول: هؤلاء ليس بأفضل من الإمام الحسين (عليه السلام)، فما عند الإمام من المغيّبات الشيء الكثير، فليس غريباً أن يعلم الإمام (عليه السلام) يوم استشهاده ومكانه وموضع قبره وما يجري عليه وعلى أهل بيته من هضم وسبي.

وعلى هذا، فلا مجال للمؤلف (صالح نجف آبادي) أن يعترض ويثير الشكوك والأوهام على نهضة الامام الحسين (عليه السلام) بدواعي التحقيق والتدقيق...!

ثمّ أيّ تحقيقٍ هذا عندما يعتمد على مصادر المخالفين والمتعصّبين والحاقدين على أهل بيت العصمة (عليه السلام)؟!...

ولما كان هذا الرجل (نجف آبادي) يشكّك في قدسيّة الإمامة وينفي العلم بالمغيّبات وعلم الإمام وجدنا من الضروريّ أن نعرّف بهذا المصطلح ولو بشيءٍ من الإيجاز.

فنقول: العلم بالمغيّبات قد يحصل للأنبياء والأئمة المعصومين ولبعض

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟ ١٠١.

الأولياء من المؤمنين، وهذا القسم من العلم غير العلم المختص بالبارئ سبحانه وتعالى، إذ أن للبارئ علماً استأثر به خاصّة ولم يطلع عليه أحداً، منه العلم بالساعة، كما أن اللوح المحفوظ والعلم المخزون ممّا استأثر به دون غيره.

قال ابن حجر الهيتمي: لا منافاة بين قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾، وبين علم الأنبياء والأولياء بجزئيات من الغيب، فإن علمهم إنّما هو بإعلام من الله تعالى، وهذا غير علمه الذي تفرد به تعالى شأنه من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن التغير، وهذا العلم الذاتي هو الذي تمدّح به وأخبر في الآيتين بأنّه لا يشاركه أحد فيه، وأمّا من سواه فإنّما يعلم بجزئيات الغيب فيإعلامه تعالى وإعلام الله للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكّن لا يستلزم محالاً...^(١).

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: إنّنا لا ننكر أن يكون في نوع من البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب، وكلّه مستند إلى الباري - جلّ شأنه - بإقداره وتمكينه وتهيئة أسبابه...

وقال: لا منافاة بين قوله تعالى: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ وبين علمه (ﷺ) بفتح مكّة وما سيكون من قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فإنّ الآية غاية ما تدلّ عليه نفي العلم بما يكون في الغد، وأمّا إذا كان بإعلام الله - عزّ وجلّ - فلا، فإنّه يجوز أن يُعلم الله نيّبه بما يكون^(٢).
وممّا يعضد هذا الكلام قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾^(٣).

(١) الفتاوى الحديثة / ص ٢٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢ / ٣٦٢ ط ١ مصر.

(٣) الجنّ / ٢٦.

١٠٢.....الحسين من خلال القرآن

وكان النبي محمد (ﷺ) ممّن ارتضاه ربّ العزة وأطلعه على غيبه، ثمّ منّ كان فرعاً لشجرة النبوة ومعدن الرسالة فلا غرو أن يدخل تحت عموم الارتضاء عند الله سبحانه.

فهذا عمرو بن هذاب لما كان ينفي عن الأئمة (عليهم السلام) علمهم بالغيب ردّه الإمام الرضا (عليه السلام)، محتجاً بالآية المتقدمة، ثمّ قال له: إنّ رسول الله هو المرتضى عند الله، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على غيبه، فعلمنا ما كان ويكون إلى يوم القيامة^(١).

ومما يؤكد علم الأئمة (عليهم السلام) كعلم جدّهم رسول الله (ﷺ) قول الإمام الصادق (عليه السلام): «كلّ ما كان لرسول الله (ﷺ) فلنا مثله، إلّا النبوة والأزواج»^(٢). فأيّ نكير بعد هذا؟ ألم يطهرهم الله في كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣).

فالغيب المدعى عند الأئمة المعصومين (عليهم السلام) غير المختصّ بالباري تعالى لأنّ ما عنده - عزّ اسمه - ذاتي، وأمّا عند الأئمة فمجمعول من الله سبحانه، وهذا الجعل إنّما هو لطف أفاضه سبحانه على هؤلاء الكرام من أوليائه ليتمكّنوا من استعلام خواصّ الطباع ومجريات الأحداث.

وعلى هذا التفصيل تبين لنا أنّ الغيب على قسمين:

الأول: يختصّ بالباري سبحانه، وهو عين واجب الوجود الذي لم يصدر عن علّة إلاّ منه سبحانه.

الثاني: وهو فيض من فيوضات عين واجب الوجود أفاضه على أنبيائه وأوليائه، وبمعنى آخر: ما كان صادراً عن علّة.

(١) انظر البحار: باب ورود البصرة.

(٢) المحتضر ص ٢٠، ومقتل الحسين للمقرّم ص ٢٨.

(٣) الأحزاب / ٣٣.

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟ ١٠٣

ويؤكد هذا التقسيم ما يرويه سماعة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنَّ الله -تبارك وتعالى - علمين: علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلماً استأثر به فإذا بدأ الله في شيء منه أعلمنا ذلك، وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا»^(١).

وعن سدير الصيرفي قال: سمعت حمran بن أعين يسأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزَّ وجلَّ: «بديع السماوات والأرض» قال أبو جعفر (عليه السلام): «إنَّ الله -عزَّ وجلَّ - ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثالٍ كان قبله، فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهنَّ سماوات ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾؟»

فقال له حمran: رأيت قوله جلَّ ذكره: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): «فإنَّ الله -عزَّ وجلَّ - عالمٌ بما غاب عن خلقه فيما يقدر من شيء، ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه، وقبل أن يقضيه إلى الملائكة، فذلك - يا حمran - علم موقوف عنده، إليه فيه المشيئة، فيقضيه إذا أراد، ويدو له فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذي يقدره الله -عزَّ وجلَّ - فيقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم إلينا»^(٢).

(١) أصول الكافي ١ / ٢٥٥ باب ٤٤، الحديث ١.

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٥٦ باب ٤٥، الحديث ٢.

١٠٤ الحسين من خلال القرآن

الإمامة وعلم الإمام

قبل البدء بعلم الإمام لابدّ من التعريف بمصطلح الإمامة ونظر المسلمين فيها:

فنقول: إنّ مصطلح «الإمامة» ورد في القرآن الكريم في عدة سورٍ منه وبألفاظٍ يراد بها: إمّا إمامة الخير والعدل، وإمّا إمامة الشرّ والباطل. وإنّ مقام الإمامة - إمامة العدل - أعلى منزلةً يهبها الله سبحانه لمن شاء من عباده الصالحين كالأنبياء والأوصياء.

فعن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إنّ الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبياً، وإنّ الله اتّخذه نبياً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ قال: لا يكون السفیه إمام التقی^(١).

الإمامة من خلال القرآن

قال الله تعالى في إمامة إبراهيم (عليه السلام): ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً﴾^(٢).

(١) أصول الكافي ١ / ١٧٥ ط ٣، ١٣٨٨، طهران، من كتاب الحجّة.

(٢) البقرة / ١٢٤.

الإمامة من خلال القرآن ١٠٥

وقال تعالى في موسى (عليه السلام) وكتابه الذي يهدي إلى الصراط السوي:
﴿...ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة...﴾^(١)، وقوله:
﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة...﴾^(٢).

وقال تعالى في إمامة إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات...﴾^(٣).

وقال تعالى في معرض حديثه عن فرعون وطغيانه واستضعافه لبني إسرائيل: ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾^(٤).

وقال تعالى في أفراد من البشر يهدون الناس بأمر الله سبحانه: ﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا﴾^(٥).

وأفراد يُقتدى بهم في الضلال: ﴿...وجعلناهم أئمةً يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾^(٦).

وقوله تعالى: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم...﴾^(٧).

وقال تعالى يصف ما استودعه: ﴿وكلَّ شيءٍ أحصيناه في إمام مبين﴾^(٨).

عن ابن عباس، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا والله الإمام المبين أبين

(١) هود / ١٧.

(٢) الأحقاف / ١٢.

(٣) الأنبياء / ٧٣.

(٤) القصص / ٥.

(٥) السجدة / ٢٤.

(٦) القصص / ٢٤.

(٧) التوبة / ١٢.

(٨) يس / ١٢.

١٠٦.....الحسين من خلال القرآن

الحق من الباطل، ورثته من رسول الله (ﷺ)» (١).

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه (عليه السلام)، عن النبي (ﷺ) في حديث أنّه قال في عليّ (عليه السلام): «إنّه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء» (٢).

وفي كتب التفاسير: كالميزان ومجمع البيان وتفسير القمّي: أنّ الإمام المبين هو الكتاب الواضح، أو اللوح المحفوظ.

وقال تعالى فيمن يقتدى به: ﴿...يوم ندعو كلّ أناسٍ بإمامهم...﴾ (٣).

والإمام المقتدى به: إمّا أن يهدي الناس إلى الخير ويقودهم إليه، أو يقودهم إلى الضلال. ولا يخفى أنّ هذه الدعوة تشمل عامّة الناس من اهتدى منهم ومن ضلّ السبيل من الأوّلين والآخرين.

ولا ريب أنّ أئمة الحقّ هم الأنبياء والرسل ومن بعدهم الأوصياء، وهؤلاء لا بدّ من تعيينهم بأسمائهم، أو بما اشتملت عليه ذواتهم من صفاتٍ وعلامات وكراماتٍ، وهذه سنّة الله في خلقه، ولا تبديل لسنّة الله ولا تحويل.

الإمامة عند المسلمين

لقد ركن الإنسان بفطرته إلى المؤانسة مع أفراد جنسه من البشر، والميول إليهم بالألفة، ممّا تسالم عليه القول بأنّ الإنسان اجتماعي بالطبع، وبهذا السبب تألّف الأفراد فيما بينهم في العادات وأسلوب التعايش، فكانت المجتمعات والأمم. هذا اللون من التعايش والألفة والوحدة - على مرّ الزمان - فرضت وجود

(١) تفسير عليّ بن إبراهيم /

(٢) معاني الأخبار /

(٣) الإسراء / ٧١.

الإمامة عند المسلمين ١٠٧

الحاكم والمحكوم أو الرئيس والرؤوس، وكان أساس ذلك هو حفظ الأمن، وحماية مصالح الجميع، والدفاع عنهم، ورعاية شؤونهم، وهذا أمر طبيعي يقرّره الكلّ باختيارهم من خلال النظر إلى المصلحة العامة، فيجعلون زمام القيادة بيد نفرٍ ممّن تمثّل بهم الصلاح والخير والقوّة في التدبير والكفاءة. ولمّا غاب الخير وساد الشرّ وعمّت الفوضى في صفوف الناس وانتشر عامل الفساد والضلال بعث الله سبحانه الأنبياء مبشرين ومنذرين يهدون الناس بأمره. ولمّا تتابعت الأجيال وابتعدت الأمم عن مصدر التشريع كان لطف الله العميم، وجميله في الصنع، وسنّته في خلقه، أن يبعث الأنبياء والرسل تبعاً، حتّى كان خاتمهم نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولإدامة عامل الخير والصلاح ولاستمرار ذلك اللطف كان من الضروري أن تمتدّ الخلافة الصحيحة والحاكمة الرشيدة بين الناس، وهذا الامتداد إنّما يتحقق من خلال الإمامة والتي هي امتداد حقيقي لخطّ النبوة وعليه فما كان من الرسول (ﷺ) إلّا أن ينصبّ من بعده علياً وأبناءه مراجع للمسلمين وأئمة يهدون الناس ويرشدونهم إلى الخير وذلك بأمر من الله بصريح آية التبليغ وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾ إذا الإمامة وجودها أمر فطري عند المسلمين كافّة بل واجبة، غير أنّ فرّق المسلمين اختلفوا عن الشيعة في وجوبها، هل انها واجبة عقلاً أم شرعاً؟ ثم هل تكون بالنص أم بالانتخاب...؟ فأهل السنّة قالوا: تجب الإمامة بالإجماع وانها حق للأئمة، فلها وحدها اختيار من يقوم بهذا العبء الثقيل.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: (وقد اختلف الناس في هذه المسألة، فقال المتكلّمون كافّة: الإمامة واجبة، إلّا ما يُحكى عن أبي بكر الأصمّ من قدماء أصحابنا: أنّها غير واجبة إذا تناصفت الأئمة ولم تتظالم. وقال المتأخرون من أصحابنا: إنّ هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأئمة؛ لأنّه إذا كان لا يجوز في

١٠٨.....الحسين من خلال القرآن

العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم، فقد قال بوجوب الرئاسة على كل حال.

اللهم إلا أن يقول: إنه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس، وهذا بعيد أن يقوله، فأما طريق وجوب الإمامة ما هي: فإن مشايخنا البصريين عليهم السلام يقولون: طريق وجوبها الشرع، وليس في العقل ما يدل على وجوبها. وقال البغداديون وأبو عثمان الجاحظ من البصريين وشيخنا أبو الحسين عليه السلام: إن العقل يدل على وجوب الرئاسة، وهو قول الإمامية إلا أن الوجه الذي منه يوجب أصحابنا الرئاسة غير الوجه الذي توجب الامامية منه الرئاسة، وذاك أن أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلفين من حيث كان في الرئاسة مصالح دنيوية ودفع مضار دنيوية، والامامية يوجبون الرئاسة على الله تعالى من حيث كان في الرئاسة لطف منه وبعد للمكلفين عن مواجهة القبائح العقلية...^(١).

أما الشيعة الاثنا عشرية فتري الإمامة منصباً إلهياً، لذا تجب بالنص من الله تعالى، وليس لأحد أن يدعيها لنفسه أو يجعلها لغيره، وإن اجتمعت عليه الكلمة وتجمعت حوله الأمة ما لم يكن منصوباً عليه^(٢).

وتعتقد بأن الإمامة امتداد للنبوة، وبمعنى آخر: هي خلافة النبوة. وبما أن النبوة كانت بالنص والتعيين من الله سبحانه فكذلك الإمامة، إلا أن الفرق بينهما هو: أن النبي يوحى إليه ويكون صاحب شريعة، أما الإمام فليس كذلك، فالنبي منصوب عليه بصريح القرآن، والإمام منصوب عليه لكن بتأويل القرآن والاستفادة من بواطن الآيات التي يشير إليها الرسول صلى الله عليه وآله على أن في الأمر نكتة خفية وحكمة إلهية لامتحان العباد؛ ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾. ولهذا كانت الأحاديث المتواترة من قبل الرسول في تذكير الأمة وتعريفهم بأهل بيته

(١) شرح النهج ١ / ٢١٥ ط بيروت.

(٢) الشيعة والإمامة / ص ٨.

مجلد الحديث في الإمامة ١٠٩

قد جاءت في كل حادثة ومناسبة لتضعهم في المكان المناسب والموقع المقرر الذي نصبهم الله فيه، وأكد عليه صاحب الرسالة.

وأهم تلك الأحاديث هو: حديث «الثقلين» الذي رواه العامة والخاصة في مئات المصادر المعتمدة، لكن الأمة حقها أضعاء، وفي الضلال تاهت، وإلى الشهوات وهوى النفس ركنت، فبئس المطلع، واللجنة على من غير وبدل، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

مجلد الحديث في الإمامة

بعد اتفاق الفريقين على ضرورة الإمامة، وبعدما عرفت أن الشيعة قائلة بالنص من الله تعالى، وليس لأحد أن يدعيها لنفسه أو يهبها لغيره وإن اجتمعت الأمة عليه ما لم يكن النص وارداً فيه. وكما عرفت أن السنة قائلة بالإجماع، وهو من حق اختيار الأمة نجد أن هذه الدعوى عند أهل السنة لا يمكن لأحد منهم أن يبرهن على صحتها، بل هي دعوى واهية ليس لها دليل ولا برهان عقلي ولا نقلي، بل الذي ثبت عندنا خلاف ذلك، أي: أن الواقع على عكس ما يقولونه، وتعصيماً لقولنا إليك سلسلة من الأحداث التاريخية في صدر الإسلام تؤكد ما نذهب إليه:

أولاً: لو نظر القارئ في كتب التاريخ لما احتاج إلى زيادة عناء أو تكليف في فهم أحداث السقيفة التي برزت في بني ساعدة، حيث إن بيعة أبي بكر تمت بمبادرة من عمر بن الخطاب، بل كل واحد منهما كان تواقاً إلى الخلافة^(١).

(١) قال الطبري في حديث طويل له يصف به بيعة أبي بكر: (فقال عمر: ابسط يدك يا أبا بكر فلا بايعك، فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر، فأنت أقوى لها مني، قال: وكان عمر أشد الرجلين. ثم قال: وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها، ففتح عمر يد أبي بكر، وقال: إن ←

١١٠ الحسين من خلال القرآن

وعليه، إنَّ عمر بن الخطاب هو الذي قال لأبي بكر: ابسط يدك لأبياعك، فبسط أبو بكر يده فبايعه عمر، وتابعه على ذلك من حضر من المتأمرين في السقيفة بسرعةٍ ولهفةٍ حتى وُطئ سعد بن عبادَة وكادت تزهق روحه لشدة ما به من مرض.

هذا هو أصل بيعة أبي بكر التي يتشدَّق بها أهل السنة وعلماء السلف منهم، إنَّها حصلت من ثلَّةٍ قليلةٍ وأشخاصٍ قد تأمروا فيما بينهم في سقيفة بني ساعدة، أمَّا بقية المسلمين وكبار الصحابة من الأنصار والمهاجرين فكانوا في عزاءٍ وتكولٍ بفقد نبيِّهم الأكرم.

فأين الاختيار الذي يزعمه أهل السنة؟

ولماذا جُلَّ الصحابة - وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - امتنعوا عن بيعة أبي بكر زمنًا طويلاً؟ حتَّى أنَّ الإمام علي لم يبايع إلا بعد مضيِّ ستَّة أشهرٍ كما في تاريخ الطبري، ولمَّا لم يجد ناصراً له ولا معين في النهوض بوجه القوم الذين غصبوا حقَّه في الخلافة، وقد صرَّح (عليه السلام) في عدَّة مواقف ومناسبات، وفي نهج البلاغة طرفاً منها إذ يقول: (...أرى تراثي نهباً). ومع هذا وجد أن حفظ بيضة الإسلام هو أهم من المطالبة بحقَّه المغتصب، لذا بايع الأوَّل وهو على مضضٍ ممَّا فعلته الأمة^(١).

ثانياً: تعيين عمر بن الخطاب لم يكن بنصٍّ صريح من أحد، بل إنَّه تمَّ بتصرُّفٍ من عثمان لما جاء لأبي بكر عائداً فقال له اكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة إلى المسلمين. أمَّا بعد. قال: ثمَّ أغمي عليه، فذهب عنه - عثمان - فكتب: أمَّا بعد: فإني قد

← لك قوتي مع قوتك. قال: فبايع الناس واستتبوا للبيعة، وتخلَّف علي والزبير). انظر: تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٤، أحداث سنة (١١ هـ).

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٨٨.

مجلد الحديث في الإمامة ١١١

استخلفت عليكم عمر بن الخطاب...^(١).

فأي نص هذا يتبجح به ذوو الأقلام ومؤرخو الأحداث...؟
وفي تاريخ يعقوبي: أنه قال: ما ألولكم نصحاً والسلام^(٢).
أقول: إن النص الذي يدّعيه أهل السنة - على فرض صحته - قد حال دون ممارسة الأمة لحق الاختيار، بل كان ذلك النص العقبة الكبرى أمام الأمة في ممارسة حقها لانتخاب من يرتضونه للخلافة!...

ثالثاً: أمّا بيعة عثمان بن عفان فلم تكن وفق الموازين الشرعية أيضاً، فليست هي نصّاً، ولا هي باختيار الأمة، بل جعلها عمر بن الخطاب شورى في سنته؛ نصفهم مع عثمان وبني أمية، وعداء هؤلاء لبني هاشم واضح لا غبار عليه، فكيف إذاً يكون الاختيار وفق الموازين الشرعية...؟ بل وأكثر من هذا أن وصية عمر لمولاه صهيب خير دليل لسلب الاختيار^(٣). وسيأتي تفصيل الشورى في بحث لاحق إن شاء الله.

رابعاً: أمّا سياسة حكام الدولة الأموية فقد قامت على أساس الوراثة والتعيين، وليس بينهم أحد جاء باختيار الأمة؛ فكان السابق ينص بعهد أو بوصية إلى ولده، وهكذا تحكم الأمويون في رقاب الناس، حتى أن بيعة يزيد التي دبرها معاوية في حياته أخذت بالسيف، وأجبر المسلمين عليها.

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٦١٨.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٣٦.

(٣) لما جعل الخليفة الثاني الأمر شورى في سنته نفر من الصحابة أمر صهيباً بمولاه أن يمهلهم ثلاثة أيام، ثم قال له: إذا اجتمع رأي بعضهم على أحد وخالفهم الغير فاضرب عنقه، سواء كان هذا المخالف واحداً أو أكثر!...

أقول: لا أدري أيّ تشريع كان يتبعه الخليفة الثاني حتى يسفك دم من يخالف؟ ألم يكن لأهل الشورى حق الاختيار وحق الانتخاب؟! ألم تكن في الإسلام حرية الرأي...؟!
إذن، كيف جاز الخليفة الثاني لنفسه أن يبيع دم المصون في العرض والمال والنفس؟! فهل ذاك قرآن جاء به عمر، أم اجتهد فأخطأ؟!

١١٢.....الحسين من خلال القرآن

وأمامك كتب التاريخ إذ تؤكد على أنّ ابن الزبير وعبدالله بن عباس والحسين بن علي (عليه السلام) وعبدالله بن عمر رفضوا قرار معاوية في أخذ البيعة لابنه، وأنكروا عليه أشدّ الإنكار؛ فلم تكن في أعناقهم بيعة ليزيد إلا ابن عمر الذي جبن وباع.

ومع كلّ هذه الأدلة يبقى أهل السنة مصرّين على أنّ بيعة يزيد وسائر حكام بني أمية كانت بالإختيار.

ولا ندري هل أنّ الحبّ الأعمى هكذا يفعل بأصحابه حتّى يغفل الجميع عن كلّ هذه التفاصيل؟! وإلاّ هل جُبل المسلمون على مبايعة أهل الجور من الحكّام، أم أنّ الوعيد والتهديد والحديد والنار قد ساقهم كالأغنام حتّى بايعوا أهل البدع والضلال...؟!

خامساً: أمّا السياسة العبّاسيّة فهي لا تفترق عن سابقتها، وهي الدولة الأمويّة، بل أصبحت كسرويةً وهرقليةً.

والخلاصة:

إنّ ما يزعمه أهل السنة: من أنّ الإمامة تكون بالاختيار - عملياً - لا دليل عليه، بل انقلب الأمر من كونه حقّ العامّ إلى الحقّ الخاصّ، فالأمة التي لا بدّ من أن تمارس حقّها في انتخاب الإمام أو الخليفة الحاكم أصبحت في المجال العملي والتطبيقي لا شيء، وإنّما أصبح حقّ الاختيار بيد الحاكم، فينصّ على من يشاء ويأخذ له البيعة بحضوره؛ ليكون من بعده وليّ العهد ومن ثمّ الخليفة، وعلى المسلمين السمع والطاعة له. ولهذا اختلف علماء السنة فيما بعد، وجعلوا الإمامة مردّدة بين الإجماع والنصّ.

هذه هي حقيقة الإمامة عند السنة، وبالخصوص عند السلف منهم. أمّا الشيعة الاثنا عشرية فتستمد شرعية آرائها من الكتاب والسنة، وهي

الخلاصة..... ١١٣

التي تؤكد على الإمامة في كونها منصباً إلهياً، وليس للمسلمين فيها حق الاختيار. وإن الإمامة تنحصر في أشخاص قد اختارهم الله سبحانه خلفاء وأمناء على الدين والشريعة الغراء، وهم ورثة الرسول (ﷺ)، وقد نصّ عليهم نبي الرحمة، والأحاديث في ذلك كثيرة ومتظافرة: منها: حديث الثقلين والولاية والمنزلة، وحديث خلفاء أمتي، وغيرها من الأحاديث.

وعليه، أن مهمة النبي - عند الإمامية - لا تنحصر في التبليغ والإرشاد، ولا تنقطع توجيهاته بعد الممات، بل من مستلزمات صاحب الرسالة (ﷺ) أن يخلق الظروف المناسبة لاستمرارية ذلك التبليغ، حفاظاً على قدسية الشريعة، وتطبيقاً لأحكامها.

وعليه، فلا بد من تعيين الشخص الحاكم - الإمام - الذي يكون أميناً على الشريعة من بعد الرسول بنصّ خاص من صاحب الرسالة الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى...﴾.

والسرّ في ذلك: أن الإمامة عبارة عن الخلافة الإلهية، فهي امتداد للنبوة في كيانه وعصمتها ومنزلتها.

وقد نصّ الرسول الأكرم على الأئمة المعصومين الاثنى عشر الذين هم خلفاؤه، وورثته، وحملة علمه، وأمناءه على سرّة...

عن عصابة بن ربعي عن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ): أنا سيّد النبيين وعليّ سيّد الوصيين وأن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخهم القائم المهدي^(١).

وعن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي علي النبي (ﷺ) فسمعتة يقول: إن هذا الأمر لا ينقض حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام

(١) ينابيع المودة الجزء ٣ الباب السابع والسبعون.

١١٤.....الحسين من خلال القرآن

خفي عليّ، فقلت لأبي ما قال؟

قال: قال: كلهم من قریش (١).

عن غياث بن ابراهيم عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: سئل امير المؤمنين (عليه السلام) عن معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حوضه (٢).

علم الإمام (عليه السلام)

من الغريب جداً أن يشكك بعض الناس في علم أهل البيت (عليهم السلام) وهم يقرأون في كتب التاريخ والأحاديث والسيرة أن ابن عباس لفرط ذكائه وسعة علمه كان يسمى «حبر الأمة»، وأن سلمان ملئ علماً و يقيناً، وهكذا بالنسبة إلى جملة من الصحابة الذين حفظوا القرآن وتعلموا حدوده وأحكامه وناسخه ومنسوخه وبعض أسرارهم، حتى أن بعضهم كان يتنبأ عما يحدث...

ورب سائل يسأل: ومن أين لهم هذه الخصائص العلمية والروحية...؟ إنه كان بفضل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي علمهم وفقهم في الدين، وأخبرهم عن الله - جل شأنه - ما كان وما سيكون.

وهؤلاء الصحابة لم يكونوا أفضل من أهل البيت، ولم تنزل فيهم آية كما نزلت في الرسول وآله الأطهار، وهو قوله تعالى: «إنا ما يريد الله ليزهد عنكم الرجز أهل البيت...». فأني محذور في استيعاب أهل البيت (عليهم السلام) للفيوضات

(١) صحيح مسلم البخاري والترمذي.

(٢) معاني الأخبار ٣٢، عيون الأخبار ٣٤.

علم الإمام عليه السلام ١١٥

الإلهية وتمكنهم من الأخبار عن الحوادث التي لم تحدث بعد؟!
أليسوا هم ورثة الرسول الأكرم والأنبياء الأبرار؟ أليسوا هم من شجرة
النبوة ومعدن الرسالة؟!
قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنا - أهل البيت - شجرة النبوة، وموضع
الرسالة، ومختلف الملائكة وبيت الرحمة، ومعدن العلم»^(١).

وعن خيثمة قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): «يا خيثمة، نحن شجرة
النبوة، وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة،
ومختلف الملائكة، وموضع سر الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله
الأكبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد الله، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن
خفرها فقد خفّر ذمة الله وعهده»^(٢).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «يمصّون الثماد ويدعون - المخالفون - النهر
العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) والعلم الذي أعطاه الله،
إن الله - عز وجل - جمع لمحمد (صلى الله عليه وآله) سنن النبيين من آدم وهلمّ جرّاً إلى
محمد (صلى الله عليه وآله)، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله
(صلى الله عليه وآله) صير ذلك كله عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال له رجل: يا ابن رسول
الله، فأمر المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): «أسمعوا ما
يقول؟ إن الله يفتح مسامع من يشاء، إنني حدثته أنّ الله جمع لمحمد (صلى الله عليه وآله) علم
النبيين، وأنّه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يسألني أهو أعلم أم
بعض النبيين؟»^(٣)

وفي حديث آخر، عن عبدالله بن جندب أنّه كتب إليه الرضا (عليه السلام): «أما
بعد، فإنّ محمداً (صلى الله عليه وآله) كان أمين الله في خلقه، فلما قبض (صلى الله عليه وآله) كنّا أهل البيت

(١) أصول الكافي ١ / ٢٢١ باب ٣١ ح ٢.

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٢١ ح ٣.

(٣) المصدر السابق ١ / ٢٢٢ باب ٣٢ ح ٦.

١١٦.....الحسين من خلال القرآن

ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب ومولد الإسلام^(١)، وإنا لنعرف الرجل إذ رأيناه بحقيقة الإيمان، وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرها وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفرط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عز وجل، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله (ﷺ)، ونحن الذين شرع الله لنا دينه، فقال في كتابه: «شرع لكم - يا آل محمد - من الدين ما وصى به نوحاً» - قد وصانا بما وصى به نوحاً - «والذي أوحينا إليك» - يا محمد - «وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى» - فقد علمنا وبلغنا علم ما علمهم واستودعنا علمهم، نحن ورثة أولي العزم من الرسل - «أن أقيموا الدين» - يا آل محمد - «ولا تتفرقوا فيه» - وكونوا على جماعة - «كبر على المشركين» - من أشرك بولاية علي - ما تدعوهم إليه - من ولاية علي - «الله يجتبي إليه من يشاء» - يا محمد - «ويهدي إليه من ينيب» - من يجيبك إلى ولاية علي (عليه السلام)^(٢).

وفي حديث أبي الحسن الأول موسى (عليه السلام) قال: «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث. فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبينا»^(٣).

وهناك أحاديث وأخبار تُعدّ بالعشرات تبين علم الأئمة (عليهم السلام) وأنه ورثوه من علي أمير المؤمنين، من رسول الله (ﷺ)، بل إن بعض علومهم إنما يكون بواسطة الإلهام، أو بتحديث ملكٍ معهم وإن لم يروا شخصه.

(١) أي: عندهم علم مآل كل من يولد أهمي الحق في الإسلام أم إلى كفر؟

(٢) ما بين شارحتين هو تفسير من قبل الإمام (عليه السلام) أصول الكافي ١ / ٢٢٢ باب ٣٣ الحديث ١.

(٣) أصول الكافي ١ / ٢٦٤ باب ٥٠، الحديث .

هوية بعض المصادر التي اعتمدها المصنّف صالح نجف آبادي

يطالعنا مصنّف كتاب (شهيد جاويد) في جميع بحوثه، إنّه يعتمد في تقرير كلّ بحثٍ يناقشه على كتب المخالفين، بل المتعصّبين منهم. وطبيعيّ أنّ تلك المنهجية سوف تبعد الباحث والناقد أيّاً كان عن النتائج الحقيقية، طالما لا تخلو المقدمات من خطأ أو شبهة، فالمصنّف - مثلاً - في مناقشته للحديث: «إنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً» يذكر خمسة عشر مصدراً قد خلت هذه المصادر من ذكر الحديث. غير أنّك تجد من بين هذا العدد أربعة من كتب الإماميّة وأثنى عشر مصدراً منها للمخالفين! فأيّ منهجية سليمة هذه يعتمدها المصنّف؟ وهل عمله هذا يُعدّ من الأسس العلمية...؟

وإليك هويّة بعض تلك المصادر ومصنّفها:

١ - ابن خلّكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر الأربليّ البرمكي.

المحدّث القمّي يقول في حقّه: كان في نهاية التعصّب، ويظهر ذلك لمن طالع كتبه ومصنّفاته.

ثمّ يقول القمّي: ينتهي نسب ابن خلّكان إلى البرامكة، وكان البرامكة

١١٨.....الحسين من خلال القرآن

مبغضين لآل رسول الله (ﷺ)، معلنين العداوة لهم^(١).

٢ - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، معروف بتعصبه، صاحب كتاب ميزان الاعتدال وسير أعلام النبلاء. عقيدته في يزيد أنه مغفور له، وكل ما جرى فقد سامحه الله عليه^(٢).

٣ - ياقوت بن عبد الله الرومي، صاحب معجم الأدباء، معروف بتعصبه وبغضه لعلّي أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو ضعّف أعثم الكوفي في تأريخه، وقد اعتمد شهيد جاويد على الحمويّ في تضعيفه.

٤ - ابن عبد ربّه الأندلسي، صاحب كتاب العقد الفريد، هو الآخر من المتعصبين لمذهبه، ومن مبغضي أهل البيت (عليهم السلام)، وقد اعتمد عليه مصنف (شهيد جاويد).

ومما اعتمد عليه المصنّف - إضافة لما تقدّم - كلّ من: ابن قتيبة الدينوري صاحب كتاب الإمامة والسياسة. وأبي حنيفة الدينوري مصنف الأخبار الطوال، ومحمد بن جرير الطبري، مصنف التاريخ المعروف، وأبي الفرج الأصبهاني مصنف الأغاني وغيره، وعلي بن الحسن الشافعي مصنف تاريخ تهذيب ابن عساكر، وابن الأثير مصنف الكامل في التاريخ، وسبط ابن الجوزي مصنف تذكرة الخواص...

هذه وامثالها من كتب المخالفين اعتمدها (صالح نجف آبادي) في كتابه (شهيد جاويد)، فماذا عساك أن ترى، هكذا تحقيق في تاريخ الطائفة... الذي يُبنتى على أسس المعاندين والمتعصبين والمبغضين لأهل البيت (عليهم السلام) ١٩

ولو أردنا متابعة فصول الكتاب - شهيد جاويد - لطال بنا البحث، بل إنّه

(١) انظر الكنى والألقاب ١ / ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢٣٨.

هوية بعض المصادر التي اعتمدها المصنّف صالحي نجف آبادي..... ١١٩
يتطلّب منّا مجلّد خاص، وقد أثارنا أن نذكر جانباً من بحوثه، وهو الحديث
المتقدّم الذكر: «إنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً».
المصنّف ينقل نصّ رواية ابن طاووس في اللهوف في ترجمها، ثمّ يردها
للأمور التالية:

١ - يدّعي المصنّف أنّ رواية صاحب اللهوف غير مسندة، ثمّ يعقب
فيقول: نحن لا ندري رواة هذه القصّة من هم؟ ونحن لا ندري إلى أيّ حدّ
الكتاب الذي اعتمده ابن طاووس هو قابل الاعتماد والتصديق؟
ويقول: المطالب التي فقط يذكرها ابن طاووس والتي هي بدون سند هل
يمكن أن نطمئنّ إليها ونقبلها؟

بعد هذا التساؤل يחדش برواية ابن طاووس فيقول: باصطلاح أهل العلم
أنّ هذا النقل مرسل، والحديث المرسل إن لم تكن فيه قرينة على صحّته فهو
مردود. ثمّ يذكر بأنّ هناك روايتين تعارض رواية ابن طاووس^(١).

الرواية الأولى - كما يدّعي - هي: رواية أبي مخنف، عن هشام بن
الوليد... وهي عند المصنّف مرسلّة أيضاً، ولمّا كانت الروايتان المرسلتان
متعارضتين إذاً يتساقطان للتعارض. وهذا نصّه الفارسي:

«بديهي است نقل ابى مخنف مثل نقل لهوف مرسل است چون ناقل
اصلی قضیه مجهول است، در اینصورت مرسل ابى مخنف با مرسل لهوف
معارضه می کند و هر دو از اعتبار ساقط می شوند و مثل اینست که نه ابو مخنف
در این باره چیزی نقل کرده و نه لهوف...»^(٢).

ثمّ يذكر المعارض الثاني لرواية اللهوف، وهي رواية ابن قولويه في كامل
الزيارات.

(١) شهيد جاويد / ص ١٢٤.

(٢) شهيد جاويد / ص ١٢٥.

١٢٠.....الحسين من خلال القرآن

ووجه المعارضة - كما يدّعي المصنف - أنّ الحسين (عليه السلام) أرسل إلى أخيه محمد بن الحنفية من مكة كتاباً يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحسين بن عليّ إلى محمد بن عليّ ومن قبله من بني هاشم. أمّا بعد: فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق لم يدرك الفتح. والسلام»^(١).

عندما نطالع ما ينقله المصنّف لم نجد أيّ تعارض بين هذه الروايات، حيث المعنى متّحد. كما أنّ الزمن في صدور الرواية في تلك المصادر متّحد، وهو عندما أراد الحسين (عليه السلام) الخروج من مكة. وقد التبس على المصنف المسكين - وياله من محقّق - في مسألة محمد بن الحنفية، فالرواية الأولى يظهر منها عند ملاقة الحسين بأخيه محمد وفي الثانية إشارة إلى كون الحسين أقبل من مكة وابن الحنفية بالمدينة، ولما بلغه خبر الحسين وهو يتوّظاً في طست بكى وفي الرواية الثالثة عندما أراد الحسين الخروج من المدينة لم يدرك أين يتوجّه، ثمّ توجه إلى مكة بإشارة من ابن الحنفية. وفي الرابعة زمن الرواية عندما كان الحسين في مكة.

أقول: وأنت جدّ عليم أنّ الحسين (عليه السلام) لما أخبر أهله وإخوته وبني عمومته بالخروج - وهو في المدينة - كان ذلك الخبر بصورة نفي عام لبني هاشم، وقد جرى بين الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه محمد بن الحنفية بعض الحديث، كما جرى مثل ذلك لعبدالله بن عمر، وغيره.

ثم هناك المفاجأة في خروج الامام عند السحر ولم يطّلع على خروجه أحد إلا الذين كانوا معه، لهذا عندما سمع ابن الحنفية وهو يتوّظاً بكى، فأيّ تعارض في الأمر؟ الرواية الثالثة تشير إلى أنّ الإمام كان حائراً ثمّ توجه إلى مكة بإشارة أخيه ابن الحنفية، هذا حصل في الإنذار العام - إن صحّ التعبير - ولما وجد

هوية بعض المصادر التي اعتمدها المصنّف صالحى نجف آبادي.....١٢١

ابن الحنفية أنّ خروج أخيه أمرٌ لا بدّ منه أمّا توقيت خروج الإمام فهذا ممّا أخفاه الإمام على الجميع؛ لأمرٍ كان هو أعلم بها من غيره.

ثمّ الرواية الرابعة في كامل الزيارات تذكر: أن الكتاب صدر من الإمام وهو في مكّة، بعثه إلى أخيه محمد وبني هاشم. فما ضير ذلك؟ وهل عقول المحقّقين جمدت إلى هذا الحد بحيث لا تستوعب أبسط الأمور العاديّة التي غالباً تحدث بين الأب وأبنائه فيؤكد أو امره المرّة بعد الأخرى، سواء كان في رسائله أو في الاتصالات الهاتفية، أو التوصيات الشخصية...! فكيف بالإمام الحسين قائد هذه النهضة وزعيم هذه المسيرة ورائد هذا الجهاد؟! أليس من البديهيّ أن تصدر أوامره تبعاً؟! بل من الطبيعيّ جدّاً أن تترى رسائله ورساله إلى قومه وأنصاره ومن يرجو فيه خيراً فيحثّهم على الجهاد ومن ثمّ اللّحوق به...

فالإمام الحسين كان يستنهض بني هاشم كغيرهم من الناس، وكتابه لمحمد بن الحنفية لا يمانع ولا يعارض ما ذكره له وهو في المدينة، وهكذا لمّا وصل مكّة، وهكذا لمّا خرج منها.

جدول يكشف عن التناقض في استدلال صالحى نجف آبادي

	المصدر	سند الرواية	زمن الرواية ومكانها	من...والى	نوع الحديث
١	التهوف من قتل الطوف ص ٥٥	أصل أحمد بن الحسين	عند ملاقة الإمام بأخيه محمد بن الحنفية وهو في صبيحة يوم خرج من مكة		انظر شهيد جاويد ط ١ ص ١٢٤
٢	الطبري ٤ / ٢٩٧	أبو مخنف عن هشام بن الوليد عن شهد ذلك	ان الحسين اقبل بأهله إلى مكة وابن الحنفية بالمدينة فبلغه خبره وهو بتوظا في طست فيكي		ابن الحنفية في المدينة ودومعه في الطشت. هذا المعارض الأول ط ١ ص ١٢٤ من شهيد جاويد
٣	الطبري ٤ / ٢٩١ و ٢٩٢	الحارث بن كعب الرائي عن علي بن الحسين	عندما أراد الحسين <small>عليه السلام</small> الخروج من المدينة لم يدر أين يتوجه ثم توجه نحو مكة بإشارة ابن الحنفية		في ط ٩ من شهيد جاويد ص ٣٩٨ يذكر المصنف هذه الرواية بعنوان المعارض الأول ويترك الرواية السابقة
٤	كامل الزيارات ص ٧٥	ابن قولويه عن أبيه عن سعد ابن عبدالله عن زرارة عن الباقر <small>عليه السلام</small>	كتاب من الحسين <small>عليه السلام</small> إلى ابن الحنفية وبني هاشم يأمرهم في اللحق به		في ط ١ من شهيد جاويد ص ١٢٦ يذكره المصنف بعنوان المعارض الثاني لكنه في الطبقات الآخرى يحذفه

هوية بعض المصادر التي اعتمدها المصنّف صالحی نجف آبادی..... ۱۲۳

ثمّ تجد المصنّف لهزّالة تحقیقه وتهافته أنّه من طبعة إلى أخرى یغیّر في وجه الاستدلال.

ففي الطبعة الأولى (ص ۱۲۴) یذكر المعارض الأوّل برواية الطبريّ بسند أبي مخنف، عن هشام بن الوليد.

أمّا في الطبعة التاسعة یترك هذا المعارض ویأتي بمعارضٍ غیره برواية الطبري، لكن بسند الحارث بن كعب الواليّ، عن عليّ بن الحسين^(۱).

أمّا بالنسبة إلى المعارض الثاني - كما يدّعيه - ففي الطبعة الأولى من كتابه (ص ۱۲۶) یذكره برواية كامل الزيارات بسند ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد ابن عبدالله، عن زرارة، عن الباقر (عليه السلام)، غیر أنّه في الطبعات اللاحقة لكتابہ یحذف هذا المعارض.

وبالتالي نقول لهذا المتخبّط في التأريخ: إنّ الذي ذكرته كمعارضٍ أوّل لم یثبت عندك، وإن نفسك لم تتیقّن به، ولهذا تردّدت في تعينه، وهكذا بالنسبة للمعارض الثاني: فقد أیقنت نفسك أنّه لا یصلح معارضاً، فیا ترى هل في جعبتك إلاّ الأوهام والتخیلات؟ ألا يكون حريّاً بك أن تفيق...؟! وإليك أيها القارئ العزيز النصّ الفارسي:

«پس از بررسی کامل باین نتیجه رسیدیم که: این حدیث تا حدود نیمه دوّم قرن هفتم هجری در هیچ یک از منابع تاریخی وحديثی که در دسترس ما هست وجود نداشته است واز نیمه دوّم قرن هفتم هجری در کتب مقاتل درج شده و شهرت پیدا کرده است.

اینک نام منابع اصلی تاریخی که این نقل در آنها وجود ندارد به ترتیب

(۱) انظر الرواية في شهيد جاويد / ص ۳۹۸.

١٢٤.....الحسين من خلال القرآن

ذكر مى كنيم:

١ - الامامة والسياسة تأليف ابن قتيبة الدينورى...»^(١).

ثم يسرد اثني عشر مصدراً لكتب المخالفين وثلاثة مصادر - فقط - من كتب الإمامية.

بل يؤكد المصنّف أنّ مصادر أهل السنّة هي مورد الاعتماد في هكذا تحقيق.

أما نحن فقد أسلفنا فيما مضى: أنّ العقائد الدينيّة والمذهبية التي ابنتي عليها مذهب الإماميّة لا ينبغي أن نأخذها من مصادر وآراء مخالفينا، بل نأخذها من مصادرنا المعتمدة فقط، ومن طريق أهل البيت (عليهم السلام).

بينما مصنّف (شهيد جاويد) على العكس من ذلك، فهو ينفخ في رماد، ويطلب جذوة نارٍ في ماءٍ إنّه يريد أن يحقّق العقائد الإماميّة بواسطة الكتب السنّيّة، بل يريد من كتابنا ومصنّفينا أن يوافقوا أهل السنّة فيما يكتبون ويؤرّخون.

إنّ ذلك من أغرب العجائب، حيث أدنى شخصٍ لا يأمل في أولئك جاحدي خلافة أمير المؤمنين، وناكري ولايته الشرعية وإمامته المنصوصة وإمامة أبنائه، وناصبي العداة والبغضاء لهم، لا يأمل منهم الخير، ولا يتوسّم فيهم الصدق في كلّ ما يكتبونه، فكيف بمن يدّعي الفضل والعلم (كالنجف آبادي)؟! وقد قيل: فاقد الشيء لا يعطيه فالذي ينكر عصمة الأئمة ولا يقيم لهم وزناً، بل يجعلهم كسائر الناس العاديين ولا يرى لهم أيّ حقٍّ لا من قريب ولا من بعيد، بل شأنهم في النسب إلى الرسول (ﷺ) كشأن بني العباس، والجميع - على حدّ زعم المخالف - أبناء عمٍّ ولا فضل لأحد!! من كان فكره ومعتقده في أهل البيت - هكذا - فكيف نرجو منه ومن

(١) شهيد جاويد / ص ١٢١.

هوية بعض المصادر التي اعتمدها المصنّف صالح نجف آبادي.....١٢٥٠

أقرانه أن يضبطوا لنا تاريخ أهل البيت ووقائعهم وخصوصياتهم، وخاصةً واقعة الطّف وسيرة الإمام الحسين (عليه السلام)؟!

وإذا قلنا أن المخالف بإمكانه ضبط تلك الوقائع بكل جزئياتها، فهذا يعني: أن القوم سيترفون بمظلومية الإمام الحسين (عليه السلام)، وسيترفون بجناية يزيد ومعاوية وبني أمية، بل إنهم سيترفون بجناية الخليفة الثالث عندما حابا بني أمية وقرب مروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان...!



مع
الركابي في سرقاته

مع الشيخ الركابي وكتاب (وقعة كربلاء) المسروق من الأصل الفارسي (شهيد جاويد)

حبّ الجاه والمال والمنصب والرئاسة تجده عند الكثيرين من الناس، وليس غريباً أن يسعى المرء إلى هذه بطرقٍ نزيهةٍ وشريفة، وليس هناك أيّ مانعٍ من نيل الرُتب الدنيويّة إذا كان الإنسان سعيه في جدٍّ ومثابرة، وقد قيل:

من رام وصلَ الشمسِ حاكَّ خيوطها سَـبَّاباً إلى آماله وتعلّقها

لكن من التفاهة والحماقة أن يسعى المرء في بناء شخصيّة الموهومة من خلال سرقة جهود الآخرين وانتحال ذلك المسروق لنفسه...

وفي نظري أنّ ذلك العمل ناشئ من عقدةٍ في الشخص نفسه، ربّما غرّته بعض الكلمات المعسولة الصادرة من قطيع الأغنام الذين يحوطون به، فتشدّق لينتحل بحوث الناس لنفسه.

من أولئك شخص يدعى «الشيخ الركابي»، تأريخه مجهول، بل مشبوه أيضاً إليك نبذة عن حياته:

اسمه: أياد فشّاخ الركابي، من منطقة الرفاعي وهي بلدة صغيرة ريفيّة تقع جنوب العراق تقريباً إلى شمال محافظة البصرة وبالقرب من مدينة العمارة.

لديه أخ اسمه «عبد الجليل الركابي» كان في دولة الإمارات، وقد أنهى كلية أصول الدين في بغداد، وعمل موظّفاً في دائرة العقاري هناك، ثم عمل مع حركة القوميّين. وفي عام (١٩٨١ م) جاء إلى سوريا ثمّ ذهب إلى مصر، وهناك

١٣٢.....الحسين من خلال القرآن

أرسل على أخيه أياد الملقب بـ (الشيخ الركابي).

وقد استطاع (الشيخ الركابي) أن يزور إيران في عام (١٩٨٢ م)، وهو يوم
ذاك لم ينه المرحلة الإعدادية من دراسته كما أنه لم يعرف من شؤون الحوزة
وعلموها حتى مقدماتها.

حاول أن يتسلى ليصل إلى مكتب آية الله الشيخ المنتظري، وفعلاً حصل له
ذلك، ثم فجأة يحضر درس الشيخ (البحث الخارج) وذلك في عام (١٩٨٥ م).
ولم تمض عليه أسابيع حتى نجده يدّعي أنه أستاذ في جامعة مشهد في
مادة الفلسفة!

والسرّ في ذلك: أنه يأخذ تعريفاً مزوراً من مكتب الشيخ ليعرضه على
جامعة مشهد في خراسان، عسى أن تنهياً له الفرصة فيكون أستاذاً فخرياً، إلا أنه
اصطدم بالواقع، حيث إنّ محتواه العلمي والفكري يكشف زيفه وزيف كلّ
محتال...

ثمّ رجع من مشهد خائب الآمال، ممّا حاول أن يبرز في مجال الكتابة ولو
بسرقه بحوثٍ كاملةٍ ونقلها من لغةٍ إلى أخرى...
أول سرقةٍ له هو كتاب (شهيد جاويد) المارّ ذكره في الصفحات السابقة
لمؤلفه صالح نجف آبادي، وهذا المؤلف وهو الآخر من حواشي الشيخ
المنتظري.

عمد (الركابي) إلى ترجمة أغلب فصول الكتاب وبحوثه، إذ نقلها إلى
العربية وانتحل الموضوع لنفسه.

وأغرب من ذلك أنّه سرق حتى مقدّمة الكتاب، فجعلها ملققةً من عدّة
مصادر وإنّك تجد الفقرة الأخيرة من مقدّمة كتاب (وقعة كربلاء) مأخوذة من
مقدّمة الشهيد الصدر لكتابه (فلسفتنا)...

إنّني لا أريد أن أسجّل ملاحظاتٍ على كتاب (وقعة كربلاء)؛ لأنّه ليس فيه

مع الشيخ الركابي وكتاب (وقعة كربلاء)..... ١٣٣

جديد، بل مفاده هو نفس كتاب (شهيد جاويد) باللغة الفارسية، لكن أريد أن أدلل على أنّ الكتاب مسروق لذا قمت بتصوير بعض صفحات النسخة الفارسيّة بما يقابلها من عناوين في نسخة (وقعة كربلاء)، وقد اخترت لذلك بعض عناوين الكتاب، وسيجد القارئ العزيز بصمات السرقة واضحةً جليّة، وإليك الصفحات المصوّرة من الكتابين:

٦ - مروج الذهب، ٧ - مقاتل الطالبين، ٨ - الارشاد للشيخ المفيد، ٩ -
إعلام الوري، ١٠ - روضة الواعظين، ١١ - الخامل لابن الاثير، ١٢ -
التذكرة للسبط، ١٣ - التهذيب لابن عساكر، ١٤ - تاريخ ابن كثير.
فالخطبة في جميع تلك التواريخ المدونة-اعلاه لم تذكر وليس لها وجود،
بل إنها جاءت فقط في كتاب اللهوف والكتب التي تلتها بدون سند
يذكر. وعلى أساس هذا فالخطبة ليست متواترة أو يقينية، وليست لدينا
قرينة قطعية على صحة صدورهما، وليست هي بمستوى الخبر الواحد
الصحيح الإعتبار، بل إنها من جهة الإعتبار تأتي بمرتبة الخبر الواحد
المجهول السند.

٢ - حديث أنزل الله النصر: جاء في كتاب الكافي للكليني حديث بهذا
الشكل: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: أنزل الله تعالى النصر على
الحسين (ع) حتى كان بين السماء والأرض ثم خير: النصر أو لقاء الله
فاختار لقاء الله». (اصول الكافي ج ١ ص ٢٦٠). فقد يتصور أحدكم أن
مقصود الإمام (ع) كان يريد أن يُقتل نفسه، ولكن يجب أن نعلم أن هذا
الحديث لا يصل إلى حد الحجية لمجموعة من العلل نذكر منها ما يلي،

١ - وجود معارض له في المقام كحديث (أوسط بن يحيى) المروي
بهذه الصورة؛ «قال عقبة بن بشير الاسدي: قال لي أبو جعفر محمد بن
علي بن الحسين: إن لنا فيكم يا بني أسيراً ما قال: قلت: فما ذنب أنا في
ذلك رحمك الله يا أبا جعفر! وما ذلك؟ قال: اتى الحسين (ع) بصبي له
فهو في حجره إذ رمأ أحدكم يا بني أسيراً يسهم فذبحه تنفق الحسين دمه
فلما ملا كفيه صب في الأرض ثم قال: رب إنك حبست عنا النصر من
السماء فاجعل ذلك لما هو خير وإنتم لنا من هؤلاء الظالمين». (تاريخ
الطبري ج ٤ ص ٣٤٣)

أنظر ص ٣٨٢

من الكتاب الفارسي مع الهامش^{٢٩٠}

۳- پس در این زمان هم برای شهادت خارج نشد.
و پس از برخورد با حربین یزید تا قبل از شروع جنگ کوشش امام
ایر بود که نراک خصوصیت شود و خون ریخته نشود و تلاشهای خالصانه امام
در این راه از آفتاب روشن تر است.
۴- پس در این زمان هم برای کشته شدن خارج نشد.
آری هنگامیکه روز عاشوراء از طرف دشمن حمله شروع شد
بحکم اضطرار دستور دفاع صادر فرموده و خود و اصحاب وفادارش به پیکار
با دشمن پرداختند که بشهادت آنحضرت و یاران فداکارش انجامید.
پس مدون این دو روایت با روز عاشوراء منطبق میشود، آنهم
نه بمعنای اینکه امام برای کشته شدن خارج شده بلکه باین معنی که
پس از حمله دشمن به پیکار و جهاد پرداخت و آنحضرت و یارانش در این
پیکار شهید شدند.
بنابراین با توجه به عمل امام که در خارج انجام داد از این دو حدیث
استفاده نمیشود که امام حسین علیه السلام از خدا دستور داشته است از
همان آغاز کار برای کشته شدن خود و اصحابش خارج شود.

حدیث : «انزل الله المنصر»

کافی حدیثی بدینصورت نقل میکند : «... عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَائِدَةَ الْإِلَامِ
قَالَ : أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنْصَرَ عَلَى الْخُسَيْنِ (ع) حَتَّى كَانَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لُحْمٌ مُغِيرٌ :

۱- به ۱۴۲ و ۱۴۱ از همین کتاب رجوع شود.

فالحديث السابق الذي رواه الكافي يتحدث بإطلاق عن نزول النصر من السماء على الحسين (ع)، لكنه هنا وفي حديث لوط بن يحيى لم يدعي نزول النصر. ومع تعارض الخبرين نرجع إلى التحقيق فيهما.

فرواية الكافي وطبق ما كتبه العلامة المجلسي (قدس س) في كتاب مرآة العقول ج ١ ص ١٨٩ قال عنها بأنها رواية حسنة، ومصطلح الرواية الحسنة عند علماء الحديث يعني مقبولة إلى بعض الحدود. ولكنها لا تصل إلى مستوى الحديث الصحيح. . . وأما رواية لوط بن يحيى فهي أيضاً مقبولة إلى بعض الحدود، لأن لوط بن يحيى وحسب ما صرح به النجاشي في رجاله في الصفحة ٢٤٥ إنه «قابل للإعتماد». والراوي الآخر للحديث عقبة بن بشير ينقل عنه إبان بن عثمان الذي هو من أصحاب الإجماع. فهو إذن مقبول إلى بعض الحدود ويمكن الإطمئنان إليه (الكافي ج ٤ ص ٦٠٥ حديث ٤). وعلى أي حال فلو افترضنا أن رواية لوط بن يحيى لم تكن بمستوى رواية الكافي من حيث السند، لكن هذا المقدار من الإعتماد ينزل رواية الكافي عن الحجية.

٢ - وأيضاً؛ يلزم في حديث الكافي أن يكون الحسين (ع) مخالفاً في السيرة لسيرة رسول الله (ص) لأن رسول الله (ص) وحسب ما نقل في الروايات المعتبرة إنه استنزل النصر الإلهي في معركة بدر التي كانت هذه المساعدة الغيبية شاملاً حسم ونصر ونجاة للإسلام والمسلمين. ولكن الإمام (ع) وحسب ما نقله الكافي رفض الإمداد الغيبي وهو بذلك إنما يخالف مسيرة رسول الله (ص). . . والمسلم المؤمن لا يتمكن نسبة الخلاف من الحسين (ع) لسيرة جده رسول الله (ص).

٣ - وأيضاً؛ يلزم من حديث الكافي أن يتهم السوء أن الإمام الحسين (ع) لا يريد نزول الإمداد الغيبي الإلهي الذي هو بمثابة عون

أنظر ص ٣٨٢

من الكتاب الفارسي ٢٩١

النَّصْرَ أَوْ لِقَاءَ اللَّهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ^۱. خدا نصرت خود را بر حسین (ع) نازل کرد تا اینکه بین آسمان و زمین رسید آنگاه امام مخیر شد بین نصرت یا ملاقات خدا و آنحضرت ملاقات خدا را اختیار کرد.

منکن است کسی با دیدن این حدیث تصور کند امام منظورش این بوده که کشته شود ولی باید دانست این حدیث بچند علت تا سرحد حجیت نمیرسد :

۱- معارض دارد و آن حدیثی است که «لوط بن یحیی» بدینصورت نقل میکند: وَقَالَ عَقَبَةُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَسَدِيُّ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: إِنَّا لَنَأْفِيكُمْ يَا بَنِي آسَدٍ دَمًا قَالَ: قُلْتُ: فَمَا ذَنْبِي أَنَا فِي ذَلِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا جَعْفَرٍ! وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: أَمَّا الْحُسَيْنُ (ع) بَصِيَّةٌ لَكَ قَرَأَ فِي حِجْرِهِ إِذْ دُمَاهُ أَحْدَكُمُ يَا بَنِي آسَدٍ يَسْتَهْمُ قَدْ بَعَثَهُ قَتَلَى الْحُسَيْنِ دَمَهُ فَلَمَّا مَلَأَ كَفَّيْهِ صَبَّهُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: رَبِّ إِنَّا لَنَكُفِّرُ حَبَسَتْ عَنَّا النَّصْرُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَجْعَلْ ذَلِكَ لِيَا هُوَ خَيْرٌ وَأَنْتَقِمَ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ^۲. عقیبه بن بشیر اسدی میگوید: امام محمد باقر علیه السلام بمن فرمود: ای بنی اسد شما يك خون از ما ریخته اید گفتیم: گناه من چیست؟ و قصه چگونه بوده؟ فرمود: بچه ای را از امام حسین (ع) به آنحضرت دادند آن بچه در دامن امام بود که یکی از شما بنی اسد تیری بوی زد و ذبحش کرد حسین (ع) دودست خود را زیر خونهای گلوی بچه گرفت وقتی دودست وی پر شد خونها را بزمین ریخت. آنگاه گفت: خدا یا

۱- اصول کافی ج ۱ ص ۲۶۰

۲- تاریخ طبری ج ۴ ص ۳۴۲. ارشاد مفید نیز این حدیث را با کمی اختلاف در ص ۲۲۱ نقل کرده است.

سرقاٲ ١٣٨

البياض صحیح

اگر نصرت آسمانی را ازها بازداشته‌ای این مصیبت را ذخیره آخرت ما
قرارداده و انتقام ما را از این ستمگران بگیر.

از حدیث کافی معلوم میشود نصرت آسمانی برای امام حسین
علیه السلام آمده درحالی که از حدیث «لوط بن یحیی» معلوم میشود
نیامده است.

و روایت کافی طبق نوشته علامه مجلسی قدس سره در مرآت العقول
ج ۱ ص ۱۸۹ روایت حسنه است و روایت حسنه تاحدودی قابل قبول است
ولی بپایه حدیث صحیح نمیرسد. و حدیث «لوط بن یحیی» نیز تاحدودی
قابل قبول است زیرا «لوط بن یحیی» طبق نوشته رجال نجاشی ص ۲۴۵
قابل اعتماد بوده و «عقبة بن بشیر» اسدی که راوی دیگر این حدیث
است چون «ابان بن عثمان» که از اصحاب اجماع است از وی نقل حدیث
میکند (کافی ج ۴ ص ۲۰۵ حدیث ۴) از این رو تاحدودی قابل اطمینان است.
و در هر حال اگر چه حدیث «لوط بن یحیی» شاید سندش به قوت سند
حدیث کافی نباشد ولی این قدر هست که حدیث کافی را از حد حجیت
تنزل میدهد.

۲- لازمه حدیث کافی اینست که سید الشهداء صلوات الله علیه مخالف
سیره رسول خدا (ص) عمل کرده باشد زیرا رسول اکرم (ص) کمک غیبی
را در جنگ بدر پذیرفت و اسلام را از خطر نجات داد، ولی امام حسین (ع)
طبق حدیث کافی برخلاف سیره پیغمبر (ص) کمک خدا را نپذیرفت. و
مسلم است که مخالفت با سیره رسول خدا (ص) را نمیتوان به سید الشهداء

۱- سورة انفال آیه ۹

أنظر ص ۲۹۱

من کتاب وقعة كربلاء

المساعدة في إحياء الإسلام وإحقاق الحق ونجاة المستضعفين، وهل يمكن للفرد العاقل نسبة ذلك لابن رسول الله (ص)؟

تنبيه: لا يمكن القول بأنه - كما أن الله لم يكن النصر من خلال المعجزة والإمداد الغيبي، وكذلك فإن الإمام (ع) لا يريد النصر من خلال المعجزة والإمداد الغيبي لإنقاذ الإسلام من الخطر. . إن مثل هذا القياس ليس بصحيح، لأن الله لم يكن فرداً مكلفاً ولكن الإمام (ع) على العكس فهو فرد مكلف إلى الحد الذي يتمكن فيه إنقاذ الإسلام، ولهذا المعنى قدام بثورته وقيامه بوجه الظلم مع ما تحمله من مشقات وصعوبات، أضف إلى ذلك بأن الله سبحانه وتعالى في حديث الكافي أراد أن ينزل الإمداد الغيبي لنصرة الدين ولكن الإمام (ع) رفض هذا الإمداد! . ولكن يجب أن نتصفوني القول إن حديثاً له ثلاث نقاط ضعف هل يستطيع أن ينهض. أن يكون دليلاً على أن الإمام (ع) تحرك للشهادة؟

٣ حديث من لحق بي إستشهد: يقول حمزة بن حمران كنت في مجلس الإمام السجاد (ع). قال حمزة؛ فذكرت بخروج الحسين (ع) ونخلف ابن الحنفية عنه. فقال (ع) يا حمزة إني سأحدثك من بما لا تشك فيه بعد مجلسنا هذا إن الحسين (ع) لما فصل متوجهاً إلى العراق دعا بقرطاس وكتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم أما بعد فإنه من لحق بي إستشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام». (اللهوف ص ٥٧، ودلائل الإمامة ص ٧٧، وكامل الزيارات ص ٧٥ مع بعض الاختلاف).

ولا ريب إنه في معنى هذا الحديث وجوه منها ما يلي:

١ - يحتمل أن الإمام (ع) يقصد إن كل فرد هاشمي يلتحق به يستشهد، مثل ابني عبد الله بن جعفر، ولكنه لم يتحدث عن شهادة

﴿حَدَّثَنَا﴾ : « من لحق بی استشهد » :

حمزة بن حمران میگوید : مادر محضر امام صادق علیه السلام از قدام امام حسین (ع) و همراهی نکردن محمد حنفیه با آنحضرت سخن بمیان آوردیم ، حضرت صادق (ع) فرمود : من حدیثی برای تو نقل میکنم

→ ۴۱۷ یا ۴۱۸ هجری در مقتل امام حسین (ع) به عربی بسیار رکیک نوشته و حقایق تاریخی را تحریف کرده. صاحب بن عباد درباره ابواسحاق میگوید: ابو آتش سوزنده ای است (لغت نامه دهخدا ص ۲۳۲۲). برای معرفی ابن سنی دروغ پرداز چند مطلب را از باب نمونه از کتاب او نقل میکنیم: ۱ - میگوید: علی علیه السلام در محراب مسجد کوفه دفن شده (ص ۵) ۲ - میگوید: معاویه درباره حسین (ع) از پدرش علی مهربان تر بود (ص ۵) ۳ - میگوید: معاویه به یزید گفت: خلافت از حسین و پدر اوست و ما بنده حسین و پدر او هستیم تو بگذار خلافت به اهلبش بر گردد (ص ۷) ۴ - میگوید: امام بمردم کوفه نوشت: مسلم برای شما در مسجد کوفه نماز میخواند و نعمان بن بشیر بین شما حکم میکند تا من به کوفه بیایم (ص ۱۵) ۵ - میگوید: مسلم بمنزل نعمان بن بشیر رفت و نعمان نامه امام را روی سر گذاشت و با مسلم موافقت کرد و مسلم نماز جماعت میخواند و بین مردم قضاوت میکرد و نعمان حکومت میکرد (ص ۱۶) ۶ - میگوید: امام به خواهرش سکینه گفت: من از جدم شنیده ام که حسین کشته میشود ولی شاید آن حسین غیر از من باشد (ص ۱۷) ۷ - میگوید: عبدالله زبیر به امام حسین (ع) گفت: مرا با خود به کوفه ببر و من دو هزار مرد شجاع بکمک شما میآورم و تا دروازه مکه امام را بدرقه کرد و با چشم گریان با او وداع کرد و بر گشت (ص ۱۹) ۸ - میگوید: ابن زیاد نامه ای باسم مسلم جمل کرد و از زبان وی به امام نوشت: هر چه زودتر به کوفه بیا (ص ۳۷) ۹ - میگوید: اجساد شهدای کربلا را قومی از جن ها دفن کردند (ص ۶۶) ۱۰ - میگوید: یزید از شدت پشیمانی سیلی به صورت خود میزد و میگفت: مرا با حسین چه کار؟! (ص ۸۵) و صدها دروغ دیگر.

الهامش لموضوع آخر

شخص الإمام (ع) أو عدمها حتى عن سائر أصحابه فقد سكت ولم يشملهم بالحديث، وهذا هو ظاهر الحديث.

٢ - ويحتمل أن الإمام (ع) يقصد أن كل فرد هاشمي، وكذلك هو وأصحابه وكل من جاء معه فإنهم سيقتلون «وهذا من باب كون اللاحق والملحق في الحكم واحداً» وهذا الوجه لم ينطبق على الواقع، لأن عدة من أصحاب الإمام (ع) لم يستشهدوا وكذلك بعض الأفراد من بني هاشم أيضاً لم يستشهدوا بل بقوا أحياء كما هو الحال لأبناء الإمام الحسن عليه السلام.

٣ - يحتمل أن الإمام (ع) يقصد أن أكثر بني هاشم سواء التحقوا به أو كانوا معه سوف يستشهدون، ولكنه (ع) لم يحدثنا عن شهادة نفسه أو عدمها بل أثر السكوت. وهناك احتمال أن يكون الإمام (ع) جزءاً من الأقلية أو من الأكثرية، وهذا الاحتمال جارٍ في كل فرد من أصحابه.

٤ - ويحتمل؛ أن الإمام (ع) يقصد أن بني هاشم سواء الذين التحقوا به أو الذين كانوا معه فإنهم سيكونون بمعرض للشهادة، لأن إمكان وجود صدام عسكري قائم بين الإمام الحسين وحكومة يزيد الفاسدة. ولكنه (ع) في ذات الوقت لم يتطرق إلى نفسه أو إلى أفراد بني هاشم واحداً ولم يخصهم من جهة الاسم بالذكر.

٥ - ويحتمل؛ أن كلمة «استشهد» إنما هي إخبار بمعنى الإنشاء ويكون قصد الإمام (ع) هو طلب الإستنصار من بني هاشم ويريد منهم أيضاً أن يستعدوا للفداء والتضحية مع كبر في نفوسهم وإن بث فيهم روح الشهامة والشجاعة، ويكون معنى (استشهد) هنا؛ على كل واحد يلتحق بنا فعليه أن يستعد للتضحية والفداء حتى الشهادة، إذن وبناء على ما تقدم يكون متصوده (ع) تشويق بني هاشم لكي يلتحقوا به ولذا جيء في ذيل

بدايته في الصفحة السابقة

(و حقیقت مطالب را میگویم) تا دیگر بعد از این مجلس از قضیه محمد بن حنفیه سؤال نکنی :

امام حسین علیه السلام وقتی که از مکه بسوی کوفه حرکت کرد کلاغذی خوراست و چنین نوشت : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ الْحَمِينَ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اسْتُشْهِدَ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ وَالسَّلَامُ . این نامه ای است از حسین بن علی به بنی هاشم : از شما کسی که بمن ملحق شود شهید میشود و کسی که ملحق نشود به فتح و پیروزی نمیرسد .

در معنای این حدیث چند وجه است :

۱ - بگوئیم : مقصود اینست که هر کس از بنی هاشم به امام ملحق شود شهید میشود مثل پسران عبدالله جعفر ولی دیگر از شهادت یا عدم شهادت خود امام و سایر همراهان آنحضرت ساکت است (و این معنای ظاهر حدیث است):

۲ - بگوئیم : مقصود اینست که هر کس از بنی هاشم به امام ملحق شود کشته میشود و همچنین خود آنحضرت و همه همراهان (از باب اینکه حکم لاحق و ملحق یکی است) شهید میشوند . و این وجه با واقع منطبق نمیشود زیرا چند نفر از اصحاب امام از بنی هاشم و غیر آنان زنده ماندند چنانکه سابقاً در صفحه ۴۱۸ اشاره کردیم .

۳ - بگوئیم : مقصود اینست که اکثریت بنی هاشم چه لاحق و چه ملحق شهید میشوند و از شهادت یا عدم شهادت خود امام بشخصه ساکت

۱ - اهوف ص ۵۷ و دلائل الامامة ص ۷۷ و کامل الزیارات ص ۷۵ با کسی اختلاف.

بدایته في الصفحة السابقة

الرسالة ما يلي «ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح» ولز. يتمكن من الوصول الى حافة النصر. . وبالتالي فإن بقاءكم في المدينة لا يوصلنا الى النصر ويتحتم عليكم العيش تحت سلطة الظالمين، وإنه لا شيء أفضل من أن تستعدوا معي وتساعدوني على أمل أن نتنصر على العدو ونقيم حدود الله ونرفع الظلم من على المستضعفين.

نتيه: لا ريب أن هذا الحديث كان بمحضر الإمام الصادق (ع) والإمام (ع) في مقام بيان صورة جملة الإستفسار المطروح حول ابن الحنفية وسبب تخلفه، ولعل أسلوب الحديث يوحي بأن الإمام (ع) بمعرض إنتقاد اراء الكيسانية التي تدعي امامة محمد بن الحنفية، وهذا التعليل يبتني على روح سلب الإمامة بجزئها الخاص الى أي فرد لم يكن قد ساهم في حرب الحسين (ع). لعله كان هذا ولعله كان غير ذلك والله العالم.

ملاحظة: إن كلمة الفتح في الحديث كما أرى تعني النصر وتشكيل الحكومة الإسلامية: وليس هي الفوز الاثروي تعليلاً لمصدر الحديث، بل أن ما إدعاه بعضهم دعوى بلا دليل مع وجود ما يعارضه كما جاء في رسالة أمير المؤمنين (ع) لعقيل بن ابي طالب «فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت» (الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٥). وهذا المعنى الاخير صريح في التعليل لان مبنى القاعدة العقلانية يؤكد على أن مرحلة الحكم على المعنى في الشهادة هي مرحلة تعليل الظواهر بالحاجات المفروضة، لكن ما دام عالم الادلة ينفي ذلك فيثبت جسدلاً العكس وهو النصر الالهي بحكومة إسلامية.

خلاصة الوجوه: أما الوجه الأول من الوجوه الخمسة فيحسب المعنى الحقيقي للحديث. وأما الوجه الثاني فلا يمكن قبوله، والثلاثة الاخر يمكن

أنظر ص ٤٢٧

من الكتاب الفارسي (شهيد جاويد)

است چون احتمال دارد خود آنحضرت جزء اقلیت باشد یا جزء اکثریت. چنانکه در باره يك از همراهان نیز این احتمال هست که جزء اقلیت باشند یا جزء اکثریت .

۴- بگوئیم: مقصود اینست که بنی هاشم ، چه لاحق و چه ملحق در معرض شهادت هستند زیرا امکان برخورد نظامی هست، ولی از شهادت یا عدم شهادت خود امام (ع) بشخصه و يك يك از افراد بنی هاشم باشخاصهم ساکت است .

۵- بگوئیم: کلمه (اُسْتُهَد) اخبار بمعنای انشاء است و مقصود امام (ع) اینست که از بنی هاشم استنصار کنند و ضمناً میخواهد روح شهادت و آمادگی برای فداکاری را در آنان بدمد و معنای « اُسْتُهَد » اینست که (هر کس بمن ملحق شود) باید آماده پیکار تا سرحد شهادت باشد . پس منظور آنحضرت اینست که بنی هاشم را تشویق کند تا بوی ملحق گردند و از اینرو در ذیل نامه فرموده است: هر کس بمن ملحق نشود بهفتح و پیروزی نخواهد رسید یعنی حالا که مانند شما در مدینه به پیروزی نمیانجامد و باید زیر سایه ظلم زندگی کنید همان بهتر که آماده پیکار شوید و در این قیام بامن همکاری کنید بامید اینکه بردشمن غالب گردیم.

يك نکته :

چون در محضر امام صادق (ع) سخن از همراهی نکردن محمد حنفیه با امام در بین بوده احتمالاً آنحضرت خواسته بفرماید: سید الشهداء (ع) محمد حنفیه را با سایر بنی هاشم به کمك خود طلبید: بن وصف او از

في ص ۲۹۳

۲۲۶

من كتاب وقعة كربلاء

سرقاٲ ١٤٦

البياض صحیح

لصرت وی خودداری کرد^۱ و شاید ضمناً خواسته باشد از طایفه کیسانیه انتقاد کند و بفرماید: آنان کسی را به امانت پذیرفته‌اند که از کمک به امام خود دریغ کرده است.

خلاصه وجوه:

وجه اول از پنج وجه مزبور معنای حقیقی حدیث محسوب می‌شود و وجه دوم قابل قبول نیست و سه وجه دیگر بانوعی تأویل قابل قبول است. آیا با این احتمالاتی که در معنای حدیث هست میتوان یکی از احتمالات را باطمینان خاطر پذیرفت و آیا میتوان از این حدیث استفاده کرد که امام حسین (ع) بقصد کشته شدن حرکت فرموده است؟ و آیا چنین مطلبی را که مخالف عقل اجتماعی مردم است میتوان با چنین حدیثی اثبات کرد؟ دآوری آن بعهده خود شما.

~~حدیث در بیان امام حسین~~

آنگاه که امام حسین (ع) در دمام کوفه به «بنی النقیه» رسید مردی

۱- بنی عساکر نوشته است: «امام حسین (ع) از مکه برای مدینه پیکی فرستاد و نوزده نفر مرد وزن از بنی عبدالمطلب برای همراهی آنحضرت آمدند (تهذیب ابن عساکر ج ۴ ص ۳۳۱)» معلوم میشود امام از بنی هاشم کمک خواسته و عده‌ای از آنان بکمک حضرتش شتافته‌اند و تمکن است گفته شود: همین نامه موزد بحث را برای کمک خواستن فرستاده و یک عده از بنی هاشم بکمک آمده و ولی محمد حنفیه تخلف کرده است. و در اینصورت کلمه «استشهد» اجبار بمعنای انشاع است و شاید این معنی بهتر باشد زیرا خبر دادن امام از اینکه هر کس بمن ملحق شود کشته میشود چه سودی دارد؟

الصفحة ۲۹۴

وتكلمته في ص ۲۹۵ من كتاب وقعة كربلاء

قبولهم حسب نوع التأويل الذي يمكن إستخدامه . . ولكن مع تلك الإحتمالات المتعددة، هل يستطيع الفرد أن يطمئن لتلك الإحتمالات ويبنى عليها ويقبلها؟ وهل يستطيع انفراد من خلال هذا الحديث أن يقول ان الحسين (ع) تحرك لكي يقتل؟ وهل يمكن إثبات ذلك من خلال هذا مع كونه يخالف الرأي العام والمنطق الإجتماعي والعرفي؟ ونترك الإجابة لكم.

٤ حديث أم سلمة: جاء منقولاً في بعض الروايات الواردة عن الرسول (ص) إنه أعطى لأم سلمة شيئاً يشبه التراب الأحمر وقد وضع في قارورة وقال (ص) لأم سلمة؛ حتى ما أصبح التراب دماً فإعلمي أن الحسين قد قتل (البحار ج ١٠ ص ١٥٥) وجاء في رواية أخرى قوله (ص)؛ متى ما أصبح التراب دماً فإن الحسين سيقتل. (مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٦٣) وفي رواية أخرى: ان جبرئيل أعطى الرسول (ص) تراباً أحمر من مقتل الحسين (مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٥٩). وفي خبر آخر: ان جبرئيل جاء بتراب أبيض وأعطاه للرسول (ص) دليلاً على ذلك (مناقب الخوارزمي ج ٤ ص ٥٥). وفي خبر آخر: ان جبرئيل أعطى الرسول (ص) كمية من تراب مقتل الحسين (ع) (مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٥٨) وعلى ما أظن أصل المطلب كان واحداً، ولكن كل شخص ينقل بصورة معينة، فأحد قال مثلاً؛ أن جبرئيل أعطى الرسول (ص) تراباً علامة على قتل الحسين. آخر يقول؛ أعطي للرسول (ص) تراباً، وثاني يقول؛ كان لون التراب أحمر، آخر يقول؛ أبيض. وشخص ثالث يقول؛ لم يكن تراباً بل كان شبيهاً بالتراب، آخر يقول؛ متى ما أصبح التراب دماً فإن الحسين سيقتل. إن القدر المشترك بين هذه الروايات يدور حول شهادة الإمام (ع) دون أن يعين الوقت المحدد لها. ولقد جاء عن رسول الله (ص) وصف ذلك الشيء بالتراب أو ما يشبه

ترجمته يتبع في ص ٤٠٨ من الكتاب الفارسي

رسول خدا (ص) در خواب همین دستور را به آنحضرت داده بود ، آیا این افراد میگویند: پیغمبر اکرم (ص) دوباره در مکه در عالم خواب به ملاقات امام حسین (ع) آمده بود تا همان دستور صحیفه آسمانی و همان دستوری را که در مدینه در خواب به امام داده بود تکرار کند که : **وَأُخْرِجَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَاءَ أَنْ يَرَاهُ قَتِيلًا**. بیرون برو که خدا خواسته ترا کشته بیند ؟
چه احتیاجی به تکرار این دستور بود ؟ مگر امام (العیاذ بالله) در عمل کردن بدستوری که در صحیفه آسمانی و در خواب کنار قبر مطهر رسول خدا (ص) از آنحضرت دریافت کرده بود مردد شده یا میخواست در اجرای دستور کوتاهی کند که احتیاج به تأکید و تکرار دستور داشت ؟

۶- حدیث ام سلمه :

در بعضی از روایات وارد شده است که رسول خدا (ص) چیزی شبیه **خاك سِرَخ** به ام سلمه داد و او آنرا در شیشه ای ضبط کرد و رسول اکرم (ص) به ام سلمه فرمود : هر وقت این **خاك** خون شد ، بدان که حسین (ع) کشته شده است^۱.

و در روایت دیگری است که فرمود : هر وقت این **خاك** خون شد حسین (ع) کشته میشود^۲.

۱- بحار ج ۱۰ ص ۱۵۵

۲- بحار ج ۱۰ ص ۱۵۱

۳- مقتل خوارزمی ج ۱ ص ۱۶۳

التراب قد أعطي له، وإنه قد تحدث عنه وفي مجالس مختلفة وبدفعات متكررة. وهذا المطلب من جهة المصادر التاريخية والرواية مقطوع اليقين وغير قابل للشك أو التردد، ولا شك أن عبائر الحديث مربوطة بزمان حياة الرسول (ص) يعني لفترة ما قبل (٥٠ عاماً) على وقعة كربلاء. ولكن هناك أخبار وروايات منسوبة لأم سلمة ومربوطة بزمان ثورة الإمام الحسين (ع) أي بعد (٥٠ عاماً) من وفاة رسول الله (ص) وهذا الاختلاف في موارد النقل يحتاج الى تحقيق في المطلب وها نحن سنقوم بذلك.

رواية إثبات الوصية: في البداية لا بد من القول؛ أن كتاب إثبات الوصية هو لمؤلف مجهول بل لا يعلم من هو بالضبط وهذا الرأي للعلامة الاميني صاحب كتاب الغدير، عندما سئل، هل ان كتاب إثبات الوصية هو للمسعودي مؤلف كتاب مروج الذهب؟ فأجاب قائلاً: كلا، إن كتاب إثبات الوصية ليس للمسعودي». (الشهيد الخالد، ص ٤٠٩). وروي عن أم سلمة إنها أتت الحسين (ع) وإته لما أراد الخروج الى العراق قالت له أم سلمة: يا بني لا تخرج قال ولم قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول يقتل الحسين ابني بالعراق وأعطاني من التربة فارورة أمرني بحفظها ومراعاة ما فيها فبعث إليها والله يا أماء اني لمقتول لا محالة فأين المفر من قدر الله المقدور ما من الموت بد واني لأعرف اليوم والساعة والمكان الذي اقتل فيه واعرف مكان مصيري والبقعة التي ادفن فيها واعرفها كما اعرفك فإن احببت أن أريك مضجعي ومضجع من يستشهد معي فعلت. قالت قد شئت وحضرته فتكلم باسم الله عز وجل الأعظم فتخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومضجعهم واعطاها من التربة حتى خلطتها معها بما كان ثم قال لها اني اقتل في يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم بعد صلاة الزوال». وأيضاً جاء عين هذا المطلب في كتاب الخرائج للراوندي صفحة ٢٦، وكذلك في كتاب البحار جزء ١٠ صفحة ١٧٥ مع بعض التفاوت بينهما.

أنظر ص ٤٠٩ من كتاب (شهيد جاويد) والهامش من الصفحة

نفسها حيث جعله هنا في المتن

و در نقل دیگری است که جبرئیل خاک سرخی از قربانگاه امام حسین (ع) به رسول خدا (ص) نشان داد.^۱
و در حدیث دیگری است که جبرئیل خاک سفیدی به آن حضرت نشان داد.^۲

و در خبر دیگری است که جبرئیل مقداری از خاک قتلگاه امام حسین (ع) را به رسول خدا (ص) داد.^۳

بظن قوی اصل مطلب يك چیز بوده ولی هر کسی آنرا بصورتی نقل کرده، یکی گفته است: جبرئیل خاک را به رسول خدا (ص) نشان داد، و دیگری گفته است: خاک را با آن حضرت داد. یکی گفته است: آن خاک، سرخ بود، و دیگری گفته سفید بود، و شخص سومی گفته است: خاک نبود بلکه شبیه بخاک بود، یکی گفته است: هر وقت خاک، خون شد معلوم میشود حسین بن علی (ع) کشته شده است. و دیگری گفته: هر وقت خاک، خون شد بعداً حسین (ع) کشته میشود.

قدر مشترك بین این روایات اینست که درباره محل شهادت امام حسین (ع) پیش از وقت چیزی، خاک یا غیر خاک به رسول خدا نشان داده شده و آن حضرت آنرا يك دفعه یا مکرر نقل فرموده اند.

و این مطلب از نظر مدارک تاریخی و حدیثی قابل تردید نیست. بدیهی است این مطلب مربوط به زمان حیات رسول خدا (ص) یعنی بیش از پنجاه سال قبل از حادثه کربلا بوده است ولی نقل دیگری به امام سلمه

۱- مقتل خواندنی ج ۱ ص ۱۵۹

۲- مناقب جزء ۲ ص ۵۵

۳- مقتل خواندنی ج ۱ ص ۱۵۸

بمراق برود ام سلمه بوی پیغام داد که حرکت نکن چون من از رسول خدا شنیدم که میگفت: فرزندم حسین در عراق کشته میشود و یک شیشه خاک بمن داد و فرمود: آنرا نگاه دار. امام به ام سلمه پیغام داد: من حتماً کشته خواهم شد و از تقدیر خدا نمیتوان فرار کرد و از مرگ چاره‌ای نیست و من آن روز وساعت و مکانی را که در آن کشته میشوم میدانم و جای دفن خود را میشناسم چنانکه ترا میشناسم و اگر بخوای آرامگاه خود و کسانی را که با من کشته میشوند بپوشان میدهم. گفت: میخوام. آنگاه ام سلمه بحضور امام آمد آنحضرت اسم اعظم خدا را بر زبان آورد و زمین باین رفت و آرامگاه خود و یارانش را با ام سلمه نشان داد و از خاک آن زمین بهوی داد و او با خاکی که نزدش بود مخلوط کرد پس امام بهوی فرمود: من روز عاشورا بعد از نماز ظهر کشته میشوم. (اثبات الوصیه صفحه ۱۳۹).

و همین مطلب را خرائج راوندی صفحه ۲۶ و بحار جلد ۱۰ صفحه ۱۷۵ با کمی اختلاف نقل کرده‌اند.

پیش از آنکه در معنای نقل اثبات الوصیه گفتگو کنیم باید دانست که این نقل از نظر صدور بدو علت قابل تردید است:

۱- سند ندارد.

۲- این نقل، ام سلمه را با آن ایمان صحیح و سوابق حسنه، بی ایمان بصحت پیشگوئی رسول اکرم صلی الله علیه و آله معرفی میکند زیرا طبق این نقل، ام سلمه به امام گفته است: به عراق برو که پیشگوئی رسول خدا (ص) درباره کشته شدن تو واقع نشود.

مگر ممکن است قصه شهادت امام حسین (ع) که حتی با نبیاء سلف

۲۱۰ أنظر ص ۲۹۷

من کتاب وقعة كربلاء

خبر داده شده بود و پیغمبر اسلام (ص) مکرر از وقوع آن خبر داده بود
دروغ از کار در آید ۱۴

این نقل به امام سلمه نسبت داده شده که خواسته است از وقوع شهادت امام
جلوگیری کند. مگر امام سلمه ایمان نداشته که پیشگوئی رسول خدا حتماً
واقع خواهد شد!؟

معنای حدیث :

در معنای نقل «اثبات الوصیه» دو احتمال است :

۱- اینکه بگوئیم مضمون این نقل اینست که فقط امام از زمان و
مکان شهادت خود خبر داده است نه اینکه بقصد قربانگاه خود در کربلا
حرکت کرده باشد.

۲- اینکه بگوئیم: مضمونش اینست که امام از همان مکّه بقصد
قربانگاه خود در کربلا حرکت کرده است.

بنابر احتمال اول این نقل دلالت نمیکند که امام بقصد کشته شدن
حرکت فرموده است.

و بنابر احتمال دوم ، این نقل با گفتار و کردار امام مخالف میشود
زیرا طبق احتمال دوم مضمون این نقل اینست که آنحضرت از مکّه بقصد
قربانگاه خود در کربلا حرکت کرده است تا در روز معینی در زمین معینی
فرود آید و در ساعت معینی همانجا کشته شود. در حالیکه مسلم است که امام
از مکّه بقصد کوفه حرکت کرده نه بقصد کربلا ، زیرا اگر امام حسین (ع)
از مکّه قصد داشت بقربانگاه خود در کربلا برود :

۱- بحار ج ۱۰ ص ۱۵۲

أنظر عنوان (رواية إثبات الوصية) في ص ۲۹۶ و ۲۹۷
من كتاب وقعة كربلاء

ولكن قبل ان نرد في تفسير رواية إثبات الوصية، لا بد من التنويه الى ما جاء في إثبات الوصية من جهة النقل ومن حيث الصدور غير قابل للقبول لعلتين:

الاولى: إنه مقطوع السند أو قل لا سند له.

الثانية: وكون هذه الرواية تخلل بإيمان أم سلمة وسوابقها الحسنة، لانها حينما تمنع الإمام (ع)؛ بعدم الذهاب الى العراق كي يتحقق ما قاله رسول الله (ص) في صدد إستشهاد الإمام (ع). وهذا النهي من قبلها إنما يكون عامل تأكيد على إنها لم تكن تؤمن بصحة حديث رسول الله (ص) حسب هذه الرواية، وهذا يخالف الواقع والنتيجة. . وليس بمستحيل أن تكون قصة إستشهاد الإمام الحسين (ع) كان يعلمها الأنبياء السالفون والنبي (ص) قال الخبر مرات متعددة، وليس بالمعقول أن يكون في ذلك شيء من عدم الحقيقة. أما في هذا النقل المنسوب لأم سلمة والذي تصر فيه على منع الإمام (ع) من الخروج الى العراق كي لا يقتل، هذا النقل فيه شيء كثير من التجاوز على شخصية أم سلمة المؤمنة التي لا يمكن أن تفعل شيئاً يخالف حديث رسول الله (ص) لانها بذلك لا تقطع يقيناً بأن ما حدث به رسول الله (ص) هو فعل واقع لا محال.

معنى الحديث: يحتمل لمعنى حديث إثبات الوصية شكلان من الاحتمال:

أولهما: القول بأن مضمون هذا الحديث هو أن الإمام (ع) إنما أخبر عن مكان وزمان شهادته، لا انه تحرك من أجل أن يقتل في كربلاء.

ثانيهما: والقول؛ بأن مضمون الحديث هو أن الإمام (ع) إنما كان نفس تحركه من مكة كان لأجل أن يقتل بكربلاء، .

أنظر ص ٤١٠

من كتاب (شهيد جاوید) الفارسي

نعت داده شده که مربوط بزمان قیام امام حسین (ع) یعنی پنجاه سال بعد از وفات رسول خدا (ص) است و لازم است مورد بررسی قرار گیرد، و ما آنرا نقل و بررسی میکنیم:

نقل اثبات الوصیه :

کتاب اثبات الوصیه که مؤلف آن معلوم نیست^۱ حدیثی از ام سلمه بدینصورت نقل میکند:

«بعد از آنکه مردم عراق با امام حسین (ع) مکاتبه کردند و امام، مسلم بن عقیل را بسوی آنان فرستاد، هنگامیکه خود آنحضرت میخواست

۱ - در ماه شعبان سال ۱۳۸۸ هجری در تهران زیارت علامه مجاهد آیه الله امینی صاحب «الغدیر» رفتیم. اینجانب از معظم له پرسیدم: آیا کتاب اثبات الوصیه از مسعودی مؤلف کتاب مروج الذهب است؟ فرمودند: نه، کتاب اثبات الوصیه از مسعودی نیست.

و جناب ایشان برای اثبات این مطلب دلیلهائی آوردند که جای ذکرش نیست. طبق این نظر، آن کتاب «اثبات الوصیه» که در کتب رجال به مسعودی مؤلف مروج الذهب نسبت داده اند غیر از این کتابی است که در دسترس ما است. از مطالعه مجموع از این کتاب و اثبات الوصیه معلوم میشود نویسنده آن مردی خوش باور و سهل انگار بوده و از نوشتن مطالب نامعقول و بی اعتبار پرهیز نمیکرده است. مثلاً در ص ۱۳۷ مینویسد: در همان روزی که امام حسن مجتبی (ع) متولد شد نطفه امام حسین (ع) پسته شد!

و در ص ۱۳۸ مینویسد: وقتی که ابراهیم فرزند رسول خدا (ص) فوت شد جبرئیل برای رسول اکرم (ص) خبر آورد که اگر میخواهی خدا ابراهیم را زنده میکند و بعد از تو نبوت را بوی میدهد!

و از این قبیل مطالب بی اعتبار فراوان دارد که جای ذکر آنها نیست. و داستان ام سلمه هم که در متن کتاب نقل کردیم یکی از همان مطالب بسی اعتباری است که در کتاب مزبور آمده و دیگران هم بدون توجه بنقاط ضعف آن، نقل کرده اند.

أنظر ص ۲۹۶

من کتاب وقعة كربلاء

فيكون على أساس الإحتمال الاول لهذا الحديث فإنه لا يدل على أن الإمام (ع) إنما تحرك لأجل أن يقتل . وعلى أساس الإحتمال الثاني لهذا الحديث فإنه يكون مخالفاً لأفعال وأقوال الإمام (ع) لأنه وطبق ما تضمنه الإحتمال الثاني لهذا الحديث يكون الإمام (ع) قد تحرك من مكة الى العراق من أجل أن يقتل مع تحديد مثبت ليوم استشهاده المعين والساعة المعينة والارض المعينة أيضاً . في حال إننا قلنا في ما نقدم إن الإمام (ع) إنما تحرك من مكة الى كربلاء لكي يقتل فيها فنقول :

١ - لماذا ارسل مسلم بن عقيل الى الكوفة؟

٢ - ولماذا اعتمد في حركته الى العراق على رسالة مسلم؟ فمسلم إنما بعث عن أخبار وتحقيقات من الكوفة ولم تكن عن كربلاء .

٣ - ولماذا قال لعبد الله بن الزبير؛ قصدي الذهاب الى الكوفة؟ (تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨٨) .

٤ - ولماذا؛ قال عبيد الله بن عباس للإمام لا تذهب الى الكوفة؟ (الانخبار الطوال ص ٢٢١) .

٥ - ولماذا قال عبد الله بن مطيع للإمام (ع) لا تذهب للكوفة؟ (الارشاد ص ٢٠١) .

٦ - ولماذا كتب وهو في وسط الطريق . متجهاً الى الكوفة رسالة الى أهلها قائلاً لهم؛ إني سأقدم الى الكوفة بهذه الايام؟ (الطبري ج ٤ ص ٢٩٧) .

٧ - ولماذا بعد أن سمع نبأ قتل مسلم شاور أصحابه قائلاً ما رأيكم؛ نذهب للكوفة أم لا؟ (الارشاد ص ٢٠٣) .

- ۱- چرا مسلم بن عقیل را بکوفه فرستاد؟
- ۲- و چرا بانگای نامه مسلم حرکت کرد؟ مسلم که آمادگی کوفه را گزارش داده بود نه کربلا را.
- ۳- و چرا بعد از آنکه زبیر فرمود: من قصد رفتن بکوفه دارم؟ (طبری ج ۴ ص ۲۸۸).
- ۴- و چرا ابن عباس با امام گفت بکوفه برو؟ (الاخبار الطوال ص ۲۲۱).
- ۵- و چرا عبدالله بن مطیع با آنحضرت گفت: بکوفه برو؟ (ارشاد مفید ص ۲۰۱)
- ۶- و چرا از بین راه بمردم کوفه نامه نوشت که من همین روزها بکوفه می‌آیم؟ (طبری ج ۴ ص ۲۹۷).
- ۷- و چرا بعد از رسیدن خبر قتل مسلم با اصحاب خود مشورت فرمود که بکوفه برویم یا نه؟ (ارشاد ص ۲۰۳).
- ۸- و چرا به عمرو بن لوذان، فرمود: به کوفه می‌روم؟ (ارشاد ص ۲۰۴)
- ۹- و چرا امام به حرین یزید واردوی او فرمود: اگر اطمینان بدهید در یاریم وفادار هستید من به شهر شما (کوفه) می‌آیم؟ (تاریخ طبری ج ۴ ص ۳۰۳ و الاخبار الطوال ص ۲۲۴).
- هر گفتگو و اقدامی امام کرده برای کوفه بوده نه کربلا. و نیز اگر امام قصد داشت بکربلا برود
- ۱۰- چرا بعد از درگونی اوضاع کوفه آنحضرت در حضور حرین یزید و اصحابش فرمود: من بر می‌گردم؟ (ارشاد ص ۲۰۵)
- ۱۱- و چرا بعد از آنکه از جلب موافقت و حر و اصحابش مأیوس

٨ - ولماذا قال لعمرو بن لؤذان؛ اني أذهب الى الكوفة؟
(الارشاد ص ٢٠٤).

٩ - ولماذا قال للحر بن يزيد الرياحي عندما إلتقاء: فلإنكم ان تتقوا
وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، واني سأقدم الى الكوفة؟
(الطبري ج ٤ ص ٣٠٣). وكل قول أو فعل أو إقدام قام به الإمام (ع)
كان يؤكد على الكوفة لا على كربلاء، وأيضاً لوكان الإمام قاصداً كربلاء
بحركته:

١٠ - فلماذا قال لأصحابه بعد أن أطلع على أوضاع الكوفة؛ اني
سأعود؟ (الارشاد ص ٢٠٥).

١١ - ولماذا بعد أن يش من جلب الموافقة من الحر بالرجوع الى الحجاز
تحرك ليعود الى المدينة؟ (الطبري ج ٤ ص ٣٠٤)

فما تقدم أصبح معلوماً ان ما نقله صاحب إثبات الوصية وكتاب
الخرائج والبحار لا يمكن الإعتماد عليه من ناحية الصدور ومن جهة
المعنى والمضمون لثلاثة أدلة هي؛

١ - كونه عديم السند.

٢ - كونه يضر بإيمان أم سلمة.

٣ - كونه يخالف أقوال وأفعال الإمام الحسين (ع).

تنبيه: إن مضمون الرواية اللامعتبرة المنقولة عن إثبات الوصية والتي
تؤكد على أن المباحثات التي جرت بين أم سلمة والإمام (ع) كانت في
مكة عندما عزم على الخروج الى الكوفة. إذن فحسب هذا النقل تكون
المباحثات إنما جرت بمكة لا بالمدينة وأيضاً نقل صاحب كتاب الخرائج
عين مطلب إثبات الوصية مع بعض الاختلاف وهو بهذه الصورة «إنه لما

شد کاروان خود را بطرف حجاز بحرکت درآورد تا بمدینه برگردد؟
(طبری ج ۴ ص ۳۰۴) .

از آنچه گذشت معلوم شد که این نقل «اثبات الوصیه» و خرائج و بحار
نه از نظر صدور قابل اعتماد است و نه از نظر معنی و مضمون بیه دلیل:
۱- سند ندارد.

۲- به ایمان امسلمه لطمه میزند .

۳- مضمون این نقل طبق احتمال دوم باگفتار و کردار ام‌حسین (ع)
مخالف است .

يك نکته :

مضمون نقل بی اعتبار «اثبات الوصیه» این بود که امام حسین (ع)
هنگامیکه میخواست از مکه بکوفه برود این مذاکرات را با امسلمه
فرموده است، پس طبق این نقل، مذاکرات (فرضی) بین امام و امسلمه در مکه
بوده نه در مدینه.

و خرائج راوندی همین مطلب اثبات الوصیه را با کمی اختلاف
بدینصورت نقل کرده است :

«إِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ الْعِرَاقَ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لَا تَخْرُجْ إِلَيَّ الْإِرَاقِي فَإِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : يُقْتَلُ ابْنِي الْحُسَيْنُ بِالْعِرَاقِ ۱ الخ . وقتیکه امام حسین (ع)
خواست بعراق برود امسلمه گفت: بعراق نرو چون من از رسول خدا (ص)
شنیدم که میفرمود: فرزند من حسین در عراق کشته میشود .

و همین مطلب را بحار الانوار چاپ امین الضرب جلد ۱۰ صفحه ۱۷۵

۱- خرائج راوندی ص ۲۶ چاپ ۱۳۰۱

نهاية الفقرة ۱۱

أراد العراق قالت أم سلمة لا تخرج الى العراق فإني سمعت رسول الله يقول: يقتل ابن الحسين بالعراق. . الخ. . (الخرائج للراوندي ص ٢٦ طبع ١٣٠١) ونفس المطلب نقله صاحب البحار جزء ١٠ صفحة ١٧٥ طبع أمين الضرب، وطبع ١٣٣٢ خط ميرزا حمد التبريزي صفحة ١٧٥ مع بعض الاختلاف على هذا النحو: «وجدت في بعض الكتب إنه عليه السلام لما عزم على الخروج أتته أم سلمة فقالت: لا تحزني بخروجك الى العراق فإني سمعت جدك يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق. . الخ.»

وبديهي إنه يجب القول إن المباحثات بين أم سلمة والإمام (ع) حول سفرته للعراق وعلى فرض وجودها، وطبق ما نقله صاحب الخرائج والبحار فإن المباحثات كانت في مكة وليست في المدينة. . لأن الإمام (ع) عندما خرج من المدينة الى مكة لم يكن في ذهنه أي تصميم مثبت حول ذهابه للعراق بل ولم يتخذ قراراً بذلك. نعم إن تصميمه كان في مكة وهذا التصميم إنما استند على عدة عوامل منها ما جاءه من الأخبار الموثقة من قبل مبعوثه مسلم بن عقيل حول القدوم الى الكوفة. بل إنه لم يكن يريد الذهاب للعراق قبل أن تأتيه أخبار من مسلم حول الوضع العام للكوفة. . ومن هنا يتضح بأن الإمام (ع) حينما أرسل مسلم بن عقيل الى الكوفة حملة شرطاً يكون بمقتضاه ما يأتي: ان لم تكن أوضاع الكوفة السياسية والاجتماعية مناسبة وعلى ما يرام يجب عليه أن يعود الى مكة بسرعة. إذن فالمطلب المتقدم كان واضحاً من هذه الجهة. . ولكن جاء في كتاب البحار المطبوع سنة ١٢٧٠ هجري. ما يلي «وجدت في بعض الكتب إنه عليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة فقالت: لا تحزني بخروجك الى العراق. . الخ.» في هذه الطبعة المملوءة أخطاء وأغلاطاً وأيضاً لم يوجد فيها أرقام للصفحات. أضيفت كلمة (من

و چاپ سنگی ۱۳۳۲ خط میرزا صمد تبریزی صفحه ۱۷۵ با کمی اختلاف بدینصورت نقل میکند:

و وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ أَنَّهُ أَمْسَلَهُ
فَقَالَتْ: لَا تُخْرِجْنِي بِخُرُوجِكَ إِلَى الْعِرَاقِ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكَ يَقُولُ: يُقْتَلُ وَلَدِي
الْحُسَيْنُ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ الخ. در برخی کتابها یافتیم: وقتی که امام حسین (ع)
میخواست خارج شود، امسلمه بحضور وی آمد و گفت: با مسافرت خود به عراق مرا
محزون نکن چون من شنیدم جنت میفرمود: فرزند من حسین در زمین عراق
کشته میشود. .

بدیهی است چون مذاکرات امسلمه درباره سفر عراق است باید
گفت: طبق نقل خرائج و بحار نیز مذاکرات (فرضی) بین امام و امسلمه در
مکه بوده است نه در مدینه، چون وقتی که آنحضرت از مدینه بمکه هجرت
فرمود هیچ تصمیمی درباره مسافرت عراق نگرفته بود بلکه بعد از گزارش
مسلم بن عقیل تصمیم گرفت از مکه به عراق برود، و قبل از گزارش
مسلم تصمیم داشت که اگر اوضاع کوفه مساعد نیست به عراق سفر نکند و از
ازاینرو وقتی که مسلم را فرستاد بوی دستور داد که اگر اوضاع کوفه مساعد
نیست زود مراجعت کن^۱ .

تا اینجا مطلب روشن است .

ولی در یک چاپ دیگر بحار که سال ۱۲۷۰ نوشته شده این نقل
چنین آمده است: وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ
الْمَدِينَةِ أَنَّهُ أَمْسَلَهُ فَقَالَتْ: لَا تُخْرِجْنِي بِخُرُوجِكَ إِلَى الْعِرَاقِ الخ.

بدینگونه در این چاپ بحار که چاپ پر غلطی است و شماره صفحات

السدينة) ولعل هذا الاشتباه من الكاتب الذي كتبه. لأننا نلاحظ في رواية (إثبات الوصية) والخرائج وفي طبعت البحار الأخرى التي ذكرناها لم توجد كلمة من المدينة. ولو لاحظت ما كتب صاحب (نفس المهموم) في صفحة ٣٩ فلنك ترى إنه نقل هذه القصة من البحار وكتب كلمة من المدينة، ولعل صاحب كتاب (نفس المهموم) (قدس سره) نقل هذا المطلب من البحار طبعة سنة ١٢٧٠ أو الطبعات الأخرى المشابهة له. ولم يلتفت للطبعين اللتين ذكرناهما.

والآن لو اطلع أحد على كتاب نفس المهموم أو البحار طبع ١٢٧٠ من دون الرجوع إلى الطبعات الأخرى، أو الكتاب إثبات الوصية والخرائج فإنه سيتخيل أن الإمام الحسين (ع) كان يقصد العراق عندما خرج من المدينة، ولكي يقتل هناك. مع العلم إن منشأ هذا الخيال فقط هو كلمة (من المدينة) التي نقول إن كاتبها لعله اشتبه في نقلها. وعلى فرض أن صياح البحار كتب كلمة (من المدينة) إلا أن هذه العبارة من الناحية الواقعية لا يمكن الاعتماد عليها، لأنه لا يعرف مؤلفها ولا ناقلها ومن هنا فلا يمكن جعلها حجة في المقام.

ملاحظة: لا ريب أن المطلب القائل على أن يعطي الإنسان نفسه بدون مبرر للقتل أمر مرفوض لدى العرف ومرفوض لدى العقلاء ولو صادف أن وهب إنسان نفسه للقتل فإن هكذا عمل محكوم عليه بالسفاهة وعدم الدليل، فالعقل يرفضه إلا إذا كان مرهوناً ومستنداً للتعبد والأمر الإلهي. وإثبات أن الإمام (ع) كان يقصد أن يقتل في العراق يحتاج إلى دليل وحجية قطعية وثابتة ولا يمكن إعتبار الحجية من حديث أم سلمة لانه عديم السند كما قلنا. وبعبارة أخرى؛ إن إثبات هذا الشيء الذي هو في الواقع يخالف التفكير العام ليس من صلاحية الحوادث التاريخية حتى

هم ندارد کلمه «من المدینه» اضافه شده و شاید این اشتباهی باشد که از کاتب سرزده زیرا در نقل «اثبات الوصیه» و «خراج» و آن دو چاپ دیگر بحار که قبلاً نام بردیم کلمه «من المدینه» وجود ندارد.

آنکه کتاب «نفس المهموم» در ص ۳۹ این داستان را از بحار نقل کرده و کلمه «من المدینه» را هم نوشته است. معلوم میشود مؤلف نفس المهموم قدس سره این مطلب را از این چاپ بحار که متعلق بسال ۱۲۷۰ است یا چاپی مشابه آن نقل کرده و به آن دو چاپ دیگر بحار مراجعه نفرموده است.

حالا کسی که به «نفس المهموم» یا به این چاپ بحار رجوع کند و به آن دو چاپ دیگر بحار و «خراج» و «اثبات الوصیه» رجوع نکند خیال میکند امام حسین (ع) از همان مدینه قصد رفتن بعراق را داشته آن هم برای کشته شدن. در حالیکه منشأ این خیال فقط کلمه «من المدینه» است که شاید کاتب آنرا اشتبهاً نوشته باشد. و بفرض اینکه خود مؤلف بحار هم کلمه «من المدینه» را نوشته باشد چون این عبارت را از کتابی نقل کرده که نه اسمش را میدانیم و نه مؤلفش را میشناسیم از اینرو نمیتوانیم بدان اعتماد کنیم.

يك تذکر :

چون این مطلب که انسان خود را با این وضع و حشمتناك به کشتن بدهد مخالف عقل اجتماعی مردم است و همه عقلاء ظاهر آنرا عملی سفیهانه می شمارند از اینرو باید چنین کاری مستند به تعبد و مأموریت الهی باشد، و اثبات اینکه امام مأمور بوده چنین کاری را انجام دهد دلیلی محکم تر از حدیث بی سند ام سلمه لازم دارد.

وهل ان قتل المظلوم أمر مطلوب؟ طبعاً لا، إذن فتعريض المظلوم للقتل أمر غير مطلوب.

وهل ان قتل الإمام (ع) أمر مطلوب؟ طبعاً لا، إذن فتعريض الإمام (ع) نفسه للقتل أيضاً أمر غير مطلوب. إذن فقتل الإمام (ع) ليس غاية الله أو هدفه أو مطلوبه وليس غاية ومطلوب رسول الله (ص)، وأيضاً فليس القتل هو مطلوب الإمام (ع) نفسه، ولا مطلوب أهل الإيمان والعقل.

مما لا شك فيه أن الفرد الذي يدافع عن كيان الإسلام وحضارته حتى يقتل في ذلك الطريق ذو مقام عالٍ، ولكن ليس من جهة القتل بذاته، ولكنه من طرف الدفاع المخلص في طريق الله يوصله الى حد الكمال، لان الدفاع في سبيل القيم والدين أعلى وأكمل مراتب الغداء والتضحية لذلك يكون الأجر متناسباً مع قيمة الدفاع «الاجر على قدر المشقة» نعم إن هذا الأجر في مقابل الدفاع الأكمل الذي هو غاية عند الله لا مقابل القتل المحض (أي ذهاب الروح عن البدن) «ونقول في الدعاء؛ ارزقنا الشهادة. ومقصود ذلك؛ الهى وفقني للجهاد في سبيل دينك حتى أضحي بجسدي في سبيلك، يعني أقوم بأعلى مراتب الجهاد حتى أنال أقصى مراتب الأجر، وهذا طبعاً ليس معناه أن ادعو لكي أقتل نفسي أي أطلا... من الله ذهاب روحي عن بدني».

ملاحظة: مقدماً؛ يجب العلم إنه وردت آيات في باب الجهاد تدعو لقتل الأعداء وتطهير الأرض من رجسهم، في حين لم تنطرق ولو آية واحدة من الآيات كي تدعوا الناس لقتل أنفسهم. من هنا نقول؛ إن المسلمين الذين يذهبون الى ميادين الحرب ولم يكن هدفهم تقوية الإسلام ورفع رايته والقضاء على العدد وإنما هدفهم الوحيد هو أن يقتلوا في ميادين الجهاد، لا ريب أن مثل هكذا تمكيز يكون محدود العطاء، ولو افترضنا أن

آیا کشتن مظلوم مطلوب است ؟ البته نه ، پس در معرض قتل در آمدن مظلوم بمنظور کشته شدن هم مطلوب نیست .
 آیا کشتن امام مطلوب است ؟ البته نه ، پس در معرض قتل در آمدن امام بمنظور کشته شدن هم مطلوب نیست . نه مطلوب خداست ، نه مطلوب پیغمبر خدا (ص)، نه مطلوب خود امام ، نه مطلوب اهل ایمان .
 البته کسی که از اسلام حمایت و دفاع کند تا کشته شود مقامش بالاتر است ولی نه از آن جهت که کشته شده است بلکه از آن جهت که دفاع را بحد کمال رسانده ، و چون دفاع کاملتری انجام داده اجر و پاداش بیشتری دارد ، پس اجر و پاداش بیشتر ، در مقابل دفاع کاملتر است که مطلوب خداست نه در برابر کشته شدن ، یعنی بیرون رفتن روح از بدن^۱ .

یك نکته :

باید دانست آیاتی که در باب جهاد وارد شده همه دعوت به کشتن و نابود کردن دشمن کرده و در هیچیک از آیات مردم را دعوت به کشته شدن نکرده است .

از اینرو اگر فرض کنیم مسلمانی در جبهه جنگ فقط باین منظور بمیدان برود که دشمن را وادار کند او را بکشد بدون اینکه برای کوبیدن دشمن و تقویت نیروی اسلام کمترین کوششی بنماید ، چنین

۱- و اینکه در دعا میگوئیم: «ارزقنا الشهادة» . خدایا شهادت را نصیب ما کن» مقصود اینست که خدایا بما توفیق بده در راه دین تا سرحد جانبازی بیکار کنیم یعنی کاملترین جهاد را انجام دهیم تا کاملترین پاداش را دریافت نماییم نه اینکه خود کشته شدن یعنی بیرون رفتن جان از بدن را از خدا بخواهیم.

هكذا فرد قتل بيد العدو فإنه بلا شك يس له أجر في مقابل قتله .
لأنه لم يقدم أي منفعة تذكر للإسلام، بل لعله يمكن القول: إن مثل
هكذا فرد قتل نفسه بيده بشكل غير مباشر، أضف إلى ذلك فإنه لم يقدم
أي فائدة يمكن قياسها مع أقل فرد في عطاء، بل لعله ساهم بشكل غير
مباشر في تقوية شوكة العدو وسيطرته في الموقف، نعم لوقا تل هذه
الشخص في سبيل عزة الإسلام ونصرة المسلمين حتى قتل في ذلك
السبيل فإن له مقاماً شامخاً مع الشهداء ومرافقة الأنبياء (ع) ولهذا المعنى
فإن أقصى مراتب الجهاد أن يجود الإنسان بنفسه دفاعاً عن المبادئ
والرسالة الإلهية «والجود بالنفس أقصى غاية الجود». وهذا المفهوم في
الجهاد يعلمنا بأن هكذا أفراد حتى ولو لم ينالوا مرتبة الشهادة في سوح
الجهاد فإن أجرهم سيكون عظيماً، وعلى سبيل المثال؛ لسر أن شخصين من
المسلمين ذهبوا نحو ساحة الحرب وقتل كل واحد منهم عشرة أشخاص من
جيش العدو، واستشهد أحدهما وعاد الثاني إلى معسكره فإنه بلا ريب
سيكون الإثنين معاً مقام شامخ عظيم وأجرهم سواء لا تمييز ولا تفضيل
«من دون استثناء قاعدة إنما الأعمال بالنيات».

والقرآن الكريم يصرح بهذه الحقيقة في بيانه قائلاً ﴿إن الله يشتري
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون﴾ (سورة التوبة آية ١١١). ومن هذه الآية الشريفة يفهم أن الفرد
الذي يقاتل في سبيل الله والفرد الذي يعطي أمواله في سبيل نصرة
الإسلام، لا ريب أن الاثنين موعدهما الجنة لأنه يصدق عليهما إنهما
جاهدا في سبيل الله، وأيضاً في آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى
﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾
(سورة النساء آية ٧٦).

والآية تصرح بأن من يقتل في سبيل الله أو من يغلب على العدو هما

فردی اگر بدست دشمن کشته شود هیچگونه اجری در برابر کشته شدن ندارد زیرا هیچ نفعی برای اسلام نداشته است .

بلکه شاید بتوان گفت : چنین فردی بطور غیرمستقیم خودکشی کرده ، و علاوه بر خودکشی به اندازه يك نفر از نیروی اسلام کم کرده و به نیروی دشمن افزوده است .

آری اگر برای کوبیدن دشمن و تقویت اسلام فعالیت کند تا کشته شود مقام شامخ شهید را خواهد داشت ، ولی بدان جهت که عالی ترین درجه جهاد یعنی پیکار تا پای جان را انجام داده است .

و باید دانست که چنین فرد مجاهدی اگر جهاد کند و کشته هم نشود دارای اجر عظیمی خواهد بود . بنا بر این اگر دونفر مسلمان در جبهه جنگ بمیدان بروند و هر يك ده نفر از دشمن بکشند و یکی از آن دو کشته شود و یکی سالم برگردد هر دونفر دارای مقامی شامخ و اجری عظیم خواهند بود .

قرآن کریم این حقیقت را بطور صریح بیان کرده و فرموده است :
 «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ^۱ خداوند خود مؤمنان و اموالشان را (یعنی نیروهای انسانی و مالی آنان را) از ایشان خریده است که بهشت به آنان بدهد آنها در راه خدا بیکار میکشند و میکشند و کشته میشوند» .

از این آیه شریفه معلوم میشود کسی که در راه خدا دشمنان را بکشد

۱- سورة توبه آیه ۱۱۱

عند الله في طائفة واحده ولا فرق بينهما بل ان أجرهما عظيم دون إستثناء أو تخصيص. ومن ذلك أصبح واضحاً ان الأجر العظيم مرهون بعوامل الفعل المؤثر من أجل تحطيم ركائز العدو وتقوية شوكة الإسلام والمسلمين لا إنه يقع للإنسان بمقابل إن يقتل نفسه. نعم نستطيع القول: أن الشخص الذي قتل في حال الجهاد ولو حُرِمَ من الحياة إلا إنه وقع في اللطف المخصوص لله سبحانه وتعالى، ولكن هذه المحرومية من الحياة وقعت لعللة الجهاد والفداء والتضحية في سبيل الله ونصرة الإسلام، لا إنه أصبح محروماً من الحياة لعللة ذهاب روحه عن بدنه وهذه الاخيرة هي المطلوبة عند الله ولذلك أمر فيها. ولهذا يتضح مما سبق؛ إنه لا معنى أن يقول الرسول (ص) للإمام الحسين (ع) أخرج واقتل نفسك لان الله يريد أن يراك قتيلاً. بل لعل قول الرسول (ص) هو: اخرج من أجل الدفاع عن الإسلام وحمايته سواء إنتصرت أم إستشهدت، لان الله يريد أن يراك المدافع والمحامي عن دينه. وهذا المفهوم في المعنى كما اعتقد لا يحتاج الى قرار جديد لان الدفاع والحماية عن الإسلام واجبان على كل مسلم. ومن هذه الزاوية يمكن فهم تحرك الحسين (ع) من مكة أولاً: ليعيد. الخلافة الى مركزها الاصلي وتشكيل حكومة إسلامية عادلة، ثانياً: توفير أكثر من ٥٠٪ من شرائط النصر له.

الثاني إذا كانت تكوينية: الى هنا إنتهينا من البحث في (شياء) التشريعية، واليك الآن بحث آخر في (شياء) التكوينية. ولكي نوضح المطلب نقول؛ هل يمكن أن تكون (شياء) تكوينية أم لا؟ يلزم أن نعطي توضيحاً قصيراً في البيان: ان كل العالم بنظر المشيئة التكوينية لله سبحانه وتعالى. أي أن الله هكذا رتب القضية على اساس قوانين العلة والمعلول. فكل علة من وجود أي تفسير لا بد أن تكون تلك العلة ناظرة الى موجود معين. طبعي أن أعمال العباد سواء أكانت حسنة أم سيئة لا يمكن أن

أنظر ص ٤٠٤

من كتاب (شهيد جاويد) الفارسي

و کسی که خود در این راه کشته شود هر دو جهاد بنفس^۱ کرده‌اند و پاداش آنان بهشت خواهد بود.

و نیز در آیه دیگر فرموده است: «وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يُقْتَلْ فَسَوْفَ نَكْتُمُ لَهُ أَجْرًا عَظِيمًا»^۲ کسی که در راه خدا بیکار کند پس کشته شود یا غالب گردد در آینه اجر بزرگی بوی می‌دهیم.

بدینگونه می‌بینیم کسی که در حال بیکار در راه خدا کشته شود و نیز کسی که غالب گردد از نظر قرآن هر دو دارای اجر عظیم هستند. پس معلوم می‌شود اجر عظیم در برابر فعالیت و کوشش برای کوبیدن دشمن و تقویت اسلام است نه در برابر کشته شدن.

آری میتوان گفت: آنکس که در حال جهاد کشته می‌شود چون از زندگی محروم گشته مورد لطف مخصوص خداوند خواهد بود، ولی این هم بدانجهت است که این محرومیت از زندگی به علت بیکار در راه خدا و تقویت اسلام بوده نه اینکه خود محروم شدن از زندگی بیرون رفتن جان از بدن از نظر تشریع، مطلوب خدا باشد و بدان امر کرده باشد.

پس معنی ندارد رسول خدا (ص) به امام حسین (ع) دستور بدهد که برو خود را به کشتن بده چون خدا خواسته ترا کشته ببیند بلکه اگر رسول خدا (ص) بخواهد دستوری بامام حسین (ع) بدهد باید بفرماید: بیرون برو برای حمایت اسلام چه پیروز شوی و چه شهید گردی چون خدا

۱- نفس در این آیه شریفه بمعنای جان نیست بلکه بمعنای «خود» است در مقابل مال چون بعضی از مردم خودشان در جهاد شرکت میکنند و بعضی مال خود را در راه جهاد میدهند، آنانکه خودشان در جهاد شرکت میکنند جهاد بنفس کرده‌اند اگر چه کشته نشوند.

۲- سورة نساء آیه ۷۴

تستثنى من هذا القانون. فالقانون يشمل الصلاة كما يشمل قتل النفس، وبالتالي فإن الأعمال الحسنة كما إنها من المشيئة التكوينية فهي مورد نظر الأمور التشريعية الالهية، مثلاً الصلاة التي تقع في الخارج هي مورد المشيئة التكوينية لأن العلة الوجودية للمشيئة حاصلة فلذلك وجدت الصلاة، وأيضاً فهي أمر تشريعي لأن الله سبحانه قد أمر بالصلاة، أما العمل السيء كقتل النفس لم يقع في مورد للأمر التشريعي لأنه مبغوض عند الله، لكنه وقع فقط في مورد المشيئة التكوينية لله أي مع توفر علة القتل وقع القتل ووجد، لكنه في نفس الوقت هذا القتل منهي منه عند الله سبحانه، وعلى هذا الأساس فقتل الإمام (ع) يقع في مورد المشيئة التكوينية لله وفي نفس الوقت مورد النهي التشريعي ومبغوض عند الله سبحانه، وبالتالي فلا يمكن أن يقع ملاكاً لأمر تشريعي لأن ملاك الأمر التشريعي يجب أن يكون محبوباً وذا مصلحة في البين لا أن يكون مبغوضاً ومنهياً عنه. إذن فلا يمكن القول؛ ان الرسول (ص) أمر الحسين (ع) أن يخرج بملاك أن يراه الله قتيلاً بالمشيئة التكوينية والإرادة الالهية، هذا في الواقع ليس-بصحيح لأن قتل النفس في نظر الشرع مبغوضاً عند الله ولا يمكن أن تكون ملاكاً لأمر تشريعي. نعم الا إذا سدنا أعيننا عن كلمة (أخرج) تصبح كلمة (شاء) تكوينية لأنه يصبح في هذه الحالة معنى «شاء أن يراك قتيلاً» هو أن الله مقدر للقتل وهذا هو عين حديث رسول الله (ص) حول مورد شهادة الحسين (ع) والذي قاله الرسول (ص) مراراً وتكراراً في حياته

خلاصة البحث: وخلاصة البحث في هذا الحديث «إن الله قد شاء أن يراك قتيلاً» ان هذا الحديث ساقط عن الاعتبار لوجود معارض له في المقام، اضعف الى ذلك ان كلمة «شاء» في الحديث قد لا تكون تشريعية بحيث يمكن الاستفادة منها بالأمر. ومع صرف النظر عن كلمة «أخرج»

أنظر ص ٤٠٥

من كتاب (شهيد جاويد) الفارسي

خواسته است ترا حامی و مدافع اسلام ببیند، و این هم دستور جدیدی لازم ندارد زیرا حمایت از اسلام بر هر مسلمانی واجب است . و بدینجهت و قتیکه شرائط پیروزی بیش از پنجاه درصد برای امام حسین (ع) فراهم شد برای نجات دادن اسلام از راه برگرداندن خلافت بمرکز خود بانه میمی قاطع حرکت فرمود .

امر «شاء» تکوینی باشد

تا اینجا بحث بر مبنای این بود که « شاء » تشریعی باشد، اینک بحث دیگری بر مبنای اینکه « شاء » تکوینی باشد؛ برای اینکه روشن شود آیا ممکن است « شاء » تکوینی باشد یا نه لازم است توضیح کوتاهی بدهیم :

همه پدیده های جهان مورد مشیت تکوینی خداست یعنی خداوند چنین مقررداشته که بر اساس قوانین علت و معلول ، علل هر پدیده ای که بوجود آمد آن پدیده موجود میشود. بدیهی است اعمال بندگان نیز چه خوب و چه بد از این قانون مستثنی نیست، هم نماز مشمول این قانون است و هم قتل نفس، نهایت اینکه کارهای خوب علاوه بر مشیت تکوینی ، مورد امر تشریعی خدا نیز هست، مثلاً نمازی که در خارج واقع میشود مورد مشیت تکوینی خداست چون علل وجودی آن حاصل شده و نماز بوجود آمده.. و مورد امر تشریعی است چون خداوند دستور خواندن نماز را داده است. ولی کارهای بد مثل قتل نفس مورد امر تشریعی واقع نمیشود چون مبعوض خداست و فقط مورد مشیت تکوینی خدا واقع میشود یعنی علل قتل که موجود شد قتل بوجود می آید و در عین حال این قتل مورد نهی خداست .

تكون «تاء» تحويينية التي هي بمعنى حديث عن شهادته (ع) والتي نحدث عنها مراراً. وعلى هذا الأساس فلا نستطيع القول بأن الإمام (ع) فهم من حديث رسول الله (ص) هذا؛ هو أمره للخروج لكي يقتل هناك.

ملاحظة: بقول صاحب اللهوف: «يمكن أن تكون علة إصطحاب الإمام (ع) لأهل بيته معه، حتى لا يأتي بهم يزيد اسرى من الحجاز الى الشام بالقرب منه، ولكي لا يسيء معاملتهم، ويكون ذلك سبباً في إعاقة الإمام (ع) عن خوض الجهاد وفي النتيجة يحرم من سعادة الشهادة» (اللهوف ص ٧٤).

من هذا الحديث يعلم أن صاحب اللهوف لم يجز التحقيق اللازم في إستدلالة بهذا الحديث ويقول: ان علة حمل الحسين (ع) أهل بيته معه لان الله أراد أن يكونوا اسارى وأراد أن يراهم على هذه الحالة «ان الله قد شاء أن يراهم سبائاً» لا أن تقول: إن الإمام (ع) حمل عياله وأهل بيته كي لا يقوموا اسارى بيد يزيد. ولكن كثيراً من علماء الحديث ينقلون روايات كثيرة في كتبهم لا يعتقدون بصحتها كما فعل الشيخ الصدوق (قدس سره) في كتابه «عيون أخبار الرضا الجزء ٢ ص ٢٣٨» وما فعله العلامة المجلسي (قدس سره) عندما كتب قصة فاطمة والحسين (ع) علق بالقول قبل أن ينقل القصة: الكتب التي أنقل عنها هذه القصة غير قابلة للإعتماد (البحار الجزء ١٠ ص ٥٠)

والان لنطرح السؤال التالي: بعض الافراد لديهم عقيدة تقول: إن الإمام (ع) قرأ في الصحيفة السماوية إنه يجب أن يتحرك الى كربلاء ليقتل فيها. ويقولون أيضاً: إن الإمام الحسين (ع) بالمدينة رأى في المنام رسول الله (ص) وقال له ذلك القول. فهل ان هؤلاء الافراد يقولون: إن رسول الله (ص) جاء للملازمة الحسين (ع) في النوم بمكة ليكرر عليه، ما قرأه في

٣١٢ أخذ من هامش ص ٤٠٦

لكتاب (شهيد جاويد)

أنظر ص ٤٠٦

من النص الفارسي

بنا بر این کشتن امام مورد مشیت تکوینی خدا و در عین حال ، مورد نهی تشریعی است و چیزی که مبعوض خداست ممکن نیست ملاک امر تشریعی واقع شود زیرا ملاک امر تشریعی باید محبوب و دارای مصلحت باشد نه مبعوض. پس نمیتوان گفت : رسول خدا به امام حسین (ع) دستور داده که بیرون برو بملاک اینکه خدا کشتن ترا بمشیت تکوینی خواسته است. این صحیح نیست زیرا قتل نفس از نظر تشریع مبعوض خداست و ممکن نیست ملاک امر تشریعی قرار گیرد .

آری اگر از کلمه «أُخْرِجْ» چشم ببوشیم «شاء» میتواند تکوینی باشد زیرا در این صورت معنای «شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا» اینست که خدا مقدر کرده است تو کشته شوی و این همان پیشگوئی شهادت امام است. و این پیشگوئی را رسول خدا (ص) در زمان حیاتش مکرر فرموده بود.

خلاصه بحث :

خلاصه بحث اینکه حدیث : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا » معارض دارد و از این رو از اعتبار ساقط است .

علاوه بر این کلمه «شاء» در این حدیث ممکن نیست تشریعی باشد که از آن امر و دستور استفاده شود ولی با صرف نظر از کلمه «أُخْرِجْ» میتواند تکوینی باشد که بمعنای پیشگوئی شهادت امام خواهد بود . بنا بر این از این حدیث نمیتوان فهمید که امام حسین (ع) از رسول خدا (ص) دستور گرفته است برای کشته شدن برود .

١٧٤ سرقات

الصَّحِيفَةُ السَّوِيَّةُ وَمَا قَالَ لَهُ فِي النُّومِ تَأْمِيدُهُ؟

ما الدَّعَى لَتَكَرَّارِ هَذَا الْقَوْلِ؟ إِلَّا وَالْعِبَادُ بِإِلَهِهِ كَانَ الْإِمَامُ (ع) مُتَرَدِّدًا
فِي الْعَمَلِ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ (ص) لَهُ وَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيفَةِ، أَوْ إِنَّهُ (ع)
أَرَادَ التَّقْلِيلَ مِنْ تَنْفِيزِ هَذَا الْقَرَارِ كِي يَحْتَاجَ إِلَى تَأْكِيدٍ وَتَكَرَّرٍ لَتَنْفِيزِهِ؛

فقرة من ٣١٣

يك تذکر :

صاحب لهوف میفرماید : «ممکن است علت اینکه امام (ع) اهل بیت خود را همراه برد این باشد که اگر آنان را در حجاز یا جای دیگر می گذاشت یزید دستور میداد خانواده امام را اسیر کنند و بشام نزد او ببرند و نسبت به آنان بدرفتاری میکرد و این سبب میشد که آنحضرت نتواند بجهاد پردازد و در نتیجه از سعادت شهادت محروم میگشت^۱ . از این سخن صاحب لهوف معلوم میشود او حدیث مورد بحث اعتماد نداشته و گرد بهمین حدیث استدلال میکرد و میفرمود : علت اینکه امام خانواده خود را همراه برد این بود که میخواست به اسیری بروند زیرا خدا خواسته آنان را اسیر ببیند **إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُمْ سَبَايَا** نه اینکه بگوید : امام آنان را همراه خود برد که یزید اسیرشان نکنند. و فراوان شده است که علماء حدیثی را در کتاب خود میآورند بدون اینکه بصحت آن عقیده داشته باشند ، چنانکه مرحوم صدوق در «عیون اخبار الرضا» جلد ۲ ص ۲۳۸ چنین کرده^۲ .

يك سؤال :

کسانی که عقیده دارند امام علیه السلام در صحیفه آسمانی خوانده بود که باید برای کشته شدن در کربلا حرکت کند ، و در مدینه نیز

۱- لهوف ص ۷۲

۲- و چنانکه علامه مجلسی قدس سره وقتی خواسته داستانی را که ضمن آن قصه: «در آغوش گرفتن فاطمه زهراء (ع) حسنین (ع) را بعد از وفات آن بی بی» آمده نقل کند قبل از نقل داستان فرموده است: کتابی که من این داستان را از آن نقل میکنم قابل اعتماد نیست (بحار ج ۱۰ ص ۵۰)

حديث أخرج بأقوام للشهادة.

١ - نقل الشيخ الكليني في كتابه الكافي رواية عن (ابي جميلة) عن معاذ بن كثير عن الامام الصادق (ع) جاء فيها «... فلما توفي الحسن رمى قتيح الحسين الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وأخرج بأقوام للشهادة لأشهادة لهم الاممك...». (الكافي ج ١ ص ٢٠١).

٢ - وأيضاً روي في الكافي حديث بهذه الصورة «... ثم دفعه الى الحسين فك خاتماً فوجد فيه أن أخرج يقوم الى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك...» (الكافي ج ١ ص ٢٨٠).

وقبل البدء في التفصيل لا بد من القول؛ لاشك أن الروايتين كانتا منقولتين بامعنى عند القول بأنهما روايتان، وإلا فهما رواية واحدة وهذا الإحتمال وارد يؤيده سياق الروايتين على الظاهر، أما الاختلاف في بعض عبارة الروايتين ناشيء من تعدد الرواة. ففي الرواية الاولى والتي سندها (ابي جميلة) واسمها (مفضل بن صالح) والذي قال عنه العلامة الحلي (قدس سره) انه كذاب يضع الحديث (خلاصة الرجال ص ٢٥٨). وأما الرواية الثانية وطبق ما قاله العلامة المجلسي في (مرآة العقول ج ١ ص ٢٠٠) انها مجهولة السند. قد يتصور المرء للوهلة الاولى حينما ينظر للروايتين أن الامام الحسين (ع) عمل منذ ذلك الوقت لكي يقتل. وهذا المفهوم يحتاج الى توضيح طالما، ونحن نعلم أن المطلوب لهم هنا والذي يحجب معرفته هو: هل أن هذه الرواية حددت الوظيفة العملية لعمل

۲ = حدیث : « وَاخْرُجْ بِاقْوَامٍ لِلشَّهَادَةِ » :

۱- مرحوم کلینی قدس سره در «مغافی» ضمن حدیثی از «ابی جمیل» از معاذ بن کثیر از حضرت امام جعفر صادق علیه السلام چنین نقل میکند:
 «... فَلَمَّا تَوَفَّى الْحَسَنَ وَمَضَى فَتَحَ الْحُسَيْنُ (ع) الْخَاتَمَ الثَّالِثَ فَوَجَدَ بِهَا أَنْ قَاتِلَ قَاتِلِ وَتَقَتْلُ وَآخِرُجْ بِاقْوَامٍ لِلشَّهَادَةِ لِشَّهَادَةِ لَهُمُ الْإِمَّةَ ... آنگاه که امام حسن علیه السلام درگذشت امام حسین علیه السلام مرسوم را گشود و در آن چنین یافت که: بیکارکن و بکش و کشته خواهی شد و با مردمی بیرون برو برای شهادت که برای آنان شهادتی نیست مگر با تو».

۲- باز کلینی ضمن حدیث دیگری چنین نقل میکند: «... ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ (ع) فَقَالَ خَاتَمًا فَوَجَدَ فِيهِ أَنْ أَخْرُجَ بِقَوْمٍ إِلَى الشَّهَادَةِ فَلَا شَهَادَةَ لَهُمُ الْإِمَّةَ ...^۱ پس امام حسن (ع) نامه آسمانی را به امام حسین (ع) داد و آنحضرت مهر را گشود و در آن چنین یافت که بیرون برو با مردمی برای شهادت که شهادتی برای آنان نیست مگر با تو».

با توجه باینکه راویها اخبار را نقل بمعنی میکرده اند با احتمال قوی این دو نقل يك روایت است که با کمی تغییر در عبارت از زبان دو راوی نقل شده است.

و این «ابی جمیل» که در سند حدیث اول است همان «مفضل بن صالح» است که علامه حلی قدس سره درباره او فرموده است: «كَذَّابٌ يَضَعُ الْحَدِيثَ^۲». او دروغگو بوده و حدیث جعل میکرده است.

۱ و ۲- کافی ج ۱ ص ۲۸۰

۳- خلاصة الرجال ص ۲۵۸

الامام (ع) ضمير ادوار امامته التي دامت ١١ سنة، أم انها عينت الوظيفة العملية لتحرك الامام (ع) لزمن مخصوص ومحدد من ادوار إمامته؟

ولكي نوضح المطلب نقول؛ أن عمل الامام (ع) من الناحية الفعلية يعمل تبعاً لل دستور الالهي، وعليه يعتبر عمله أفضل مفسر للرواية، ومن هنا يجب أن نطبق معنى الروايتين على الخارج ونرى بامعان في أي زمن خرج الامام (ع) مع أصحابه للشهادة؟ لنتمكن من خلاله الادراك الحقيقي لمعنى الروايتين.. وبديهي أن الامام الحسين (ع) لم يخرج للشهادة بعد وفاة الامام الحسن (ع) مباشرة، بل أن الحقائق التاريخية الثابتة تقول؛ انه عاش زهاء ال ١٠ سنوات في صلح مع معاوية.

١ - أذن؛ فهو لم يخرج للشهادة في حياة معاوية. ولكنه خرج من المدينة الى مكة بعد هلاك معاوية وحينما أجبر على بيعه يزيد، وفي مكة أقام ارتباطاته مع العراق.

٢ - أذن؛ فهو لم يخرج للشهادة حتى ذلك الوقت. ولكنه خرج بعد أن وصلته أنباء موثقة من مبعوثه مسلم وبعد أن أحس بالخطر من عمال حكومة يزيد في مكة فتحرك نحو الكوفة لكي يقيم حكومة إسلامية عادلة.

٣ - أذن؛ فهو لم يخرج للشهادة حتى ذلك الوقت، بل وحتى بعدما التقى بالحر وما دار بينهما من حوار حول ترك الخصومة وحالة الحرب والانصياع لأوامر الامام (ع) وهذا المبدأ في نهجه أوضح من الشمس.

٤ - أذن؛ فهو لم يخرج للشهادة حتى ذلك الوقت. نعم، انه بعدما اضطره لعدو للدفاع عن نفسه يوم العاشر من المحرم دخل الحرب مضطراً. وضيبي في مثل هذه الصورة التي تتطلب خوض الحرب بكل أشكالها وتبعاتها حتى استشهد هو وأصحابه، وبموقفهم هذا حطموا كل

وحدیث دوم طبق گفته مرحوم مجلسی (درمرآتالمعقول ج ۱) ...
(۲۰۰) سندش مجهول است.

ممکن است کسی بادیکن این دوحدیث (یا يك حدیث) تسورکند که
امام حسین (ع) ازهمان آغازکار برای کشته شدن خارج شده است. ولی
مطلب مهم دراینجا اینست که ما بدانیم آیا این حدیث وظیفه امام را در
همه دوران یازده ساله امامتش تعیین کرده یا وظیفه زمان شخصوی از
دوران امامت آنحضرت را ؟

برای تشخیص این مطلب لازم است عمل خود امام را مفسر حدیث
قراردهیم زیرا آنحضرت در هر صورت به دستور الهی عمل کرده و ازاینرو
عمل وی به بهترین وجهی حدیث را تفسیر میکند بنابراین باید ما معنای
این دوحدیث را با خارج تطبیق کنیم و بدانیم چه وقت امام حسین (ع) با
اصحابش برای شهادت خارج شد؟ تا با توجه به عمل خود امام معنای این
دوحدیث را بطور صحیح درک کنیم .

معلوم است که پس از وفات حضرت مجتبی (ع) امام حسین (ع) برای
شهادت خارج نشد بلکه دهم سال در حال صلح با معاویه پسر برد.

۱- پس تا معاویه زنده بود آنحضرت برای شهادت خارج نشد.
و پس از مرگ معاویه نیز هنگامیکه برای بیعت با یزید تحت فشار
واقع شد بحرم خدا، مکه معظمه پناه برد و روابطی با عراق برقرار کرد.
۲- پس در این زمان هم برای شهادت خارج نشد.

و پس از آنکه گزارش مسلم بن عقیل به آنحضرت رسید و در مکه
نیز احساس خطر کرد برای رهائی از خطر و نیز برای تسخیر کوفه
حرکت فرمود.

الركائز التي استندت إليها حكومة يزيد الفاسدة. وعلى هذا الاعتبار اتضح أن مضمون الرواية من الناحية الفعلية ينطبق على يوم عاشوراء، وهو كما ترى تأكيد من وجه على أن الامام (ع) لم يخرج للشهادة مطلقاً وإنما كانت الحالة الدفاعية للامام (ع) حالة الزامية لا مفر منها وقع فيها شهيداً. وبإختصار اتضح مما سلف أن رسول الامام (ع) الذي وقع خارجاً ينفي دعوى الإستفادة من هاتين الروايتين في اثبات أن الله سبحانه اعطى أوامره للحسين (ع) ليخرج بوقته هذا لكي يستشهد هو وأصحابه، إذ لا مخصص في البيان ومع عدم التخصيص يخرج الحديث كونه علة الزامية في الب. ن.

يتبع ص ٣١٤

روایه و نه الملائكة.

نقل ابو جعفر الطبري في كتاب (دلائل الامامة) رواية عن سفيان بن وكيع عن الاعمش، قال، قال لي أبو محمد الواقدي وزارة بن حليج لقينا الحسين قبل أن يخرج إلى العراق بثلاث ليال فأخبرناه بضعف الناس في الكوفة وأن قلوبهم معه وسيوفهم عليه، فأومأ بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء ونزل من الملائكة عدد لا يحصيهم إلا الله وقال لولا تفارب الاشياء وجبوت الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكي اعلم أن هناك مصرعي ومصارع أصحابي لا ينجو منهم إلا ولدي علي». (دلائل الامامة ص ۷۴).

ولكي نوضح بعض العبارات التي جاءت في الرواية نقول؛ أن كلمة (مصرع) تستعمل بمعنى محل القتل كما جاء في كتاب اللهوف (وخير لي مصرع انا لاقيه) ويقول علماء اللغة «مصارع القوم حيث قتلوا».

أما كلمة (اصحاب) في الرواية فلها معنيان (أعم، وأخص) فبالأعم الاخص تشمل أولاد الفرد دون غلمانها، وبالمعنى الأعم تشمل أولاد الفرد

۷- داستان فرشته ها :

ابو جعفر طبري در کتاب «دلائل الامامة» از مردی از اهل سنت بنام «سفيان بن وكيع» و او از راویان دیگری نقل میکند :

« سه شب پیش از آنکه امام حسین (ع) به عراق حرکت کند دو نفر بحضور آنحضرت آمدند و گفتند : مردم کوفه درباری شما ضعیف هستند . امام بادت به آسمان اشاره کرد عده بيشماري از فرشته ها فرود آمدند آنگاه فرمود : اگر اجر من ضایع نمیشد به کمک این فرشته ها

يمكن الإعتماد فيه على نقل المؤرخين أو بالحديث الذي لا سند له . بل أن ذلك الشيء في حد المسائل الفقهية أو أعلى بكثير من المباحث الفقهية ويحتاج الى دليل محكم حتى يمكن أن يتقبله جميع العلماء . والحديث الذي بحثناه الان ليس بمحكم ولا منور قبول جميع العلماء ، وصرف نقل الحديث في كتب الروايات ليس دليلاً بذاته ، حتى يمكن لجميع العلماء نقله والإعتقاد بمضمونه . . وأيضاً ما يختص بمسألة علم الإمام (ع) بمكان زمان شهادته من المسائل الكلامية والاعتقادية ، الذي حتى مع ثبوت الخبر الواحد الصحيح لا يمكن ثبوته بدون ملاحظة الأخبار المعارضة والآيات القرآنية من قبل «وما تدري نفس بأي أرض تموت» فكيف الإعتماد بذلك على حديث لا سند له .

٥ - حديث «إن الله قد شاء أن يراك قتيلاً» :

يقولون : ان الإمام الحسين (ع) لما عزم على الخروج من مكة بقصد العراق قال لأخيه محمد بن الحنفية «إن النبي (ص) أمرني قائلاً؛ اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً» . ولكن قبل أن ندخل بتفاصيل معنى الحديث حاولنا التحقيق من مصادر ومراجع الحديث التاريخية والروائية ، وبعد جهد التحقيق وصلنا الى النتيجة التالية : إن هذا الحديث لم يوجد في أي من المصادر التاريخية التي تحت أيدينا والتي سندرجها بالتسلسل الزمني لها؛ ويعني أن الحديث لم يوجد في الكتب التاريخية الى حدود النصف الثاني للقرن السابع الهجري ، ولكنه في الفترة التي تلت النصف الثاني من القرن السابع الهجري وجد في كتب المقاتل وإشتهر على اللسان بشكل عجيب نتيجة لكثرة ترديده .

واليك أسماء المصادر والمراجع التاريخية والروائية والتي لم يذكر فيها هذا الحديث وهي حسب التسلسل الزمني لها :

میشد به برادرش محمد حنفیه فرمود: پیغمبر خدا (ص) بمن فرموده است: «أُخْرِجْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا». بیرون برو چون خدا خواسته است ترا کشته بیند».

پیش از آنکه در معنای این حدیث بحث کنیم لازم بود بررسی کاملی از مدارک تاریخی و حدیثی بکنیم و منبع اصلی آنرا بدست بیاوریم. پس از بررسی کامل باین نتیجه رسیدیم که این حدیث تا حدود نیمه دوم قرن هفتم هجری در هیچیک از منابع تاریخی و حدیثی که در دسترس ما هست وجود نداشته است و از نیمه دوم قرن هفتم هجری در کتب مقاتل موجود درج شده و شهرت پیدا کرده است.

اینک نام منابع اصلی تاریخی و حدیثی که این نقل در آنها وجود ندارد به ترتیب زمانی ذکر میکنیم:

- ۱ - الامامة والسياسة . تأليف ابن قتيبة دینوری . وفات ۲۷۶ هجری
- ۲ - الاخبار الطوال . ابو حنيفة دینوری . د ۲۹۰
- ۳ - تاريخ يعقوبی . ابن واضح . د بعد از ۲۹۲
- ۴ - تاريخ طبری . محمد بن جریر . د ۳۱۰
- ۵ - العقد الفريد . ابن عبدربه . د ۳۲۸
- ۶ - کافی . کلینی . د ۳۲۹
- ۷ - مروج الذهب . مسعودی . د ۳۴۶
- ۸ - مقاتل الطالبیین . ابو الفرج اصفهانی . د ۳۵۶
- ۹ - ارشاد . شيخ مفيد . د ۴۱۳
- ۱۰ - روضة الواعظین . قتال نیشابوری . د ۵۰۸
- ۱۱ - اعلام الوری . امين الاسلام طبرسی . د ۵۴۸

۳۹۲

تجد هذه القائمة بهذا الترتيب في ص ۳۰۳ من كتاب وقعة كربلاء

۵ - حدیث: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا»
میگویند: هنگامیکه امام حسین (ع) از مکه بقصد عراق خارج

الكتاب	المؤلف	سنة الوفاة
١ - الإمامة والسياسة	ابن قتيبة الدينوري	٢٧٦ هجرية
٢ - الاخبار الطوال	ابو حنيفة الدينوري،	٢٩٠ هجرية
٣ - تاريخ العقوبي	ابن واضح	بعد ٢٩٢ هجرية
٤ - تاريخ الطبري	محمد بن جرير	٣١٠ هجرية
٥ - العقد الفريد	ابن عبد ربه	٣٢٨ هجرية
٦ - الكافي	الكليني	٣٢٩ هجرية
٧ - مروج الذهب	المسعودي	٣٤٦ هجرية
٨ - مقاتل الطالبين	ابو الفرج الاصفهاني	٣٥٦ هجرية
٩ - الإرشاد	الشيخ المفيد	٤١٣ هجرية
١٠ - روضة الواعظين	الفتال النيسابوري	٥٠٨ هجرية
١١ - إعلام الورى	لأمين الإسلام الطبري	٥٤٨ هجرية
١٢ - مقتل الخوارزمي	المعروف بأخطب خوارزم	٥٦٨ هجرية
١٣ - التهذيب لابن عساکر	علي بن الحسن الشافعي	٥٧١ هجرية
١٤ - الكامل	لابن الاثير	٦٣٠ هجرية
١٥ - تذكرة الخواص	للسبط ابن الجوزي	٦٥٤ هجرية *

وهذه الكتب جميعاً لم تذكر هذا المطلب ولم توجد فيها عبارة «أخرج فلان الله قد شاء أن يراك قتيلاً» وهي جميعها كتبت قبل النصف الثاني من القرن السابع الهجري. ولكننا نلاحظ ان السيد ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هجرية أدرج هذا المطلب في كتابه اللهوف، وبعده نقل الى كتب كثيرة ومختلفة منها «البحار، ناسخ التواريخ، نفس المهموم وغيرها» وقد اشتهرت هذه العبارة في الكتابين الاخيرين شهرة فاقت التصور. ولا شك ان المنشأ الرسمي لنقل هذه الكتب للعبارة أما مباشرة من كتاب اللهوف أو غير مباشرة عنه. وكتاب اللهوف كما تعلم كتب في

- ۱۲ - مقتل خوارزمی . « اخطب خوارزم . » ۵۶۸
 ۱۳ - تهذیب ابن عساکر . « علی بن الحسن الشافعی » ۵۷۱
 ۱۴ - الکامل . « ابن اثیر . » ۶۳۰
 ۱۵ - تذکرة الخواص . « سبط بن الجوزی . » ۶۵۴

در این پانزده کتاب نامبرده که تا حدود قبل از نیمه دوم قرن هفتم هجری تألیف شده این نقل که : « أُخْرِجَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا » وجود ندارد . آنگاه می بینیم در کتاب « لهوف » تألیف مرحوم ابن طاروس متوفای ۶۶۴ هجری این حدیث درج شده و بعداً در کتابهای از قبیل بحار و ناسخ التوازیغ و نفس المهموم و غیر اینها ذکر شده و در این اواخر شهرت کاملی پیدا کرده است . بدیهی است منشاء نقل کتابهای بعد از « لهوف » بی واسطه یا با واسطه کتاب « لهوف » است که در اواسط قرن هفتم هجری تألیف شده است .

اینک آنچه را که کتاب « لهوف » نوشته است عیناً درج میکنیم و درباره آن بحث می نمائیم .

در کتاب « لهوف » چنین آمده است :

« وَرَوَيْتُ مِنْ كِتَابِ أَصْلِ لِأَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ يَرْبُودٍ الثَّقَفِيِّ (وَعَلَى الْأَصْلِ أَنَّهُ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْقُمِيِّ) بِالْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى الْحُسَيْنِ فِي اللَّيْلِ لَيْلِي أَرَادَ الْخُرُوجَ صَبِيحَتَهَا عَنْ مَكَّةَ فَقَالَ : يَا أَخِي إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَنْ قَدْ عَرَفَتْ تَمْدَرَهُمْ يَا بَيْتَكَ وَأَخِيكَ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ خَالِكَ كَخَالٍ مِنْ مَضَى فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقِيمَ فَإِنَّكَ أَعَزُّ مِنْ فِي الْحَرَمِ وَأَمَنَةٌ فَقَالَ : يَا أَخِي

أواسط القرن السابع الهجري . . ولكي تقف على المطلوب بوضوح اليك عين ما كتبه صاحب اللهوف المرحوم السيد ابن طاووس ؛ وسيدور بحثنا حول عبائر ما جاء في كتاب أصل لأحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد الثقة (وعلى الاصل إنه كان لمحمد بن داود القمي) بالإسناد عن أبيه عبد الله قال: سار محمد بن الحنفية الى الحسين في الليلة التي أراد الخروج صبيحتها عن مكة فقال: يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنه فقال: يا أخي قد خفت ان يقتلني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت فقال له ابن الحنفية فإن خُفِتَ ذلك ذلك فسر الى اليمن أو بعض نواحي البحر فإنك أمنع الناس به ولا يقدرُ عليك فقال: انظر فيما قلت فلما كان في السحر ارتحل الحسين (ع) فبلغ ذلك ابن الحنفية فاتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال بلى قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال: أثناني رسول الله بعدما فارقتك فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً فقال له ابن الحنفية: أنا لله وأنا اليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء وانت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال، فقال له: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى». (اللهوف ص ٥٥). إذن فالكتب التي يتداولها معظم الناس إنما كان المنبع الرئيسي لحديثها هو اللهوف وما جاء بعده من الكتب على ان الله «اراد أن يرى الحسين (ع) قتيلاً».

«وفي كتاب إثبات الوصية صفحة ١٣٩ جاء فيه أن محمد بن الحنفية قال للإمام الحسين (ع) «الله الله في حرم رسول الله فقال له: أباي الله الا ان يكرُّ سبايا» ويحتمل أن يكون مؤلف كتاب إثبات الوصية أخذ هذا المطلوب من الكتاب الذي أخذ عنه صاحب اللهوف ونقل هذه الجملة عنه

نص صاحب اللهوف نقلاً عن كتاب (شهيد جاويد)

قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَابَنِي بِرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرَمِ فَأَكُونَ الَّذِي يُسْتَبَاحُ
 بِهِ حُرْمَةُ هَذَا الْبَيْتِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ فَإِنْ خِفْتَ ذَلِكَ فَسِرْ إِلَى
 الْيَمَنِ أَوْ بَعْضِ نَوَاحِي الْبَرِّ فَإِنَّكَ أَمْنَعُ النَّاسِ بِهِ وَلَا يَقْدَرُ عَلَيْكَ فَقَالَ:
 أَنْظِرْ فِيمَا قُلْتَ فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ ارْتَحَلَ الْحَسَنُ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ
 فَأَتَاهُ فَأَخَذَ زِمَامَ نَاقَتِهِ الَّتِي رَكِبَهَا فَقَالَ: يَا أَخِي أَلَمْ تَعِدْنِي النَّظَرَ
 فِيمَا سَأَلْتُكَ؟ قَالَ بَلَى قَالَ: فَمَا حَدَاكَ عَلَى الْخُرُوجِ عَاجِلًا؟ فَقَالَ:
 أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ مَا فَارَقْتُكَ فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ أُخْرِجْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ
 شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
 فَمَا مَعْنَى حَمْلِكَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ وَأَنْتَ تَخْرُجُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ؟
 قَالَ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ قَالَ لِي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا وَسَكَمَ
 عَلَيْهِ وَمَضَى.

د ابن طاووس رحمه الله میگوید: من از کتاب «اصل» احمد بن
 حسین بن عمر بن یزید ثقه (که بر پشت آن نوشته شده: این نسخه از
 کتاب سابقاً در ملک محمد بن داود قمی بوده است) پسندی که در آن کتابست
 از امام صادق (ع) نقل میکنم که گفت: در آن شبی که صبح آن حسین بن
 علی (ع) میخواست از مکه خارج شود «محمد حنفیه» نزد وی رفت و
 گفت: ای برادر تو اهل کوفه را میشناسی که با پدر و برادر تو وفائی
 کردند و من میترسم با تو همانطور رفتار کنند اگر تصمیم بگیری در مکه
 بمانی تو در حرم خدا عزیز ترین و محفوظ ترین افراد هستی گفت:

سرقاٲ ١٨٨

البياض صحیح

میتروسم یزید بن معاویه مرا ترور کند و احترام خانه خدا بسبب من آبرین
برود . « محمد حنفیه » گفت : اگر میترسی ، به یمن یا بعضی از نواحی
« بر » برو که آنجا محفوظ ترین افراد خواهی بود و کسی بر تو ظفر
نمی یابد . گفت : درباره آنچه تو گفتی فکری میکنم. آنگاه سحر امام
کوچ کرد . خبر به محمد حنفیه رسید ، آمد و مهار شتر امام را گرفت
و گفت : مگر تو وعده ندادی درباره آنچه من گفتم فکر کنی ؟ گفت :
چرا ، گفت : پس چرا بتعجیل از مکه میروی ؟ گفت : بعد از آنکه
از تو جدا شدم رسول خدا آمد و گفت : بیرون برو که خدا خواسته است
ترا کشته ببیند ، محمد حنفیه گفت : تو که با این حال میروی پس چرا
این زنان را با خود میبری ؟ امام فرمود : رسول خدا (ص) بمن گفت :
خدا خواسته است زنان را اسیر ببیند آنگاه به رسم خدا حافظی بروی
سلام کرد و رفت .

بدینگونه می بینیم در بین کتابهایی که در دسترس ما هست منبع
اصلی این نقل که : « خدا خواسته است امام حسین (ع) را کشته ببیند »
از قرن ۷ بعد کتاب لهوف است .^۱

اینک باید بدانیم آنچه کتاب لهوف نقل کرده است تا چه اندازه
ارزش و اعتبار دارد ؟

بطوریکه می بینید کتاب لهوف این خبر را بدون سند نقل کرده

۱- در « اثبات الوصیه » ص ۱۳۹ آمده که محمد حنفیه به امام حسین (ع)
گفت : « الله الله فی حرم رسول الله فقال له : ابسی الله الا ان یکن سبايا »
احتمال دارد کتابی که نزد صاحب لهوف بوده نزد مؤلف « اثبات الوصیه » نیز
بوده و این جمله را بطور نقل بمعنی از آن کتب گرفته است .

بشكل نقل بالمعنى».

نعم هنا لا بد أن نعلم إن ما نقله صاحب اللهوف الى أي حد يمكن إعتبار قيمته؟ مع إننا نلاحظ أن كتاب اللهوف ينقل هذا الخبر بدون سند في حين إننا لا نعلم بالضبط رواة هذه القصة وكيف كانوا ومن هم؟ وأيضاً فإننا لا نعلم أن هذا الكتاب الذي نقل عنه صاحب اللهوف الى أي حد كان قابلاً للقبول والإعتماد؟ وهل أن أكابر العلماء والمؤرخين أمثال - اليعقوبي - الكليني - المفيد - الفثال النيسابوري - امين الإسلام الطبرسي الذين عاشوا قبل صاحب اللهوف لم يطلعوا على هذه القصة؟ وإذا كانوا على علم منها ولم ينقلوها فكيف يمكن الإعتماد عليها وقبولها ما داموا لم يعيروا هم لها إهتماماً معيناً ولم يدرجوها ضمن مطالبيهم؟

وجود المعارض: مضافاً الى ما تقدم فإن خبر صاحب اللهوف له معارض في المقام وهو خبر (ابو مخنف) الذي نقله عن الحارث بن كعب الوالي عن الإمام السجاد (ع) ونقل هذا الخبر الطبري في تاريخه والشيخ المفيد في إرشاده وهذا الخبر يتحدث عن إصرار عبد الله بن جعفر على إرجاع الإمام (ع) الى مكة، وجواب الإمام (ع) اليه قائلاً: اني رأيت رسول الله (ص) في المنام وأمرني بما أنا ماض له على كان أولى فقال له ابن جعفر: وما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت أحداً بها وما أنا محدث بها (تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٢ والإرشاد ص ٢٠٠). ومن هذا الحديث يعلم إن ما قاله رسول الله (ص) في المنام للإمام (ع) لم يقله الإمام الى أي شخص. في حال أن خبر اللهوف يصرح بأن الإمام (ع) قال لمحمد بن الحنفية عن الرؤيا التي حدثه بها رسول الله (ص) وهذا في الواقع تعارض بين النقلين بين اللهوف من جهة وتاريخ الطبري والإرشاد من جهة أخرى، ولأزم من التعارض بين الحديثين مع إنتفاء المرجح لأي منهما سقوط الاثنين من الإعتبار، وعليه تكون المعادلة بالشكل التالي؛ طرح ما

رمانسبدا نيم راويان اين قصه چه كسانى بوده اند ، و نيز ، ما نيم آن كتابى كه لهوف اين خبر را از آن نقل کرده تا چه اندازه قابل اعتماد بوده است ؛ آيا كتابى كه مؤرخان و علمای ديگر مثل يعقوبى ، كلينى و شيخ مفيد و امين الاسلام طبرى و فتال نيشابورى ، پيش از صاحب لهوف از آن اطلاعى نداشته يا اگر هم داشته اند اين مطلب را از آن نقل نكرده اند تا چه اندازه ميتواند قابل اعتماد باشد ؟

معارض دارد :

علاوه بر اين خبر لهوف معارض دارد و آن خبرى است كه « ابو مخنف » از حارث بن كعب والى ازامام سجاد عليه السلام نقل کرده و مرحوم شيخ مفيد نيز آنرا در ارشاد آورده كس : « ادم حسين (ع) در جواب عبدالله جعفر كه اصرار داشت آنحضرت بمكه برگردد فرمود : رسول خدا (ص) در خواب بمن دستورى داده كه بدان عمل خواهم كرد ^۱ عَلَى كَيْفِ اُولَى چه پروز شوم و چه شكست بخورم. عبدالله جعفر پرسيد : آن دستور چيست ؟ فرمود : آنرا به هيچ كس نگفته و نازنده ام به هيچ كس نخواهم گف ^۲ » .

از اين خبر معلوم ميشود امام دستور رسول خدا را به هيچ كس نگفته در حالى كه از خبر لهوف معلوم ميشود آنرا براى محمد حنفيه گفته است و اين تعارضى است بين نقل « ابو مخنف » و ارشاد مفيد از يك طرف

۱- از جمله « على كان اولى » معلوم ميشود رسول خدا (ص) دستورى داده كه با اجراى آن احتمال پروزى و شكست هردو در بين بوده است.
 ۲- تاريخ طبرى ج ۴ ص ۲۹۲ و ارشاد ص ۲۰۰

نقله صاحب اللهوف من نقل أبي منحرف، الإرشاد تصح النتيجة عدم.
يعني نقل أبي مخفف والإرشاد - نقل اللهوف = عدم.

بحث في معنى الحديث: مع أن البحث في معنى الحديث بعدم
تبين التعارض بينهما يكون بحثاً زائداً في المقام لوجود لتعارض في البين
الذي أسقط الحديث، إلا أن ذلك لا يمنع من التحقيق التام والبحث
المُسهب حول معاني الحديث، وها نحن نحاول تسليط الضوء على بعض
مضامين الحديث ببعض الجمل آملين الفائدة: إن الكلمة (شاء) في هذا
الحديث احتمالين:

الاول: أن تكون (شاء) تشريعية.

الثاني: أن تكون (شاء) تكوينية.

الاول: إذا كانت تشريعية: لو أن (شاء) تشريعية فإن ذلك ليس
بصحيح لأنه لو كانت تشريعية فإنها ستكون بمعنى أمر وتكليف، وعليه
يجب أن يتعلق أمر الله بأحد هذه الأشياء الثلاثة:

أ - أن يتعلق الأمر بقتل الإمام (ع) وهذا باطل لأن الله سبحانه وتعالى لا
يأمر بقتل الإمام (ع) مطلقاً.

ب - أن يتعلق الأمر بذهاب (الروح عن البدن) وهذا أيضاً باطل
لأن ذهاب الروح من البدن من باب الإنفعال وليس من باب الفعل
والتكليف يتعلق بالفعل لا بالإنفعال.

ج - أن يتعلق الأمر بمقدمات القتل يعني إن الله سبحانه وتعالى أمر
الإمام (ع) أن يقدم نفسه للقتل لكي يقتل وهذا أيضاً محكوم ببطلانه لأنه
على أساس ذلك يكون تحريك الآخرين للقتل حراماً، وبالضرورة فتحريك
نفسه من أجل قتلها عمل محكوم عليه بالحرمة، وعلى هذا الأساس فلا

و نقل لهوف از طرف دیگر و لازمه تعارض اینست که اگر ترجیحی در بین نباشد هردو از اعتبار ساقط میشوند و نتیجه چنین میشود که نقل لهوف منهای نقل «ابومخنف» و ارشاد مساوی است با هیچ :

هیچ = نقل ابومخنف و ارشاد - نقل لهوف

سخنی در معنای حدیث :

اگر چه بعد از آنکه حدیث لهوف بعثت تعارض از اعتبار ساقط شد بحث در معنای آن زائد بنظر میرسد ولی برای اینکه همه جنبه های حدیث بطور کامل بررسی شود چند جمله در معنای آن گفتگو میکنیم :

در کلمه « شاء » در این حدیث دو احتمال است :

- ۱ - اینکه « شاء » تشریعی باشد .
- ۲ - اینکه تکوینی باشد .

اگر تشریعی باشد :

اگر « شاء » تشریعی باشد صحیح نیست^۱ زیرا کشتن امام و

۱ - اگر « شاء » تشریعی باشد بمعنای امر و تکلیف خواهد بود. آنگاه امر خدا باید به یکی از سه چیز تعلق بگیرد :
 الف - امر به کشتن امام تعلق بگیرد و این باطل است زیرا خدا هرگز امر به کشتن امام نمیکند.

ب - امر به کشته شدن یعنی رفتن روح از بدن تعلق بگیرد و این هم باطل است زیرا کشته شدن، نفعال است نه فعل، و تکلیف به فعل تعلق میگیرد نه بانفعال.
 ج - امر بمقامات کشتن تعلق بگیرد یعنی خدا امر کرده است امام قاتل خود را وادار کند که او را بکشد و این هم باطل است زیرا همانطور که تحریک برای کشتن دیگران گناه است، تحریک برای کشتن خود محرم گناه است .
 بنابراین ممکن نیست « شاء » تشریعی باشد.

يمكن أن تكون شاء تشريعية». أضيف الى ما تقدم فإن قتل الإمام (ع) وأسر أهل بيته ذنب عظيم لا يغتفر ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى عندما شرع القوانين لم يكن يريد فيها ظلماً للعبء بداهة أن الله لا يريد من الناس أن يقولوا الكذب. ولكنهم على خلاف إرادته يكذبون، كذلك لا يريد أن تكون فتنة فساد على الأرض ولكنها موجودة، كذلك لا يريد أن يقتل الإمام الحسين (ع) ولا أن يقع أهل بيته أسارى، ولكن كل ذلك وقع فقتل الإمام (ع) وسبب عياله. يقول الإمام السجاد (ع)؛ ان قتل الإمام الحسين (ع) كان ضربة ومصيبة فادحة وقعت على الإسلام والمسلمين، ولا ريب أن الله لم يكن يريد أن تسع مثل هذه الفادحة العظيمة على الإسلام وان تلقى بسئارها عليه. نعم ان يزيداً وابن زياد أرادوا ان يقتل الإمام (ع)، لا ان الله أراد ذلك! لانه لو كان الله سبحانه وتعالى في مقام التشريع أراد أن يرى الحسين قتيلاً إذن فلماذا نهى عن قتله؟

قد تقولون: إن القتل في سبيل الدين أمر مطلوب عند الله، نقول في معرض الجواب: إن القتل بذاته لم يكن مطلوباً عند الله، بل ان المطلوب عند الله هو الدفاع عن القيم والمبادئ السماوية وحماية الدين، الذي يكون القتل فيه حالة لازمة وتعتبر اسمى غاية لانها ذات هدف عظيم، إذن فالشيء الذي يريده الله سبحانه وتعالى هو الدفاع عن الدين لا غاية القتل وطبعاً لا يحسن القول؛ إنه إذا لم يكن القتل هو ما يريده الله سبحانه، فماذا يأمر بذيح إسماعيل (ع)؟ الجواب: إن هذا الأمر كان أمراً امتحانياً ولم يكن ذبح إسماعيل ما يريده الله قطعاً بل إنه لا يريد قتله ولهذا العلة صرف إبراهيم (ع) عن قتله».

ونعود لتوضيح المطلب قائلين: هل ان ضرب المظلوم أمر مطلوب؟ ضبعاً لا، وهل إذن فتعريض النفس للضرب ايضاً أمر غير مطلوب،

اسیر کردن خانواده اش گناه بزرگی است ، و هیچ گناهی را خدا از نظر تشریع و قانون نخواسته است. خدا نخواسته است مردم دروغ بگویند ولی میگویند و نخواسته است در زمین فتنه و فساد کنند ولی میکنند ، و نخواسته است امام حسین (ع) را بکشند و خانواده اش را اسیر کنند ولی میکنند . کشتن حسین بن علی (ع) چنانکه امام سجاد علیه السلام فرمود^۱ ضربت بزرگی بود که باسلام زدند و بدون تردید خدا نخواسته است چنین ضربتی را باسلام بزنند .

آری یزید و ابن زیاد خواسته اند امام حسین را کشته بینند نه خدا. اگر خدا از نظر تشریع خواسته امام را کشته بیند پس چرا از کشتن وی نهی کرده است ؟

و اگر کسی بگوید : کشته شدن در راه دین مطلوب خداست جوابش اینست که کشته شدن مطلوب خدا نیست بلکه دفاع و حمایت از دین مطلوب خداست که گاهی به کشته شدن می انجامد ، پس آنچه مطلوبست و خدا خواسته ، دفاع از دین است نه کشته شدن^۲.

برای توضیح مطلب میگوئیم :

آیا سیلی زدن بمظلوم مطلوبست ؟ البته نه ، پس خود را بمنظور سیلی خور زدن در معرض سیلی قرار دادن هم مطلوب نیست .

۱- لهوف ص ۱۸۰ و مثير الاخوان ص ۶۲

۲- البته نباید گفته شود : «اگر کشته شدن مطلوب خدا نیست پس چرا امر به ذبح اسمعیل کرده ؟» زیرا این امر امتحانی بود و ذبح اسماعیل هرگز مطلوب نبود و خدا نمیخواست او کشته شود بلکه میخواست زنده بماند تا وجود مقدس خاتم الانبیاء (ص) از نسل او بوجود آید . و بهمین جهت از کشتن او جلوگیری کرد.

مع غلمانهم، ولقد جاءت هنا بالمعنى الاعم لان الامام (ع) فيها استثنى ولده علياً (ع) من اصحابه، وعليه تكون كلمة (اصحاب) شاملة لأولاده وغلمانهم. قد يتصور الفرد للنظرة الاولى لهذه الرواية بان الامام (ع) انما تحرك من مكة لكي يقتل، وهذا التصور باطل لا يعتمد على حقيقة علمية، وأيضاً فإننا لا نعلم على هذه الرواية لعدة اسباب منها ما يلي:

١ - لأن؛ أحد رواة هذه القصة هو (سفيان بن وكيع) المتهم بالكذب كما عن ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ١٧٣).

٢ - ولأنه؛ يوجد لهذه الرواية معارض في المقام، وهو حديث (لوط بن يحيى) عن (عقبة بن بشير الاسدي) عن الامام الباقر (ع) قال: «رفع الحسين (ع) يديه بالدعاء عندما قتل ولده الرضيع وقال رب ان تك حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير فانتقم لنا من هؤلاء الظالمين». (تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٢، الارشاد ص ٢٢١). فهذا الحديث ينفي نزول الاسداد السماوي على الحسين (ع) في حين تتحدث الرواية التي هي مورد بحثنا عن نزول الامداد السماوي على الحسين (ع) وهذا على ما هو ظاهر تعارض صريح بين الروايتين.

٣ - ولأن؛ هذه الرواية تقول، انه لم يبق من اصحاب الامام الحسين (ع) إلا الانعام السجاد (ع)، مع العلم أن التواريخ المتعددة تذكر لنا انه بقي مع الامام السجاد (ع) عدد من الاصحاب واهل البيت نذكر منهم ما يلي:

١ - حسن بن الحسن (الطبري ج ٤ ص ٣٥٩).

٢ - عمرو بن الحسن (الطبري ج ٤ ص ٣٥٩).

٣ - زيد بن الحسن (اللهوف ص ١٢٩، مقاتل الطالبين ص ١١٩).

تابع للصفحة الآتية

بادشمنان جنگ میکردم ولی میدانم که در آنجا قتلگاه من و اصحابم خواهد بود و از یاران من کسی نجات نمی یابد بغیر از فرزندم علی
وَلَكِنْ اَعْلَمُ يَقِينًا اَنَّ هُنَاكَ مَصْرَعِي وَمَصْرَعِ اصْحَابِي لَا يَنْجُو مِنْهُمْ اِلَّا وَثَقِي

کلمه « مصرع » بمعنای محل کشته شدن استعمال میشود چنانکه در حدیث لهوف آمده : « و غیر لی مصرع الانا لقیه »^۲ و اهل لغت نوشته اند : « مصارع القوم حیث قتلوا » و کلمه « اصحاب » بمعنای اخص شامل فرزندان و غلامان شخص نمیشود و بمعنای اعم شامل فرزندان و غلامان هم میشود و در این روایت بمعنای اعم است زیرا علی بن الحسین علیه السلام از اصحاب استثناء شده پس در اینجا کلمه « اصحاب » شامل غلامان و فرزندان امام هم میشود .

ممکن است کسی بادیدن این نقل گمان کند امام حسین (ع) از آنکه بقصد کشته شدن حرکت فرموده است ولی باید دانست که بجند علت به این نقل نمیتوان اعتماد کرد :

۱- یکی از راویان این قصه یعنی « سفیان بن وکیع » متهم بمردوغ گوئی است^۳ .

۲- این نقل معارض دارد و آن روایتی است که « لوط بن یحیی » از « عقیقه بن بشیر » اسدی از امام محمد باقر علیه السلام نقل میکند که

۱- دلائل الامامة ص ۷۴

۲- لهوف ص ۵۳

۳- اقرب الموائد ج ۱ ص ۶۴۴

۴- میزان الاعتدال ج ۲ ص ۱۷۳

- ٤ - غلام عبد الرحمن بن عبد ربه الانصاري (الطبري ج ٤ ص ٣٢١).
- ٥ - الضحاك بن عبد الله المشرقى (الطبري ج ٤ ص ٣٣٩).
- ٦ - عقبة بن سمعان (الطبري ج ٤ ص ٣٤٩).
- ٧ - مرقع بن ثمامة الأسدي (الطبري ج ٤ ص ٣٤٧).
- ٨ - مسلم بن رباح مولى علي (تهذيب ابن عساکر ج ٤ ص ٣٣٨).
- ٩ - قاسم بن عبد الله بن جعفر (سير النبلاء ج ٣ ص ٢٠٣).
- ١٠ - محمد بن عقيل (سير النبلاء ج ٣ ص ٢٠٣).

ولو أن هناك بحثاً حول (زيد بن العيص) على أساس انه لم يشارك في وقعة كربلاء، وحتى لو تحقق ذلك وبقي ٨ أشخاص فإن ذلك كاف في رد الحديث وبطلانه، بل لو كان الباقيون هم نصف ذلك العدو فإن ذلك يثبت بأن عبارة «لا ينجو منهم الا ولدي علي» غير صحيحة، ولما ذكرناه من الاسباب الثلاثة في البحث حول الحديث المزبور، وعليه يكون الحديث ليس مورداً للقبول والإعتماد. اضع الى ما تقدم فإن معنى الحديث لا يتناسب ومقام الامام (ع) حتى يمكن نسبته اليه. . . «لولا تقارب الاشياء وحبوط الاجر لقاتلتهم هؤلاء» فالظاهر فيه انه يعتبر الأجر غير متحصل.

اذن فهل ان الامام (ع) يرفض الامداد الغيبي الذي يكون عاملاً مساعداً في حسم وبناء حكومة إسلامية تحيي معالم الدين وهل يكون ذلك أجراً ضائعاً؟! لا ريب انه لن يستطيع أحد الجواب على هذا السؤال سوى الراوي (سفيان بن وكيع) المتهم بالكذب.

أنظر ص ٤١٩

من كتاب (شهيد جاويد الفارسي)

در روز عاشوراء وقتی بچهٛ امام حسين (ع) نير خورد آنحضرت بدرگاہ خدا عرضه داشت :

«خدايا اگر كمك آسماني را از ما باز داشته‌اي اين مصيبت را ذخيرهٛ آخرت ما قرار ده وانتقام ما را از اين ستمگران بگير^۱ .
از اين حديث معلوم ميشود خداوند كمك آسماني را از امام باز داشته درحالي كه از حديث مورد بحث معلوم ميشود كمك آسماني را باز نداشته است^۱ .

۳- در اين نقل ميگويد : غير از امام سجاد عليه السلام كسي از اصحاب امام باقي نيمياند درحالي كه غير از حضرت سجاد (ع) اين عهه كه نام ميبريم باقي ماندند :

- ۱- حسن بن الحسن (طبري ج ۴ ص ۳۵۹) .
- ۲- عمرو بن الحسن^۲ (طبري ج ۴ ص ۳۵۹) .
- ۳- زيد بن الحسن (لهوف ص ۱۲۹ ومقاتل الطالبين ص ۱۱۹) .
- ۴- غلام عبدالرحمن بن عبدربه انصاري (طبري ج ۴ ص ۳۲۱) .
- ۵- ضحاک بن عبدالله مشرقي (طبري ج ۴ ص ۳۳۹) .
- ۶- عقبه بن سميان (طبري ج ۴ ص ۳۴۹) .
- ۷- مرقع بن ثمامه اسدي (طبري ج ۴ ص ۳۴۷) .

-
- ۱- تاريخ طبري ج ۴ ص ۳۴۲ وارشاد ص ۲۲۱
 - ۲- طبري ج ۴ ص ۳۵۹ ميگويد: « واستصغر عمرو بن الحسن » و اين بدان معني نيست كه عمرو بن الحسن بچه بوده و از اصحاب نبوده زيرا در همان صفحه در بارهٛ امام سجاد عليه السلام ميگويد: « واستصغر علي بن الحسين » و دربارهٛ حسن مثنى هم ميگويد: « واستصغر الحسن بن الحسن » .

٢٠٠ سرقات

نقل اللهوف: نقل صاحب كتاب اللهوف هذه القصة في ص ٥٤، في حين انه ذكر في الصفحة ١٢٨، ١٢٩ ان حسن بن الحسن وزيد بن الحسن وعمرو بن الحسن ممن لم يستشهدوا يوم عاشوراء، وهذا كما ترى تناقض بين النقلين!

- ۸- مسلم بن رباح مولى على (تهذيب ابن عساکر ج ۳ ص ۳۳۸) .
- ۹- قاسم بن عبدالله بن جعفر (سير النبلاء ج ۳ ص ۲۰۳) .
- ۱۰- محمد بن عقيل (سير النبلاء ج ۳ ص ۲۰۳) .

اگرچه درباره عمرو بن الحسن قولی هست که کشته شده (ارشاد ص ۱۷۲) و درباره زید بن الحسن هم قولی هست که همراه امام نیامده ولی اگر آنرا زنده نام برده هم باقی مانده باشند بلکه اگر نصف این عده هم باقی مانده باشند باز این جمله حدیث که : «لَا يَنْجُو مِنْهُمْ إِلَّا وَلَدِي عَلِيٌّ» از اصحاب من بجز فرزندانم علی کسکی باقی نمی ماند ، صحیح نیست .

به این سه علتی که ذکر شد حدیث مزبور قابل اعتماد نیست .

علاوه بر این معنای این سخن چیست که نسبت به امام میدهد :

« اگر اجر من ضایع نمیشد به کمک این فرشته ها می جنگیدم » ؟ آیا اگر امام بکمک فرشته ها دشمنان را نابود کند و اسلام پایمال شده را زنده نماید اجرش ضایع میشود ؟

جواب این مطلب را باید آن راوی متهم بدروغ گوئی « سفیان بن عیینه » بدهد .

نقل لهوف :

لهوف هم این داستان را در ص ۵۴ نقل کرده در حالی که زنده ماندن حسن بن الحسن و زید بن الحسن و عمرو بن الحسن را در ص ۱۲۸ و ۱۲۹ آورده و این تناقض روشنی است !

أنظر ص ۳۱۷

من کتاب وقعة كربلاء



بيعة يزيد امتداد لبيعة الخلفاء الثلاثة

عندما نقول: إن بيعة يزيد كانت امتداداً لبيعة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه إنما قلنا ذلك لأن بيعة الجميع قد تمت رغم أنف المسلمين؛ وذلك باتباع أسلوب التهديد والقتل؛ وسنوقف القراء على مجمل الأحداث، ابتداءً من انتخاب أبي بكر إلى إمرة يزيد بن معاوية وسيرى القارئ أن الذي حدث بموازرة عصابة من الناس الذين هم عند أهل السنة يشملهم عنوان الصحابي. وعلى مذاق القوم أن جميع الصحابة هم عدول، ثقة، لا يمكن أن يتطرق إليهم النقد والجرح... وهذا مقياس خاطئ ما أنزل الله به من سلطان، بل المقياس الصحيح هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى».

وعليه سنبين أن إمرة الخلفاء الثلاثة لم تكن وفق المنهج الشرعي الصحيح.

بيعة أبي بكر عام (١١هـ)

جميع المسلمين - بما فيهم الصحابة - كانوا يتطلعون إلى حالة الرسول (ﷺ) حين مرضه وهمهم شفاؤه، وكانوا يطمحون بطول بقائه وعمره المديد، لكن شاء الله سبحانه أن يرفعه إليه، وأن يوصي الأمة بعلي، فهو خليفته ووزيره، ويؤدي عنه دينه، ومع كل الذي قاله في حق علي (عليه السلام) كان على

٢٠٦.....الحسين من خلال القرآن

اطلاع مسبق - من قبل السماء - أن الأمة سوف تغضب حق علي. سوف تُقصيه عن الخلافة، بل سوف ينال منها من المصائب والمحن ما ينصدع له القلب، وتنهّد له الجبال...

ماذا فعل رسول الله في مرضه...؟

أراد الرسول (ﷺ) أن يكتب كتاباً إضافةً إلى وصيّته في علي وأهل بيته، وفي هذا الكتاب سوف يقرّر كلّ شيء، وبه تنتهي كلّ المؤامرات، ويحسم النزاع بين المسلمين. فماذا حصل...؟

عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: ثم نظرت إلى دموعه - أي: دموع الرسول - تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله (ﷺ): اثنوني باللوح والدواة، أو بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده، قال: فقالوا: إنّ رسول الله يهجر^(١).

وهذه العبارة من مختصات عمر بن الخطاب وإن كانت قد رويت بلفظ آخر، كما يرويه البخاري في صحيحه: إذ لما طلب الرسول الدواة والقرطاس قال أبو حفص عمر: إنّ النبي غلبه الوجد، وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله^(٢).

وكان لهذا القول اعتداء سافر على الرسول (ﷺ)، ممّا غضب غضباً شديداً حتّى أنّه (ﷺ) أمرهم بالانصراف.

وقول ابن عباس يؤكّد ذلك:

قال اشتدّ برسول الله وجعه... فقال: اثنوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع، فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ فذهبوا

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٦.

(٢) صحيح البخاري ١ / ٢٢٠ باب كتابة العلم.

أين كان أبوبكر لما توفي الرسول ﷺ؟ ومتى جاء إلى المدينة؟ ٢٠٧

يعيدون عليه، فقال: دعوني، فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه...^(١).
توفي الرسول (ﷺ) وهو ينوي وضع وصيته مكتوبةً بيد القوم، إلا أنهم خالفوه؛ لتنفيذ مؤامرة قد حيكت خيوطها من قبل...!! ولا عجب.
عن الأرقم بن شرحبيل قال: سألت ابن عباس: أوحى رسول الله (ﷺ)؟
قال: لا. قلت: فكيف كان ذلك؟ قال: قال رسول الله: ابعثوا إلى علي فادعوه،
فقال عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر! وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر! فاجتمعوا
عنده جميعاً. فقال رسول الله (ﷺ): انصرفوا، فإن تك لي حاجة أبعث إليكم،
فانصرفوا...^(٢).

أين كان أبوبكر لما توفي الرسول (ﷺ)؟ ومتى جاء إلى المدينة؟

لما توفي الرسول (ﷺ) كان أبوبكر عند أهله في السُّنح^(٣) أي: كان
خارج المدينة بمسافة عدّة فراسخ، ولم يأت المدينة إلا بعد انتشار خبر الوفاة!!
عن أبي أيوب، عن إبراهيم قال: لما قبض النبي (ﷺ) كان أبوبكر غائباً،
فجاء بعد ثلاث، ولم يجترئ أحد أن يكشف عن وجهه حتى اربدّ بطنه،
فكشف عن وجهه...^(٤).

وفي رواية أخرى: أنّه جاء المدينة في نفس اليوم الذي توفي فيه النبي
بعدما ارسل وراءه عمر بن الخطاب. قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد.

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٢.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣.

٢٠٨.....الحسين من خلال القرآن

أشهدت وفاة رسول الله (ﷺ) ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟
قال: يوم مات رسول الله (ﷺ)، كرهوا أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في
جماعة... (١).

ماذا حدث بعد وفاة النبي (ﷺ) ...؟

أجمعت كتب التاريخ والسيرة بأن عمر بن الخطاب أنكر وفاة النبي، بل
توعد الناس وهذّدهم بالقتل إن قالوا بوفاته (ﷺ) ...!
أمر عجيب... وتحار عنده العقول... قال زيني دحلان: قال عمر: من قال:
إنّ محمداً قد مات ضربته بسيفي (٢).

وعن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله (ﷺ)
قام عمر بن الخطاب فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله توفي،
وأنّ رسول الله والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران
فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثمّ رجع بعد أن قيل: قد مات والله، ليرجعن رسول
الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات (٣).

من هؤلاء الرجال المنافقين الذين يزعمهم أبن الخطاب...؟
هل صرح النبي (ﷺ) أنّه ذاهب إلى ميقات ربّه كما كان موسى بن
عمران...؟

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٧.

(٢) السيرة النبويّة للعالمّة زيني دحلان، المطبوع بهامش السيرة الحلبية ٣ / ٣٩٠.

(٣) هذا الخبر والذي سبقه تجده في عشرات المصادر، وبألفاظ متقاربة نذكر بعضها: تأريخ الطبري
٢ / ٤٤٢، تأريخ يعقوبي ٢ / ١١٤، البداية والنهاية ٥ / ٢٤٢، تأريخ أبي الفداء ١ / ١٦٤،
تأريخ الخميس ٢ / ١٨٥، مسند أحمد ٦ / ٢١٩، نهاية الإرب ١٨ / ٣٨٥، أنساب الأشراف
٥٦٥ / ١.

لماذا سقيفة بني ساعدة؟..... ٢٠٩.

وهل علم ابن الخطاب أن الميقات للنبي محمد (ﷺ) هو أربعون يوماً...؟

وهل كفر عمر عن قسمه الكاذب...، أم أنه قد استعمل التورية في كلامه...؟

وإذا كان النبي سيرجع ويقطع أيدي رجال وأرجلهم فعلام يتبرع ابن الخطاب في قتل أولئك؟ وهل تبقى باقية من أولئك - المنافقين على حدّ زعم عمر - الذين قالوا بوفاة النبي إلى زمان رجوعه حتّى يقطع أرجلهم وأيديهم...؟ ما هذا التهور... وما هذه العصبية...؟ يبدو أنها فوضى، وقد سادت الجاهلية من جديد وأصبحت الشريعة الحاكمة هي شريعة الغاب...! وذلك واضح جداً؛ لتأمين مصالح سياسية قد اتفق عليها القوم قبل رحيل النبي (ﷺ) عنهم.

وابن أبي الحديد أشار إلى ذلك فقال: إن عمر لما علم أن رسول الله قد مات خاف من وقوع فتنة في الإمامة وتغلب أقوام عليها: إما من الأنصار أو غيرهم، وخاف أيضاً من حدوث ردّة ورجوع عن الإسلام... ثم قال: فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ما أظهر من كون الرسول (ﷺ) لم يمت، وأوقع تلك الشبهة في قلوبهم...^(١).

لماذا سقيفة بني ساعدة؟

اتّضح ممّا سبق أن عمر بن الخطاب كان يماطل المسلمين ويتهدّدهم بالقتل ويحملهم على حياة النبي...، و...، كلّ ذلك يُريد أن يصل أبوبكر حتّى تكتمل إرادة الجميع، ويبدأ تنفيذ ما بيّتوه في الأمس.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ١٢٩ ط بيروت.

٢١٠.....الحسين من خلال القرآن

هذا الموقف قد انكشف للأنصار؛ لذا بادروا إلى حسم الموقف قبل مجيء أبي بكر وعمر إليهم، ثم جمع غفير من الأنصار كان إلى جنب علي بن أبي طالب (عليه السلام) ممن رفضوا مبايعة أبي بكر.

قال ابن جرير الطبري: (وكان عمر يقول: لم يمت، وكان يتوعد الناس بالقتل في ذلك، فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عباد، فبلغ ذلك أبابكر، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منا أمير ومنكم أمير.

فقال أبو بكر منا الأمراء ومنكم الوزراء) (١).

أنظر إلى موقف أبي بكر، حيث أدرك أن القوم يطلبون الرئاسة، ولا مفر من ذلك، مما جعل الإمارة له والوزارة لسعد وقومه، غير أن عمر بن الخطاب تدارك الموقف لحسم النزاع بالمرّة في صالح رفيقه وصاحبه، فقال لأبي بكر: مدّ يدك لأبايعك، فمدّ يده فبايعه، وتابعه أبو عبيدة الجراح وبعض الناس.

أما الأنصار فامتنعت، وادّخرت الأمر إلى علي بن أبي طالب.

قال الطبري: (...فقام عمر فقال: أيكم تطيب نفسه أن يخلف قَدَمين قَدَمهما النبي (ﷺ) ؟ فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار، أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ علياً) (٢).

إذاً بيعة أبي بكر لم تحصل إلا من عمر وأبي عبيدة بن الجراح، وبعض الناس....!

أما سعد بن عباد فلم يبايع...! (٣)

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٣.

(٢) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٣.

(٣) مات في خلافة عمر بن الخطاب ولم يبايع أبابكر ولا عمر، حتّى مات وهو ساخط عليهما. انظر الإمامة والسياسة / ص ١٧.

لماذا سقيفة بني ساعدة؟..... ٢١١

وأما الأنصار فلم يبايعوا...!
ثم بنو هاشم كذلك لم يبايعوا...!
ثم كبار الصحابة كذلك لم يبايعوا، ومنهم أبوذرّ وعمّار والمقداد وسلمان
الفارسيّ و...

ثمّ العباس وطلحة والزبير كذلك لم يبايعوا!
ثمّ عليّ بن أبي طالب كذلك لم يبايع!
ثمّ بقيّة المسلمين من المهاجرين كذلك لم يبايعوا، والبعض منهم كان مع
عليّ بن أبي طالب في تجهيز الرسول وتغسيله...^(١)
وعليه، فإنّ كبار الأمة كانت في شغلٍ شاغلٍ عن موت الرسول وتغسيله
وتجهيزه؛ لأنّ الكلّ كان يطمع في الخلافة إلّا بني هاشم الذين تولّوا شأن
الرسول في تجهيزه وتكفينه، بل إنّ البعض كان لا يدري حتى دُفن
النبيّ (ﷺ) ...!

عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله (ﷺ) حتّى سمعنا صوت
المسّاحي من جوف الليل، ليلة الأربعاء^(٢).
فجميع كان يُمنّي نفسه بالخلافة...
والجميع - في بادئ الأمر - امتنع عن بيعة أبي بكر إلّا عصابةً منهم...
والحجر الذي يقف أمام عمر وأبي بكر هم الأنصار قاطبة...
أقول قاطبة؛ وذلك بإعترافٍ من عمر بن الخطّاب، كما في تاريخ الطبريّ:

(١) عن عبدالله بن عباس قال: إنّ عليّ بن أبي طالب والعبّاس بن عبد المطلب والفضل بن عبّاس
وقثم بن العبّاس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ هم الذين ولّوا غسله، وإنّ أوس بن
خوليّ أحد بني عوف ابن الخزرج قال لعليّ بن أبي طالب أنشدك الله يا عليّ وحظنا من رسول
الله، وكان أوس من بدر وقال أدخل فدخل...

(٢) مسند أحمد ٦ / ٢٧٤، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٤٤، تاريخ ابن كثير ٥ / ٢٧٠، وتاريخ الطبريّ
٢ / ٤٥٢ و ٤٥٥، طبقات ابن سعد ٢ / ٨٢٤ ط ليدن. القسم الثاني ص ٧٨.

٢١٢.....الحسين من خلال القرآن

قال عمر: (...وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيّه (ﷺ) أن علياً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة، وتخلّف عنا الأنصار بأسرها...) (١).
ولا عجب عندما تسمع أن أبا بكر وعمر لشدة تكالبهما على الخلافة
أنهما تركا رسول الله (ﷺ) ولم يشهدا دفنه (٢).

البيعة لأبي بكر تؤخذ بالسيف

دخل عمر بن الخطّاب حلبة الصراع، وأخذ يجول بين أطراف القوم والجهات التي اشرأبت أعناقها للسلطة وأول شخصيّة تصدر لمجابهة عمر هو الحُبّاب بن المنذر بن الجموح، حيث أدلى برأيه وقال: منّا أمير ومنهم أمير، آنذاك قال عمر:

هيهات، لا تجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم ووليّ أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مُدليّ بباطلٍ أو مُتجانفٍ لإثمٍ أو متورّطٍ في هلكة... (٣).
هذا أول تهديد...أو متورّطٍ في هلكة.

هذا التهديد ردّه الحُبّاب بن المنذر، فقال: (يا معشر الأنصار، أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: انظر كنز العمال ٣ / ١٤٠.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٧.

البيعة لأبي بكر تؤخذ بالسيف..... ٢١٣

والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيا فكم، وإن لهذا الدين من دان ممّن لم يكن يدين أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ، وعُذَيْقُهَا الْمَرْجَّبُ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جَذَعَةً^(١).

أتّضح لعمر: أنّ الموقف من الأنصار - والذي يمثله الحُبَاب - شديد وربما ينفجر بالاشتباك الصارخ، ومع هذا الاعتقاد أجاب عمر فقال: إذا يقتلك الله...! قال الحُبَاب: بل إياك يقتل...^(٢).

عرفت التهديد الأول من قبل عمر وكان لعامة الأنصار.

والتهديد الثاني كان للحُبَاب بن المنذر.

وأما التهديد الثالث من عمر فكان لسعد بن عباد...

قال عبدالله بن عبدالرحمان: فأقبل الناس من كلّ جانب يبائعون أبابكر، وكادوا يطأون سعد بن عباد، فقال ناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطؤوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله. ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك، فأخذ سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصتّ منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة، فقال أبوبكر: مهلاً يا عمر، الرفق هاهنا أبلغ، فأعرض عنه عمر...^(٣).

هذا التهديد أوجع قلب أبي بكر ممّا عاتب عليه، فقال لعمر: الرّفق هاهنا أبلغ...؛ لأنّ الأمر أخذ بالقوّة، والناس اتّقت الفتنة، وأما الهمج الرعاع فاتّجهوا نحو أبي بكر. إذاً لا داعي لهذا التهديد الجديد وفي سقيفة بني ساعدة...!

التهديد الرابع: هذا التهديد استعمله عمر لبعض المهاجرين،

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٨، البيان والتبيين ٣ / ١٨١، الإمامة والسياسة ٩، مسند أحمد ١ / ٥٦، السيرة الحلبية ٣ / ٣٨٧، شرح النهج ١ / ١٢٨ و ٢ / ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٥٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٩، ومسند أحمد ١ / ٥٦، العقد الفريد ٢ / ٢٤٩، سيرة ابن هشام

٢١٤.....الحسين من خلال القرآن

وبالخصوص للزبير...

عن مغيرة، عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرمنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مُضِلِّتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه^(١).

وفي رواية أخرى: أنهم أخذوا سيفه فضربوا به الجدار.

ورواية ثالثة: أنهم ضربوا به صخرة.

وكيفما كان أرادوا إبطال سيفه عن الضرب حتّى لا ينهض بوجوههم، ولا يقوى على مجابتهم، وقد حصل لهم ذلك.

التهديد الخامس: استعمله عمر لإجبار عليّ بن أبي طالب، ولم يبقَ من وجوه المهاجرين والأنصار إلّا بني هاشم، وعلى رأسهم الإمام عليّ (عليه السلام).

وإليك تفاصيل الحادث برواية ابن قتيبة، قال:

«وإنّ أبا بكر (رضي الله عنه) تفقّد قوماً تخلفوا عن بيعته عند عليّ (كرم الله وجهه)، فبعث إليه معمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقبل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً، فإنّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة (رضي الله عنها) على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضرٍ منكم، تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقّاً. فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي عليّاً، قال: فذهب

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣، الامامة والسياسة ص ١١، الرياض النضرة ١ / ١٦٧، شرح النهج

البيعة لأبي بكر تؤخذ بالسيف..... ٢١٥

إلى عليّ فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال عليّ: لسريع ما كذبتهم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر (رضي الله عنه) لقفذ: عُذ إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدّى ما أمر به، فرفع عليّ صوته فقال: سبحان الله! لقد ادّعى ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثمّ قام عمر، فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبّادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليّاً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: إذاً تقتلون عبدالله وأخا رسوله، قال عمر: أمّا عبدالله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق عليّ بقبر رسول الله (ﷺ) يصيح ويبكي، وينادي: يا ابن أمّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، فقال عمر لأبي بكر، (رضي الله عنهما): انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلمّا عليها، فلم تردّ عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله، إلا أنّي سمعت أباك رسول الله (ﷺ) يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، فقالت: أرايتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله (ﷺ) تعرفانه وتفعلاه به؟

٢١٦.....الحسين من خلال القرآن

قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أَرْضَى فاطمة فقد أَرْضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم، سمعناه من رسول الله (ﷺ)؛ قالت: فَإِنِّي أَشْهَدُ الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أَرْضَيْتُماني، ولئن لقيت النبي لأشكوكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة؛ ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتَّى كادت نفسه أن تزهد، وهي تقول: والله لأدعوك الله عليك في كل صلاة أصليها، ثم خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي. قالوا: يا خليفة رسول الله، إنَّ هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنَّه إن كان هذا لم يقيم الله دين، فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة، بعدما سمعت ورأيت من فاطمة. قال: فلم يبايع عليّ (كرَّم الله وجهه) حتَّى ماتت فاطمة (رضي الله عنهما)، ولم تمكث بعد أبيها إلاَّ خمساً وسبعين ليلة^(١).

هكذا تمَّ الأمر لأبي بكر، وكان بطل المسرح عمر بن الخطاب، الذي استخدم سيفه وسيلةً لأخذ البيعة من المسلمين، فمرةً يهدد بالسيف، وثانيةً ينذر الأنصار والحُباب بن المنذر بالهلاك، وثالثةً يأمر بقتل سعد بن عبادة، ورابعةً يضع الحطب على باب فاطمة بنت الرسول ليحرقها ومن فيها، وخامسةً يهدد الإمام علي بالقتل إن لم يبايع...

فلا نجد موقفاً من مواقف ابن الخطاب يُوافق الشريعة الغراء؛ فجميع

(١) الإمامة والسياسة ١٩ - ٢٠، والعقد الفريد ٢ / ٢٥٠، ومروج الذهب ١ / ٤١٤، وتأريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٥، وشرح ابن أبي الحديد ١ / ١٣٤ و ٢ / ١٩، وتأريخ ابن شحنة في هامش الكامل ٧ / ١٦٤.

البيعة لأبي بكر تؤخذ بالسيف..... ٢١٧.

مواقفه خلاف القرآن والسنة. وقد عرفت فيما ذكرناه من نصوص: كيف تحرّك عمر لحسم النزاع بين المهاجرين والأنصار. فبورك من خليفة يضع السيف على عاتقه والحطب إلى جنبه ليأخذ البيعة لغيره، ومن ثمّ لنفسه بأسلوب همجيّ قلّ نظيره في تاريخ الأديان، مما أعقب هذا الأسلوب الفجائع والويلات، ولا زالت الأمة الإسلامية مثقلة بالفجائع إلى يومنا هذا؛ بسبب انحراف رجالها المتنفّذين...، وعدم لياقتهم للسلطة... ممّا قاله أبو بكر بعدما استتبّ له الأمر:

(...ولقد قلّدت امرأة عظيماً، مالي به طاقة ولا يد، ولوددت أنّي وجدت أقوى الناس عليه مكاني، فأطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيتُ فلا طاعة لي عليكم، ثمّ بكى، وقال: اعلّموا أيّها الناس، إنّني لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيركم، ولوددت أنّ بعضكم كفانيه، ولئن أخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي، وما أنا إلّا كأحدكم، فإذا رأيتموني قد استقمّت فاتّبِعوني، وإن زغت فقوموني، واعلموا: أنّ لي شيطاناً يعتريني أحياناً، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم...) (١).

هذا هو الواقع، والتاريخ هو الشاهد، فما عسى أن نقول...
إنّها حلقة من سلسلة طويلة ابتدأت ببيعة أبي بكر، والذي قال عنها عمر ابن الخطّاب:

(...فلا يغرّر امرء أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك، غير أنّ الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطّع إليه الأعناق مثل أبي بكر...) (٢).
خليفة يصرّح بأنّ له شيطاناً يعتريه، فإذا غضب فعليهم أن يجتنبوه، وإذا...

(١) الإمامة والسياسة / ص ٢٢، طبقات ابن سعد ٣ / ١٥١، كنز العمال ٣ / ١٢٦، وشرح النهج

٣ / ٨ و ٤ / ١٦٧، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٦، وشرح النهج ١ / ١٢٣، والصواعق المحرقة / ص ٢١، والتمهيد

للباقلاني / ص ١٩٦.

٢١٨.....الحسين من خلال القرآن

ثم يأتي الخليفة الثاني فيقول: إنَّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها...

إذاً علام ذاك التهديد أيها المنصفون؟ فهل يبقى لمقياس الصحبة أثر... وهل لا زلتم تقولون بعدالة كلّ الصحابة...! إنها مكابرة وضلال...

بيعة عمر بن الخطاب

إنَّ كلّ الولايات التي أصابت الأمة الإسلامية، وجرّعتها مرارة الحياة وغصصها كان سببها النزاع الدائر بين شيوخ المهاجرين والأنصار، والذي مهّد السبيل لغصب الخلافة، وأمات كبرياء العرب، وأطاح بهيبة قريش، وأذلّ كبار المؤمنين من الصحابة إنّما هو موقف عمر بن الخطاب من وفاة النبي (ﷺ) وتهديده للمسلمين، وإكراه الناس على مبايعة أبي بكر.

أمّا حلبة الصراع - فكما تقدّم - كانت في سقيفة بني ساعدة ثمّ توالى الأحداث بسرعة فائقة؛ ولم ينفذ القوم عن اجتماعهم ذلك إلاّ وسيف الإكراه فوق رؤوسهم يلاحقهم حتّى بايعوا. كما أنّ حمل الحطب وإضرار النار في باب فاطمة^(١) كان أشدّ المواقف خزيّاً وأجرأها، وهي وصمة عارٍ في جبين التاريخ، ومن أبرز العورات في مسيرة أبي بكر وعمر...

عن عبدالرحمان بن عوف، عن أبيه أنّه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه، فأصابه مهتماً فقال له عبدالرحمان: أصبحت والحمد لله بارئاً، فقال أبوبكر أترأه؟

قال: نعم، قال: إنّي وليت أمركم خيركم في نفسي، فكلّكم وريم أنفّه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت... ثم قال أبوبكر:

(١) أنظر: أعلام النساء ٣ / ١٢٠٧، والعقد الفريد ٢ / ٢٥٠، وتأريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦.

بيعة عمر بن الخطاب..... ٢١٩.

أَجَلْ، إِنِّي لَا آسَى عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ فَعَلْتُهُنَّ، وَدَدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهُنَّ، وَثَلَاثَ تَرَكْتُهُنَّ وَدَدْتُ أَنِّي فَعَلْتُهُنَّ، وَثَلَاثَ وَدَدْتُ أَنِّي سَأَلْتُ عَنْهُنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ). فَأَمَّا الثَّلَاثُ اللَّاتِي وَدَدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهُنَّ: فَوَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكْشِفْ بَيْتَ فَاطِمَةَ عَنْ شَيْءٍ...^(١).

لَقَدْ نَدِمَ بَنُ أَبِي قُحَافَةَ لَمَّا أَمَرَهُمْ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوا الْحَطَبَ وَيُضْرَمُوا النَّارَ عَلَى الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةَ وَبَعْلِهَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ...
إِنَّهَا الدُّنْيَا...، الرِّئَاسَةُ...، الْمُلْكُ الْعِضُوضُ...
لَقَدْ نَدِمَ، وَلَاتِ سَاعَةَ مَنْدَمٍ...

بِضْعَةِ الْمَصْطَفَى، إِنَّهَا رُوحُ النَّبِيِّ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، يَغْضِبُ لَغَضْبِهَا، وَيَفْرَحُ لِفَرَحِهَا، وَمَعَ كُلِّ الَّذِي جَرَى، وَاعْتِرَافَ أَبِي بَكْرٍ بِمَا جَنَّتْهُ يَدَاهُ فَتَأْتِي مُؤَامِرَةً أُخْرَى حِينَ وَفَاتِهِ فَيَقْدِمُ عَلَى تَنْصِيبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دُونَ مَشُورَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ.

عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي السَّفَرِ قَالَ: أَشْرَفَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّاسِ مِنْ كُنَيْفِهِ وَأَسْمَاءُ ابْنَةِ عَمِيسٍ مَمْسِكَتِهِ مَوْشُومَةُ الْيَدَيْنِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَتَرْضَوْنَ بِمَنْ أَسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ؟ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَلُوتُ مِنْ جَهْدِ الرَّأْيِ وَلَا وَلَّيْتُ ذَا قَرَابَةٍ، وَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، فَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا^(٢).

مَا هُوَ الْمَقْيَاسُ الشَّرْعِيُّ الَّذِي اعْتَمَدَهُ أَبُو بَكْرٍ فِي تَعْيِينِ عُمَرَ وَاسْتَخْلَافِهِ...؟!

أَلَمْ يَقُلْ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا وَإِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي، فَإِذَا أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي...؟!

(١) تَأْرِيخُ الطَّبْرِيِّ ٢ / ٦١٩، وَأَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْأُمُودِ ص ١٣١، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٢ / ٢٥٤،

وَمَرْجُ الذَّهَبِ ١ / ٤١٤.

(٢) تَأْرِيخُ الطَّبْرِيِّ ٢ / ٦١٨.

٢٢٠.....الحسين من خلال القرآن

ألم يقل أبوبكر: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء...^(١).
وددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي، وأنني كنت قتلته سريحا أو
خليته نجيا.

وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد
الرجلين، يريد عمر وأبا عبيدة، فكان أحدهما أميرا وكنت وزيرا...
ألم يكن هو صاحبه ممن نزلت فيهما وفي تسعة آخرين آية تحريم
الخمير، حيث شربها القوم إلى سنة ثمان للهجرة، وهي عام فتح مكة، وقد
شربوها في الجاهلية، وآخر شراب لهم في الإسلام كان عام ثمان للهجرة في دار
أبي طلحة زيد بن سهل، وكان ساقهم أنس بن مالك، كما في صحيح البخاري،
كتاب التفسير آية الخمر في سورة المائدة.

كما أورد الخبر مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر.
والسيوطي في تفسيره «الدر المنثور»، أخرجه عن عبد بن حميد، وابن
المنذر، وابن مردويه عن أنس ٢ / ٣٢١، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧ / ٢٤،
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣ / ١٨١ و٢٢٧، وأخرجه البيهقي في سننه
٢٨٦ / ٨ و٢٩٠.

لقد ذكر ابن حجر في فتح الباري^(٢) عشرة أشخاص ممن كانوا في بيت
أبي طلحة زيد بن سهل وهم:

- ١ - أبوبكر ابن أبي قحافة، وكان عمره آنذاك ٥٨ سنة.
- ٢ - عمر بن الخطاب، وكان عمره آنذاك ٤٥ سنة.
- ٣ - أبو عبيدة بن الجراح، وكان عمره ٤٨ سنة.
- ٤ - أبو طلحة زيد بن سهل، صاحب الدار ونادي الشراب وكان له من

(١) الإمامة والسياسة / ص ٢٤.

(٢) فتح الباري ١٠ / ٣٧ وما بعدها ط بيروت، دار المعرفة.

بيعة عمر بن الخطاب..... ٢٢١

العمر ٤٤ سنة.

٥ - سهيل بن بيضاء، توفي عام ٩ للهجرة، وهو طاعن في السن.

٦ - أبي بن كعب.

٧ - أبو دجاجة، سماك بن خراشة.

٨ - أبو أيوب الأنصاري.

٩ - أبوبكر بن شغوب.

١٠ - أنس بن مالك، حيث قال - كما في سنن البيهقي -: إني لقائم أسقيهم وأنا أصغر القوم^(١).

١١ - معاذ بن جبل^(٢)، وكان له من العمر ٢٣ سنة، وتوفي في خلافة عمر سنة (١٨ هـ).

هل يصلح أحد هؤلاء القوم للخلافة وبين ظهрани المسلمين والصحابة من لم يعرفها الخمر، ولم يشربها طيلة عمره...؟

هل يصلح أحد هؤلاء ومن بين المسلمين من هو أعلم منهم، ومن هو بالزهد والورع والتقوى والإيمان أشهر من أن يُذكر؟ فأول من آمن بالله وبالرسول وأسلم وجهه للدين الحنيف هو علي بن أبي طالب، وقد أجمعت المصادر على أنه لم يسجد لصنم ولم يشرك بالله طرفة عين...!

إذا لم أقصوه عن الخلافة؟ ولم تركوا النبي مسجّي في بيته وبعد لم يباشر بتجهيزه ومن حوله بنو هاشم في عزاءٍ وثكل...؟

ولم حملوا الحطب إلى دار فاطمة ليحرقوه على من فيه من أهل البيت؟ عشرات الأسئلة تختلج في الصدر، وإن قلوب المؤمنين لتعصر ألماً

(١) سنن البيهقي ٨ / ٢٩.

(٢) مجمع الزوائد ٥ / ٥٢، تفسير الطبري ٧ / ٢٤، شرح النووي على هامش إرشاد الساري

للقسطلاني ٨ / ٢٣٢.

٢٢٢.....الحسين من خلال القرآن

وحزننا لما قام به الشيخان، حيث أوقعوا الأمة في صراع دموي إلى يومنا هذا...! لقد عرفت فيما سبق أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، وقد حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة^(١).

وهو الذي قال في يوم السقيفة: من بايع أميراً عن غير مشورة فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تغرة أيقن^(٢).

وهو الذي قال لابن عباس: يا ابن عباس ما أظنُّ صاحبك إلا مظلوماً! وقد أجابه ابن عباس: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر^(٣).

وهو القائل لابن عباس: لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر^(٤).

وهو القائل: إنا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها!

فردّ عليه ابن عباس إذ قال لعمر: كان رسول الله (ﷺ) يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفستصغره أنت وصاحبك^(٥).

وهو القائل - لما طعن - : إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم يعني: علياً، فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدّم علياً؟ قال: أكره أن أحملها حياً وميتاً^(٦).

(١) شرح النهج ١ / ١٢٣، والتمهيد للباقلائي / ص ١٩٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٥٦، وصحيح البخاري ١٠ / ٤٤ باب رجم الحبلى من الزنا، وأنساب البلاذري ٥ / ١٥.

(٣) شرح النهج ٢ / ١٨.

(٤) شرح النهج ١ / ١٣٤.

(٥) كنز العمال ٦ / ٣٩١.

(٦) أنساب البلاذري ٥ / ١٦، الاستيعاب ٢ / ٤١٩.

بيعة عمر بن الخطاب..... ٢٢٣

لو تجاوزنا هذه الأقاويل فماذا نصادف في استخلاف أبي بكر؟ فإن لدينا روايات صحيحة:

منها: كما في تاريخ الطبري بإسناده عن اسماعيل، عن قيس قال: رأيت عمر بن الخطاب وهو يجلس والناس معه ويده جريدة وهو يقول: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله (ﷺ)، إنه يقول: إني لم ألكم نصحاً. قال ومعه مولئ لأبي بكر يقال له: شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر^(١).

لا نعرف متى كتبت الصحيفة؟

ومتى استخلف الأول الثاني؟

ومن هم الشهود على هذا الاستخلاف؟

وربما يكون الأمر مدبر من الثاني، كما عرفت حيالبيعة أبي بكر...! وعن الواقدي بسنده قال: دعا أبو بكر عثمان خالياً، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة إلى المسلمين: أما بعد... قال: ثم أغمي عليه فذهب عنه...

فكتب عثمان: أما بعد، فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ولم ألكم خيراً منه.

ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه، فكبر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي! قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرها أبو بكر...^(٢).

هذه مجملبيعة الخليفة الثاني، ولا يعذر أحد فيها؛ لأن الرواية الأخيرة -الأنفة الذكر- إنما اختاره عثمان، ولما كتب الكتاب افاق أبو بكر، فلم يجد بداً من تغيير ما كتبه عثمان فأقره كما هو حتى ينجو من المشكلة...

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٦١٨.

(٢) تاريخ ابن جرير ٢ / ٦١٩.

٢٢٤.....الحسين من خلال القرآن

وكيفما كان، فلم تكن البيعة وفق المقاييس الشرعية، وقبل صفحة قد أثبتنا جملة من أقوال عمر في شأن الخلافة والمشورة فيها...! فكيف يرضى بصنع عثمان وإقرار أبي بكر دون أن يشاوروا المسلمين فيها؟

يجيب على ذلك الامام علي (عليه السلام) يوم حملوه على مبايعة الأول، والآن تضرب عنقه، وهو يقول لهم: إذا تقتلون عبدالله وأخا رسوله...! وهو القائل لهم: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي...!

فقال له عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع، فقال له علي: احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً...^(١).

والى هذا وذاك أشار (عليه السلام) في خطبته الشيقشية، فقال:

أما والله لقد تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرثني بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعد...فيا عجباً يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدة ما تشطر ضرعيها، فصيرها في حوزة خساء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن اشفق لها خرم، وإن أسلس لها تفحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض

(١) أي: افعَلْ فعلاً يكون لك منه نصيب، فأنت تباعه اليوم وغداً يحولها لك، فبنصرتك اليوم له يرددها إليك غداً مضمونة.

بوادر الشورى والبيعة لعثمان..... ٢٢٥

فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة، حتى إذا مضى الثاني لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيا لله وللشورى...!!^(١).

تنبئك هذه الخطبة عن خلاصة الأحداث وسير الخلافة، والأسلوب الذي اتبعه القوم، فيتقمصها الأول بالقوة والقهر والغلبة ويدلي بها إلى الثاني فيستخلفه رغم أنف المسلمين، ويصيرها الثاني شورى في ستة منهم علي بن أبي طالب...

وعليه، يشكو الإمام علي من هذا التصرف ويستاء منه، فيقول: متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر...؟

بوادر الشورى والبيعة لعثمان

أدرك الخليفة الثاني أن بيعة أبي بكر لم تنل رضا المسلمين، ولم يجتمعوا إليه إلا بالقهر والغلبة، وقد بان التحزب، وظهرت الاضغان، وكادت الجاهلية تحل بين القوم.

ثم إن استخلاف أبي بكر لعمر كان واضحاً في أذهان المسلمين. إنها المغامرة الثانية التي أثارت حفيظة المسلمين، وبالخصوص بلاد الشام^(٢)، إذ هم مسبقاً كانوا على اطلاع من غلظة الخليفة وقسوته وخشونته مع المسلمين؛ لا شيء وإنما هكذا كان فظاً غليظاً...

ومهما يكن من أمر فإن الخليفة الثاني لم يرغب في أن يصرح بالذي يضمرة في قلبه، وهو محاباته لعثمان بن عفان الذي له أيادٍ بيضاء في صنع المعروف، حيث ذكرنا آنفاً كيف تمت وصية أبي بكر، وكيف أدلى عثمان برأيه

(١) نهج البلاغة / الخطبة الشقشقية.

(٢) الإمامة والسياسة / ص ٢٥.

٢٢٦.....الحسين من خلال القرآن

في الخلافة، وباقتراح منه دون أن يُملِي عليه الأول...، إنه معروف وجميل كبير لا بد أن يُشكر عليه، فهل ترى يغفل الثاني ترك الحبل على الغارب دون أن يجعل لعثمان فيه نصيباً؟!

ومع ذلك فهو أمر دبر في ليل، فاتفقوا أن يجعلوها - أي: الخلافة - شورى حتى يُغيب الأمر على الناس، ويظهر الخليفة أمامهم بوجهٍ مرضيٍّ جميل. علماً بأن في بادئ ذي بدءٍ أظهر الخليفة تردده في الاستخلاف، ممّا استكشف ابن عمر أن أباه غير مستخلف.

روى البيهقي وابن كثير وأحمد بن حنبل: أن عمر لما طعن قيل له: لو استخلفت؟ فقال: أتحمّل أمركم حيّاً وميتاً؟

إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر. وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله (ﷺ)، قال عبد الله: فعلمت أنه غير مستخلف (١).

وفي موقفٍ آخر يتمنى عمر بن الخطاب لو أن أبا عبيدة بن الجراح كان حيّاً حتى يقلّده الخلافة، بل أكثر من هذا تمنى سالماً مولى أبي حذيفة حيّاً حتى يستخلفه...، هكذا وصل به أن يقلّد الخلافة العبيد وحفاري القبور في المدينة، متنكراً لكبار الصحابة: كالمقداد وعمّار وسلمان وأبي ذرّ والعبّاس ومعاذ وأبي أيوب وعليّ بن أبي طالب الذي يُعدّ على رأس هؤلاء الصحابة!...

نقل ابن جرير بسنده عن عمرو بن ميمون الأودي: أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت؟ قال: من استخلف؟ لو كان أبو عبيدة ابن الجراح حيّاً استخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديد الحبّ لله.

(١) سنن البيهقي ٨ / ١٤٨، وتاريخ ابن كثير ٥ / ٥٠، ومسند أحمد ١ / ٤٣ و ٤٦، كما أخرجه البخاري ومسلم.

بوادر الشورى والبيعة لعثمان..... ٢٢٧.

فقال له رجل: أدلك عليه: عبدالله بن عمر.

فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا أرب لنا في أموركم ما حمدتها، فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فشرّ عنا إلى عمر، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد. أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إنّي لسعيد وأنظر، فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منّي، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي، ولن يضيع الله دينه.

فخرجوا، ثم راحوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو عهدت عهداً؟ فقال: قد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن انظر فأولي رجلاً أمركم هو أحراركم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى علي - ورهقتي غشية، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطع كل غصّة ويأمنه فيضمه إليه ويصيره تحته، فعلمت أن الله غالب أمره، ومتوفى عمر، فما أريد أن اتحملها حياً وميتاً، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله (ﷺ): إنهم من أهل الجنة: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم، ولست مدخله، ولكن الستة: علي وعثمان ابنا عبد مناف، وعبدالرحمن، وسعد خالا رسول الله (ﷺ)، والزبير بن العوام حوارى رسول الله (ﷺ) وابن عمته، وطلحة الخير بن عبيدالله...الخبر^(١).

أقول: عجباً لعمر بن الخطاب أن يتمنى حياة حفار القبور أبي عبيدة ابن الجراح ليقلده الخلافة، لأنه سمع فيه حديثاً واحداً من الرسول (ﷺ)، بل أعجب من ذلك أنه يتمنى حياة سالم مولى أبي حذيفة ليقلده الخلافة، لأنه سمع فيه - أيضاً - حديثاً واحداً من الرسول (ﷺ).

عجباً للخليفة أن يتمنى وجود هؤلاء أحياء لأنه سمع فيهما حديثاً واحداً،

(١) تأريخ الطبري ٣ / ٢٩٢، العقد الفريد ٢ / ٢٥٦.

٢٢٨.....الحسين من خلال القرآن

وقد سمع في علي بن أبي طالب عشرات، بل مئات الأحاديث قد خصّها الرسول به، وكلّها تنصّ على فضائل الإمام ومنزلته عند الله.

ألم تكن تلك الأحاديث الصادرة من الرسول (ﷺ) كافيةً كي تؤهّل الإمام للخلافة؟ فعلاً يَتمنى عمر حياة أمثال سالم وأبي عبيدة الجراح؟

فهل غاب عن ذهن عمر منزلة علي بن أبي طالب وقربه من الرسول..؟ أم أنّه لم يسمع تلك الأحاديث من صاحب الرسالة...؟ أم ماذا...؟

الشورى التي حصرها الخليفة الثاني في ستّة هم:

١ - علي بن أبي طالب، ابن عمّ الرسول وأخوه وصهره على ابنته فاطمة (عليها السلام)، ويمثّل ثقل بني هاشم.

٢ - عثمان بن عفان، ويمثّل بني أميّة.

٣ - عبدالرحمن بن عوف، وهو صهر عثمان.

٤ - سعد ابن أبي وقاص، وهو ابن عمّ عبدالرحمن.

٥ - الزبير بن العوّام، وهو ابن صفية بنت عبدالمطلب عمّة الرسول (ﷺ).

٦ - طلحة بن عبيدالله، أحد الصحابة.

ولو ألقينا نظرةً فاحصةً إلى هؤلاء فنجدهم في ميولهم السياسيّ يشكّلون

فريقين:

الفريق الأول يضم: عثمان بن عفان، وصهره عبدالرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص الذي هو وعبدالرحمن من فرعٍ واحد. وهؤلاء الثلاثة قد اجتمعت كلمتهم على مبايعة عثمان.

أمّا الفريق الثاني: فتكاد الألفة تنعدم بينهم، بل إنّ ميول طلحة لا غبار عليه فهو إلى عثمان وإن لم يكن حاضراً، لذا جعل الخليفة الثاني غاية التشاور إلى ثلاثة أيام، وكأنّما اطمأنوا في عدم حضور طلحة في الشورى، لذا رجحت

بوادر الشورى والبيعة لعثمان..... ٢٢٩

كفة الفريق الأول بغياب طلحة.

وعليه، فلم يبق من الفريق الثاني إلا عليّ والزبير، فكيفما دارت المشورة فهي من صالح عثمان وجماعته؛ لأنّ عبدالرحمن خلع نفسه وتركها لصاحبيه، وأمّا عثمان فقبلها، ثم تنازل سعد لعثمان لمّا وجد ابن عمّه (عبدالرحمن) قد خلعه من نفسه وأدلى بها لعثمان. فمن الطبيعي أن يتمّ الأمر قهراً لابن عفّان، فلو فارق عليّ والزبير الجماعة مع فرض أنّهما يشكّلان جبهة معارضة - فإنّ الغلبة للثلاثة دون الاثنين. كما أنّ سيف صهيب المسلول مأذون بإطاحة رؤوس المعارضة بإيعاز من عمر بن الخطاب...!

وقد تنبأ الخليفة الثاني للنتيجة الحتمية، إن لم نقل إنّ الأمر دبر ليلاً...! ثمّ إنّ تقويمه للسنة يكشف عن خيوط المؤامرة... قال: وما أظنّ أن يلي إلاّ أحد هذين الرجلين؛ عليّ أو عثمان. فإنّ وليّ عثمان فرجل فيه لين. وإن وليّ عليّ ففيه دعاية^(١) وأحرى به أن يحملهم على طريق الحقّ. وإنّ ولّوا سعداً فأهلها هو، وإلا فليستعن به الوالي، فإنّي لم أعزله عن خيانة ولا ضعف^(٢). ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، مدد رشيد، له من الله حافظ فاسمعوا منه^(٣).

وفي رواية البلاذري كما هو عن ابن عباس، وقد أشار إلى طلحة قال: فأين الزهو والنخوة؟ قلت: فالزبير؟

قال: لقيس مؤمن الرضى، كافر الغضب، شحيح، إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لقويّ في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف.

(١) وفي الأنساب للبلاذري ٥ / ١٦: فيه بطالة وفكاهة.

(٢) وفي رواية ابن عباس: أنّه ذاك صاحب مقنت وقتال لا يقوم بقرية لو حُمل أمرها، الأنساب ٥ / ١٦.

(٣) تأريخ الطبري ٣ / ٢٩٤، وفي الأنساب ٥ / ١٦ قال: هو رجل صالح على ضعف.

٢٣٠.....الحسين من خلال القرآن

قلت: فأين أنت عن عثمان؟

قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه^(١).
وعليه - بعد هذا التقويم - فلا بدّ من تنفيذ الأمر. فما هي الأدوار في

الشورى؟ ومن هم أبطالها؟

الشاهد: على مسيرة القوم في المشاورة هو عبدالرحمن بن عمر.

السيّاف: الذي يتولّى قتل من يخالف هو صهيب مولى عمر.

المشورة: تتمّ صورتها النهائية بطرف ثالث، وهو عبدالله بن عمر الذي لا

يحسن طلاق امرأته كما صرّح به والده عمر...

مكان الشورى: دار المسور بن مخرمة، وهو ابن اخت عبدالرحمن بن

عوف.

بطل الموقف في التحرك السياسي والمنسق بين هؤلاء: عبدالرحمن بن

عوف، وهو صهر عثمان.

قرار الشورى يصنعه الخليفة الثاني بحدّ السيف!

قال عمر للمقداد بن الأسود: إذا وضعتوني في حفرتي فاجمع هؤلاء

الرهط في بيت حتّى يختاروا رجلاً منهم.

وقال لصهيب: صلّ بالناس ثلاثة أيّام وأدخل عليّ عثمان والزيبر وسعداً

وعبدالرحمن بن عوف وطلحة إن قدم. وأحضر عبدالله بن عمر، ولا شيء له من

الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحداً فاشدخ

رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف!

وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما.

قرار الشورى يصنعه الخليفة الثاني بحدّ السيف!.....٢٣١

فإن رضي ثلاثة رجالاً منهم وثلاثة رجالاً منهم فحكموا عبدالله بن عمر،
فأيّ الفريقين حكم له فليختاروا رجالاً منهم.

فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن
ابن عوف، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس...^(١).

لم يتأخّر صهيب في تنفيذ قرارات سيّده، كما أنّ عبدالرحمن بن عوف
قام بالمهمّة في أحسن دور. فأول عمل قام به هو خلع نفسه من هذه الخلافة
وأدلى برأيه إلى عثمان، وبعد هذا أخذ يلعب دور السفير بين الأطراف، فاتصل
أولاً بالزبير، ثم بسعد، ثم بعليّ، ثم بعثمان، وأخيراً اتّصل بجمع الأنصار
والمهاجرين وخطب فيهم، وحاول أن يكشف عن رغبات كبار الصحابة،
فاستشارهم، فأشاروا عليه.

فهذا عمّار يصرّح أنّ عليّاً أولى القوم بالخلافة.

ويقوم المقداد ليؤكد ذلك، ثم ينهض ابن أبي سرح فيشير إلى عثمان،
ويقوم عبدالله بن أبي ربيعة ليقف إلى صف ابن أبي سرح...ثم ينفجر الموقف
بتشاجر بين شيوخ بني هاشم وكبار بني أميّة. ويحسم الموقف سعد ابن أبي
وقاص، فيشير إلى عبدالرحمن بقوله أفرغ قبل أن يفتتن الناس.

فما هي إلا دقائق حتّى يرقى ابن عفّان، وسيف صهيب يبرق على رؤوس
الآخرين من أعضاء الشورى، وكادت أن تقع الفتنة لولا أن بايع الإمام، وكانت
بيعته هنا كبيعته للأول^(٢).

هكذا تمّت البيعة لعثمان بسيف عمر بن الخطّاب الذي سلّه مولاه
صهيب على رؤوس الخمسة من أهل الشورى، والمعنيّ في التهديد هو عليّ لا

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٤.

(٢) لم ترد في مصادرنا الخاصة كيفية هذه البيعة، بل اجمعت مصادر الشيعة على أن الامام أمير
المؤمنين عليه السلام بايع لأبي بكر وعمر وعثمان، وما ورد إنما هو من مصادر أهل السنة.

٢٣٢.....الحسين من خلال القرآن

غير...

وهذه هي البيعة الثالثة تؤخذ بالقوة والغلبة، وكما اتضح كسوابقها لم تكن بنص من القرآن ولا من سنة النبي. إذاً هي خلاف الموازين الشرعية...
ثم لا يخفى عليك وأنت جدّ عليم أنّ الموازين الشرعية عندما تغيب عن الساحة السياسة، وتلعب الأهواء والميولات في عقول أهل الحلّ والعقد، وينطق السيف في كل وادٍ ونادٍ فلا عجب أن تخلق تلك الأجواء الموبوءة رجال سوءٍ وساسة لهم في السلطة أطماع ومصالح، والذي حصل أن يتصدّى لإدارة شؤون المسلمين جملةً من الولاة والأمراء الفسقة المنحرفين، الذين عرفوا بظلمهم وجحودهم وفسقهم وتجرّتهم على الله والرسول والمؤمنين.

ونحن لا نريد التعرّض لمساوئ وأفعال الخلفاء والقادة السياسيين والقضاة وجباة الأموال، لكن يكفي أن نذكر سيئة واحدة في المقام وهي تولية معاوية قيادة فلسطين والأردن ثم الشام منذ عهد عمر بن الخطاب سنة (١٣) هجرية إلى وفاة معاوية سنة (٦٠) للهجرة.

وجرائم معاوية كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى، وعلى رأسها:

١ - مواجهته للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وامتناعه من بيعته، وعصيانه في إمارة الشام، ثم إشعاله الفتنة، وحربه للإمام في صفين والخدعة التي استعملها في رفع المصاحف.

٢ - سبّه لأمر المؤمنين على منابر المسلمين في الشام ومصر والحجاز وبقية الأمصار.

٣ - سمّه للإمام الحسن السبط (عليه السلام).

٤ - قتله لحواري رسول الله وأمر المؤمنين، أمثال الصحابي: عمّار بن ياسر، ورشيد الهجري، وميثم التمار، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وصيفي بن غسيل، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وعبدالله بن

قرار الشورى يصنعه الخليفة الثاني بحدّ السيف!..... ٢٣٣

خليفة الطائي، والأرقم بن عبدالله، وشريك بن شدّاد، وكريم بن عفيف، وعاصم ابن عوف، وورقاء بن سمّي، وكدام بن حيّان، وعبدالرحمن بن حسان، ومحرز ابن شهاب، وعبدالله بن حويّة، ومالك الأشتر النخعي، ومحمد ابن أبي بكر وغيرهم.

٥ - بعثه بسر بن أرطاة في جيش إلى المدينة واليمن وأمره بأن يقتل من يوالي عليّاً، ويروّع النساء ويخيفهم، حتّى قتل ابني عبيدالله بن عباس، وهما: عبدالرحمن وقثم، وكانا طفلين صغيرين، فذهلت أمهما لما خبروها بقتلهما حتّى أخذت تطوف بين الناس في الحجيح وهو تقول:

يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما	كالدرّتين تشظّى عنهما الصدفُ
يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما	سمعي وقلبي فقلبي اليوم مردهفُ
يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما	مخّ العظام فمخّي اليوم مختطف
نبئتُ بُسراً وما صدّقت ما زعموا	من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
انحى على ودجي ابنيّ مرهفة	مشحودة وكذلك الإفك يقترف
حتّى لقيت رجلاً من أرومته	شمّ الأنوف لهم في قومهم شرفُ
فالآن ألعن بُسراً حقّ لعنته	هذا لعمر أبي بسرٍ هو السرف
من دلّ والهة حرّى مولهة.	على صبيّين ضلاً إذ غدا السلفُ ^(١)

ومن جرائم معاوية الكبرى أخذه البيعة من المسلمين لابنه يزيد شارب الخمر ورأس الفسق والفجور.

(١) انظر هذه الحادثة في الأغاني لأبي فرج ١٥ / ٤٤، النزاع والتخاصم / ص ١٣، الكامل لابن الأثير ٣ / ١٦٢، تأريخ ابن كثير ٧ / ٣١٩، الاستيعاب ١ / ٦٥، تأريخ ابن عساكر ٣ / ٢٢٠.

كيفية البيعة ليزيد بن معاوية

تظافرت الأخبار من كتب الصحاح والمصادر المعتبرة عند أهل السنة أنَّ بيعة يزيد كانت على رغم أنوف الصحابة والتابعين، والممتنع عنها كان جوابه حدَّ السيف.

قال الخضرى في محاضراته: (...ثمَّ إنَّ معاوية قال لضحَّاك بن قيس الفهريِّ لما اجتمعت الوفود عنده: إني متكلم، فإذا سكَّتُ فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها، فلما جلس معاوية للناس تكلم، فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحقها، وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر. ثمَّ ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض بيعته. فقام الضحَّاك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنَّه لا بدَّ للناس من والٍ بعدك، وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن... ثم تكلم غيره بمثل كلامه^(١).

انظر، أيَّ دهاءٍ قام به معاوية... وأيِّ مكرٍ وخداعٍ خدع به الناس والرعيَّة الذين لا علم لهم بما يدبر من وراء الكواليس. إنَّها مسرحية قامت بأدوار الخيانة والباطل والزور والكذب والبهتان، ولكن كما تعلم أنَّ حبل الكذب قصير...

فقال معاوية للأحنف بن قيس: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسرّه وعلائيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه الله وللأمة رضاً فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنَّما

(١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ٢ / ١١٨ ط ٤.

كيفية البيعة ليزيد بن معاوية ٢٣٥

علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا...^(١).

هذه بعض فصول المؤامرة...

ثم انظر إلى التهديد الذي استعلمه معاوية فيما بعد بحق جملة من الصحابة، وممن عارض بيعة يزيد حتى أقام السيف على رؤوسهم إن رفضوا البيعة بأي شكل من الأشكال.

قال الخضرى: (وكان أولئك نفر الثلاثة - الحسين بن عليّ وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير - قد تركوا المدينة إلى مكة، فخرج معاوية إلى مكة وقضى بها نسكه، ثم جمعهم ثلاثتهم وكانوا قد اتفقوا على أن يكون الذي يخاطبه ابن الزبير، فقال لهم معاوية: قد علمتم سيرتي فيكم ووصلتي لأرحامكم وحملتي ما كان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم وأردت أن تقدّموه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تعزلون وتأمرون وتجبون المال وتقسمونه، لا يعارضكم في شيء من ذلك.

فقال ابن الزبير: نخيرك بين ثلاث خصال.

قال: أعرضهن؟

قال: تصنع كما صنع رسول الله (ﷺ)، قبض ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر.

قال معاوية: ليس فيكم مثل أبي بكر، فإنه عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه.

وإن شئت صنعت كما صنع عمر جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا بني أبيه.

قال معاوية: هل عندكم غير هذا؟

فقالوا: لا.

(١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ٢ / ١١٧ ط ٤.

٢٣٦.....الحسين من خلال القرآن

قال: فأني أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعذر من أنذر إنني كنت أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك فأصفيح، فأني قائم بمقالة: فأقسم بالله لئن رد علي أحد منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها للسيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلا على نفسه، ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين مع كل أحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما. ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله، فبايع الناس وكانوا يتربصون ببيعة هؤلاء النفر...^(١).

وأدهى من ذلك: أن المؤلف الخضري الذي نقل النصّ الآنف الذكر يدعي أنبيعة يزيد كانت بإجماع الأمة وهي في أعناق المسلمين!... وإنهم بايعوا عن إيمان وعقيدة...

أقول: فهل بعد قول معاوية ابن أبي سفيان ومكره وخداعه مكر غيره!! إذن كيف يسود الخضري صفحاته فيقول: إن عامة الناس بايعوا عن إيمان وعقيدة، فأنيبيعة هذه في أعناق المسلمين؟! فهذا عبدالرحمن بن أبي بكر يصرخ بمسمع من الناس بأنها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مكانه^(٢).

وأما عبدالله بن عمر فقد أختفى في بيته كي لا يبايع، وقد وجه يزيد إليهما المال ليستميلهما؛ فقد أرسل إلى عبدالرحمن بن أبي بكر مائة ألف درهم يستعطفه بها، فردّها وقال: لا أبيع ديني بدنياي^(٣).

(١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ٢ / ١١٨ - ١١٩ ط ٤.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٩٩.

(٣) تهذيب الأسماء للنووي ١ / ٢٩٠.

خلاصة ما تقدّم ٢٣٧.

وأما الهاشميون فذاك موقفهم كالشمس ساطعة بنورها ثم موقف سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي من مروان بن الحكم في شأنبيعة يزيد حيث قال سعيد لرسول مروان: يأمرني مروان أن أبايع لقوم ضربتهم بسيفي حتى أسلموا والله ما أسلموا ولكن استسلموا^(١).

بل أنكر بيعة يزيد حتى من كان هواه إلى بني أمية كزياد بن أبيه^(٢) والأحنف بن قيس واضرابهم...

هذا هو النفاق بعينه والذي تسترّ به الخصري، لكن الحقيقة ساطعة لذي عينين، وجرائم معاوية عرفها القاضي والداني، وملأت بطون الكتب، وكيفيه خزيًا عندما لعنه الرسول (ﷺ) عندما نظر إلى أبي سفيان راكبًا ومعاوية يسوق ناقته ويزيد يقودها!...

وهناك روايات عديدة فيها لعن الرسول (ﷺ) معاوية ويزيد خاصة، وبني أمية عامة قد تقدّم ذكر بعضها وسيأتي ذكر طائفة أخرى غيرها.

خلاصة ما تقدّم:

- يرى أهل السنة: أنّ الصحابة كلّهم عدول، وأنهم جميعاً مشتركون في العدالة وإن اختلفوا في درجاتها.

- وإنّ من كفر صحابياً فهو كافر، ومن فسقه فهو فاسق.

- وإنّ من طعن في صحابي فكأنّما طعن على الرسول.

- ويرى جهابذة أهل السنة أنه لا يجوز الخوض فيما جرى بين عليّ

ومعاوية من أحداث ونزاع.

- وإنّ من الصحابة من أجتهد فأصاب، وهو علي (عليه السلام) ومن نحا نحوه.

- وإنّ من الصحابة من أجتهد فأخطأ مثل معاوية وعائشة وأبي بكر.

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩.

٢٣٨.....الحسين من خلال القرآن

- وفي نظرهم ينبغي الإمساك عن التعرّض لمثالب معاوية وبقية الصحابة. ونهوا عن سب معاوية باعتباره صحابياً، وشدّدوا النكير على من سب عائشة باعتبارها أم المؤمنين، ومازاد على ذلك فينبغي تركه وعدم الخوض فيه، وإرجاء أمره إلى الله سبحانه...!

أما الشيعة الإمامية:

فترى الناس جميعاً؛ صحابي كان أم غير صحابي سواء، ولا أفضلية لبعضهم على البعض الآخر إلا بالتقوى وحسن السيرة والإخلاص في العمل وإيثار الغير على النفس. وترى أن الصحبة لا تضي على صاحبها منقبة أو قدسيّة إلا إذا كان الرجل أهلاً؛ لهذه المنقبة ولديه الاستعداد للسير وفق منهج صاحب الرسالة. فالناس منهم المعصومون وهم الأئمة المنصوص عليهم، ومنهم العدول وهم أصحاب الأئمة، ومنهم المجتهد المصيب، ومنهم المجتهد المخطئ، ومنهم الفاسق، ومنهم الزنديق ومنهم المنافق، ومنهم الكافر. فالميزان الذي يقاس عليه الجميع هو ميزان العدالة، والإيمان والتقوى والورع و...

قال الدكتور حامد حفني داود في مقدّمته على كتاب: «الصحابة في نظر الشيعة الإمامية»:

(...وكان من جرّاء هذا أن جهل كثير من المسلمين في العالم الإسلامي حقيقة الشيعة فنسبوا إليهم ما هم براء منه من تقدّيس لعلي، ومن تكفير لشيوخ الصحابة، ومن اعتقادهم في الخزعات التي تتنافى مع العلم. وأقبح من ذلك أن يقع جماعة من الباحثين المحدثين في فهم طوائف الشيعة فلم يفرّق بين الإمامية وهم المعتدلون من الشيعة وبين غيرهم...).

القسم الرابع

نبذة مختصرة عن حياة الإمام الحسين

(عليه السلام)

من ولادته إلى استشهاده

ولد الحسين بن عليّ (عليه السلام) بالمدينة لخمس ليالٍ خلون من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة^(١). ولما ولد جاءت به أمه فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاستبشر به، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وحنّكه بريقه، وسمّاه حسيناً، وعقّ عنه كبشاً، وقال (صلى الله عليه وآله) فيه وفي الحسن: «إنّهما سيّدا شباب أهل الجنة»^(٢).

قال صاحب «أخبار الدول وآثار الأول»: لما ولد الحسين أخبر النبي به، فجاءه وأخذه، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، وجاء جبرئيل (عليه السلام) فأمره أن يسمّيه حسيناً كما جاء في الحسن كذلك^(٣). وهذا ممّا يدلّ على أن تسمية الحسن والحسين كان في السماء قبل الأرض ومن عند الله.

وفي بعض الروايات الأخرى: أنّ الله أمر جبرئيل أن ينزل على الرسول حين مولد الحسن (عليه السلام)، وكذلك حين مولد الحسين ليبلغه سلام ربّه ويهنّئه بالمولود الجديد، وكذلك أن يسمّيه باسم ولد هارون وهما: شُبر وشُبَيْر، وكان الرسول قد أخبر جبرئيل (عليه السلام) بأنّ لسانه عربيّ، فقال: سمّهُ «الحسن»، وعندما ولد له الحسين قال جبرئيل: بمثل مقالته الأولى: سمّهُ شُبَيْر، أي: الحسين^(٤).

(١) كما في الارشاد للشيخ المفيد ١٩٨ وعليه جمع من أصحابنا، وقيل سنة ثلاث وهو قول الواقدي وطائفة معه، ثم قال لم يكن بين الحسن والحسين إلا طهر واحد وعليه ابن عبد البر في الاستيعاب ١ / ١٤٢ ط حيدر آباد.

(٢) انظر ذخائر العقبى ص ١٢٩.

(٣) أخبار الدول وآثار الاول ص ١٧٠ ط بغداد.

(٤) روى ابن المغازلي أصل الحديث في مناقبه ص ٣٧٩ ط ٢، وكذلك رواه البخاري في التاريخ

٢٤٢.....الحسين من خلال القرآن

أما عن إمامته فقد صرح الرسول (ﷺ) في عدة موارد:
 منها: أنه (ﷺ) قال: «ابناني هذان إمامان قاما أو قعدا»^(١).
 وكانت إمامة الحسين (عليه السلام) بعد استشهاد أخيه الحسن (عليه السلام)، وقد
 التزم الصمت والتقية بعد أخيه طيلة حكومة معاوية ابن أبي سفيان، ولمّا مات
 معاوية وتولّى يزيد الأمر آنذاك جهر بالدعوة ودعا لنفسه لإقامة الحقّ وردّ الظلم
 ودفع الحيف الذي أصاب المسلمين في فترة تولّى يزيد الأمور.
 ولمّا تباشر الناس في العراق وبقية الأمصار بموت معاوية^(٢) وجّهوا
 الكتب والرسائل إلى الحسين يطلبون منه القدوم إلى الكوفة؛ كي يقتدوا بإمامته
 ويتفضوا بوجهه يزيد.
 تلك الكتب والرسائل كانت حجةً وداعيةً للحسين أن يشمّر ساعده
 للجهاد ويقاتل الطغاة، فتوجّه بولده وأهل بيته من حرم الله وحرم الرسول من
 الحجاز قاصداً العراق للاستنصار بمن يثق بهم من الشيعة على يزيد ومن
 ساهم من بني أمية.
 ثم أخذت الكتب ورسائل أهل الكوفة تترى عليه، ممّا رأى أن يمهد لهذه
 النهضة، فأرسل سفيره ومن يثق به من أهل بيته، وهو مسلم بن عقيل (عليه السلام).
 أرسله أُمّاه ليأخذ البيعة له من أهل الكوفة، ويجمع العدة والعدد ويُرّتب
 الأمور، ويستوثق البيعة من الناس؛ حتّى يقدم عليهم وكلّ شيء قد وُضع في
 محله. غير أنّ الأمور سرعان ما تغيّرت بدخول عبيد الله بن زياد الكوفة،
 واستعمال الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، ممّا جعل أهل الكوفة يتفرّقون

الكبير ١ / ١٤٧ وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ١٣ / ١٠٢.

(١) المستدرک - للحاكم النيسابوري ٤ / ٢٣٧ ط حيدر آباد، ووافقه صاحب أخبار الدول وآثار

الاول ص ١٠٧، وكذلك الموفق بن أحمد في مقتل الحسين ص ١٤٤ ط الغري.

(٢) المصادف النصف من رجب سنة (٦٠ هـ).

نبذة مختصرة عن حياة الإمام الحسين (عليه السلام) من ولادته إلى إستشهاده..... ٢٤٣

عن مسلم إلى أن نكثوا بيعته وخذلوه، فما كان من مسلم (عليه السلام) إلا أن يسلم نفسه للقدر المحتوم الذي قاده إلى الشهادة التي فاز بها. على أن الحسين ظل يواصل مسيره نحو العراق، حتى نزل نينوى في اليوم الثاني من المحرم لعام إحدى وستين من الهجرة.

والجدير بالذكر أن يزيد بن معاوية كتب إلى الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان - وكان والياً على المدينة من قبل معاوية وثم يزيد - أن يأخذ البيعة له من الحسين وأن لا يتأخر في ذلك.

فأرسل الوليد إلى الحسين ليلاً يستدعيه، فعرف الحسين (عليه السلام) مقصوده، فدعا جماعةً من إخوته وبني عمومته من بني هاشم، وأمرهم أن يتقلدوا سيوفهم، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيب إليه وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت عليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعت صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنوه عني... (١). ثم دخل الحسين (عليه السلام) على الوليد، وكان مروان بن الحكم عنده جالساً، فنعى إليه الوليد معاوية، فاسترجع الحسين (عليه السلام)، ثم أخرج له كتاب يزيد بن معاوية الذي يأمره أن يأخذ البيعة له منه.

فقال الحسين (عليه السلام): إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً حتى أبايعه جهرأ فيعرف ذلك الناس. فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين (عليه السلام): فتصبح وترى رأيك في ذلك. فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس.

من هذه المحاورة يبدو أن الوليد كان يتجنب الفتنة، ويحذر من عواقب الأمور، إلا أن رجال السوء والفتنة لا ينعلمون في كل ظرف، فقام مروان وتكلم مع الوليد بقوله: والله لئن فارقت الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت فيه على

٢٤٤..... الحسين من خلال القرآن

مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، اجلس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين (عليه السلام) عند ذلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء^(١) تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت. ثم خرج الحسين وبنو هاشم يحقون به عزيزاً مكرماً، حتى استطاع أن يخرج من المدينة - ليلتين بقيتا من شهر رجب - متجهاً نحو مكة بيت الله الحرام ومعه ولده وإخوته وبنو عقيل، وجمع من بني هاشم ونسائه، ولم يتخلف منه إلا أخوه محمد بن الحنفية إذ كان مريضاً.

مراسلات بين الحسين (عليه السلام) وأهل الكوفة

ثم إن أهل الكوفة لما بلغهم موت معاوية ابن أبي سفيان وامتناع الحسين من مبايعة يزيد اجتمعوا في بيت سليمان بن صرد الخزاعي، فذكروا هلاك معاوية، فحمدوا الله وأثنوا عليه، فقال سليمان بن صرد الخزاعي: إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعة، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوه وتقتل أنفسنا دونه فاكتبوا إليه وأعلموه، وإن خفتكم الفشل والوهن فلا تغرؤا الرجل في نفسه. قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه^(٢).

أقول: إن الكلمات المتقدمة الذكر فيها من النصح والإرشاد ما لا يخفى،

(١) في الآداب السلطانية / ص ٨٨، وفي تذكرة الخواص لابن الجوزي / ص ٢٢٩: كانت جدّة مروان (الزرقاء بنت موهب) من المومسات ومن البغايا. وفي الكامل لابن الأثير ٤ / ٧٥: كان الناس يُعَيِّرون ولد عبد الملك بن مروان بالزرقاء؛ لأنها كانت صاحبة عَلمٍ في الجاهلية. انظر: تاريخ ابن عساكر ٧ / ٤٠٧، وتاريخ الطبري ٨ / ١٦، وأنساب الأشراف للبلاذري ١٢٩/٥.

(٢) الارشاد ص ٢٠٢، منشورات بصيرتي، قم.

مراسلات بين الحسين (عليه السلام) وأهل الكوفة..... ٢٤٥

فإنَّ سليمان بن صرد الخزاعي نصَّح القوم وحذَّره من سوء المطَّلَع وخسران العاقبة. إنَّ هم خذلوا الحسين أو توانوا عن نصرته، وكأنَّما الرجل حدَّس في نفوس البعض منهم أمارات الشرِّ والفتنة.

ثمَّ قال سليمان: فاكتبوا إليه، فكتبوا (الرسالة الأولى):

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليٍّ (عليه السلام).

من سليمان بن صرد والمسيَّب بن نجية، ورفاعة بن شدَّاد البجلي، وحبيب بن مظاهر، وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.

سلام عليك، فإنَّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أمَّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة، فأنبزها أمرها وغصبها فيئها، وتأمَّر عليها بغير رضئ منها، ثمَّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولةً بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود. إنَّه ليس علينا إمام، فاقبل لعلَّ الله يجمعنا بك على الحقِّ. والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعةٍ ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنَّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتَّى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى.

ثمَّ دفعوا الكتاب إلى عبدالله بن مسمع الهمدانيّ وعبدالله بن وال ليوصلوه إلى الحسين، فخرجوا متَّجهين إلى الحجاز، وقد دخلوها في العاشر من شهر رمضان، وسلَّموا الكتاب إلى الحسين هناك.

بعد ذلك بدأت كتب أهل الكوفة تترى على الحسين (عليه السلام)؛ فقد سار عمارة بن عبدالله السلولي، وقيس بن مسهر الصيداوي، وعبدالله وعبدالرحمان ابنا شدَّاد الأرحبي وهم يحملون معهم زهاء مائة وخمسين صحيفةً تناشد الحسين بالمجيء.

٢٤٦.....الحسين من خلال القرآن

وبعد هذا بيومين سرّح أهل الكوفة هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبدالله الحنفي وكتبوا (الرسالة الثانية):

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ (عليه السلام).

من شيعته من المؤمنين والمسلمين.

أما بعد،... فحيّ هلاً، فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل، والسلام.

ثمّ أخذت الكتب ترد على الحسين - وهو في مكّة - جلّها من أهل الكوفة، فكان الرجل الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة يسألونه القدوم عليهم، حتّى تكاثرت عليه الكتب، وقد ورد عليه في يومٍ واحدٍ ستمائة كتاب، واجتمع عنده من نوب متفرقةٍ اثنا عشر ألف كتاب، وفي كلّ ذلك يشدّدون الطلب، وهو (عليه السلام) لا يجيبهم.

وأخر كتابٍ ورد عليه: من شبث بن ربعي، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، وعزوة بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمير بن عطارد، وفيه: أن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد اخضرّ الجنب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم إذا شئت، فإنّما تقدم على جنديّ لك مجنّدة.

ولمّا اجتمع عند الحسين من الكتب ما يعدّ بالآلاف حتّى ملأ منهما خرجين كبيرين. كتب إلى أهل الكوفة ومن والاها كتاباً واحداً، دفعه إلى هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي، وكانا آخر الرسل، قال فيه:

مراسلات بين الحسين (عليه السلام) وأهل الكوفة ٢٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ إلى الملائمة المؤمنين والمسلمين.

أما بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي قصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله. والسلام.

ثمّ دفع الكتاب إلى مسلم بن عقيل، وقال له: إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض بركة الله وعونه، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها. ثمّ سار مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيدائي، وعمارة به عبد الله السلولي، وعبد الله وعبد الرحمان ابنا شدّاد الأرحبي، وقد أوصاه الحسين (عليه السلام) بالتقوى والكتمان، وإذا ما جاء الكوفة وأخذ البيعة من أهلها كتب له يعلمه الخبر وهو شيعته فيه.

ولما وصل مسلم بايعة من الكوفة ثمانية عشر ألفاً، وأخذ الناس يتوافدون عليه وهو في دار المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، وبعدها في دار هاني بن عروة. عندها كتب مسلم للحسين (عليه السلام) يخبره الأمر ويستحثّه بالقدوم. إلّا أنّ ذلك لم يدم طويلاً، حتّى كتب عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي حليف بني أميّة كتاباً إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل وأخذه بالبيعة من

٢٤٨.....الحسين من خلال القرآن

أهل الكوفة للحسين، والتعريض بوالي الكوفة النعمان بن بشير الذي كان والياً من قبل معاوية وأقرّه يزيد عليها، وقد كتب إلى يزيد آخرون مثل عمر بن سعد ابن أبي وقاص وعمارة بن عقبة.

لما وصلت كتب المنافقين وأهل الأطماع والشغب إلى يزيد في الشام صمّم أن يضمّ ولاية الكوفة إلى عبيدالله بن زياد واليه في البصرة، وأمره أن يقدم إلى الكوفة ليحسم الموقف لصالح يزيد والأمويين. وفعلاً دخل عبيدالله الكوفة متنكراً، ثم أخذ يبعث العيون والجواسيس فيأتونه بالأخبار عن مسلم وأصحابه إلى أن تمكّن بطريقة المكر والخداع والتهديد والوعيد أن يقبض على مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ويقتلها وينكّل بهما أمام الملأ من الناس^(١).

خروج الحسين (عليه السلام) للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

جملة من الكتاب والمؤلفين قد أساءوا الفهم عندما كانوا يبحثون عن النصوص المتعلقة بنهضة سيّد الأحرار (عليه السلام) إن لم نقل إنهم على نوايا سيئة من عملهم ذلك، فقد كان يحلو لهم أن يكتبوا عن سيّد الشهداء بدافع الثورية والحماس الحسيني والإباء العلوي، حتّى أنهم ادّعوا أنّ الحسين كان طالب رئاسة، وما خروجه على يزيد إلّا لإقامة دولة وحكومة إسلامية. بمعنى آخر: أنّ هدف الحسين مطالبته بحقه وحقّ أخيه المغتصب، ألا وهو الخلافة... إلّا أنّك تجد الأمر ليس كذلك، انظر إلى وصيته التي كتبها في المدينة قبل خروجه منها، قال فيها:

(١) انظر الارشاد ص ٢٠٥ - ٢١٧.

خروج الحسين (عليه السلام) للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية:

إنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأنّ الجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور.

وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين... (١).

قال الطبراني في معجمه: حدّثنا علي بن عبد العزيز، حدّثنا الزبير بن بكار، حدّثنا محمد بن الحسن، قال: لما نزل عمر بن سعد بالحسين وأيقن أنّهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله - عزّ وجلّ - وأثنى عليه، ثمّ قال:

قد نزل ما ترون من الأمر، وأنّ الدنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها وانشمرت، حتّى لم يبقّ منها إلاّ كصابة الإناء، إلاّ خسيس عيش كالمرعى الويل، ألا ترون الحقّ لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادةً والحياة مع الظالمين إلاّ برماً (٢).

هذا وغيره من النصوص والشواهد تؤكّد على أنّ مسيرة الإمام الحسين كانت بالدرجة الأولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعزية يزيد وبنو أميّة وأعمالهم السيئة للملأ من المسلمين.

(١) المقتل للخوارزمي ٢ / ١٨٨ ومقتل العوالم / ص ٥٤.

(٢) الحسين والسنة ص ١٣٣ وفي البحار جاءت الخطبة بالفاظ أخرى ج ٤٤ / ٣١٦ و ٣٩٣.

٢٥٠.....الحسين من خلال القرآن

إخبار الرسول (ﷺ) بشهادة الحسين (عليه السلام)

لا نبالغ إذا قلنا: إن عشرات المصادر قد نصّت على شهادة الامام الحسين (عليه السلام) بتصريح من الرسول (ﷺ) والامام علي (عليه السلام). إنك تجد هذه الأخبار بطرق مختلفة وأسانيد متعدّدة؛ وذلك قبل أن يخلق يزيد بن معاوية، والحسين لا زال يدرج في صباه.

ولا شك أن ما أخبر به الرسول (ﷺ) هو عن جبرئيل عن الله سبحانه. وإليك موجزاً عن أهم المصادر التي صرح النبي (ﷺ) باستشهاد ولده الحسين (عليه السلام).

أولاً: ما رواه أنس بن الحارث عن الرسول في خبر استشهاد الحسين (عليه السلام).

ثانياً: ما رواه معاذ بن جبل عن الرسول في خبر استشهاد الحسين (عليه السلام)

ثالثاً: ما رواه ابن عباس عن الرسول؛ وذلك عندما كان الحسين جالساً في حجر النبي.

وفي رواية أخرى: لما رجع الرسول من سفرٍ له خطب فأوجز، ثم ذكر مقتل الحسين.

وفي مكان ثالث عند وفاته (ﷺ).

رابعاً: ما رواه أبو أمامة عن الرسول، فهو يروي خبر الاستشهاد؛ وذلك لما خرج الرسول على قومه وفيهم أبوبكر وعمر.

خامساً: ما رواه أنس بن مالك عن الرسول؛ وذلك لما استأذن ملك المطر

إخبار الرسول (ﷺ) بشهادة الحسين (عليه السلام) ٢٥١

أن يأتي النبي.

سادساً: ما رواه أبو الطفيل عن الرسول في خبر استشهاد الحسين (عليه السلام).

سابعاً: ما رواه المسور بن مخرمة عن الرسول في خبر الاستشهاد؛ وذلك

لما استأذن أحد الملائكة ربه بالنزول إلى الدنيا شوقاً إلى النبي (ﷺ).

ثامناً: ما رواه خالد بن عرفطة في خبر الاستشهاد عن الرسول (ﷺ).

تاسعاً: ما رواه سعيد بن جمهان في خبر الاستشهاد عن الرسول (ﷺ).

عاشراً: ما روته أسماء بنت عميس عن الرسول (ﷺ)، وهي تروي خبر

الاستشهاد عندما ولد الحسين (عليه السلام).

الحادي عشر: ما روته زينب بنت جحش؛ وذلك لما صعد

الحسين (عليه السلام) على بطن الرسول (ﷺ).

الثاني عشر: ما روته أم الفضل بنت الحارث في خبر الاستشهاد عن

الرسول (ﷺ)؛ وذلك لرؤيا رأتها.

الثالث عشر: ما روته أم سلمة عن الرسول (ﷺ) أنها ذكرت الخبر

بعدما استيقظ الرسول من نومه، حيث رأى في يده تربة حمراء وهو يقبلها،

فسألته عنها، فأخبرها أنها تربة يقتل فيها ولده الحسين (عليه السلام).

الرابع عشر: روى الطبراني في معجمة قال: حدثنا الحسن بن العباس

الرازي، حدثنا سلم^(١) بن منصور بن عمار، حدثنا أبي، حدثني، وحدثنا أحمد

ابن يحيى بن خالد بن حيّان الرقي، حدثنا عمرو بن بكر بن بكّار القعيني، حدثنا

مجاشع بن عمرو، قالوا: حدثنا عبدالله بن لهيعة، عن أبي قبيل، حدثني عبدالله بن

عمرو بن العاص أن معاذ بن جبل أخبره قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ)

متغيّر اللون، فقال: أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه، فأطيعوني ما دمت

بين أظهركم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عزوجل، أحلّوا حلاله وحرّموا

(١) في نسخة: سليم.

٢٥٢.....الحسين من خلال القرآن

حرامه، أتكتم الوته، أتكتم بالروح والراحة، كتاب من الله سبق، أتكتم فتن كقطع الليل المظلم، كلما ذهب رسل جاء رسل^(١)، تناسخت النبوة فصارت ملكاً، رحم الله من أخذ بحقها وخرج منها كما دخلها، أمسك يا معاذ واحص. قال: فلما بلغت خمسة قال: يزيد لا تبارك الله في يزيد، ثم ذرفت عيناه (ﷺ).

ثم قال: نعي إليّ الحسين، وأتيت بتريته، وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً. ثم قال: واهاً لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف.

أمسك يا معاذ، فلما بلغت عشرة قال: الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام ييؤء بدمه رجل من أهل بيته يسلم الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناس وكانوا هكذا، وشبك أصابعه.

ثم قال: بعد العشرين ومائة موت سريع وقتل ذريع، ففيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل من ولد العباس^(٢).

الخامس عشر: ما روته عائشة بنت أبي بكر عن الرسول (ﷺ) لما كان يوحى إليه، إذ دخل عليه الحسين (عليه السلام) وأخذ يلعب على ظهره الشريف. السادس عشر: ما رواه الحسين (عليه السلام)، عن جدّه (ﷺ) لما نظر إلى شمر بن ذي الجوشن.

السابع عشر: ما رواه الإمام علي (عليه السلام)، عن الرسول (ﷺ)، إذ ذكر خبر استشهاد الحسين (عليه السلام) وهو منطلق إلى صفين.

روى الطبراني في معجمه، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدّثنا محمد بن يحيى ابن أبي سمينة، حدّثنا يحيى بن حمّاد، حدّثنا أبو عوانة،

(١) هكذا في الأصل وربما الصواب رسول في الموضعين.

(٢) المعجم الكبير للطبراني من كتاب الحسين والسنة ص ١٣٩.

أقوال الرسول (ﷺ) في الحسين (عليه السلام) «حسين مني وأنا من حسين» ٢٥٣

عن عطاء بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن شيبان بن مخرم - وهو عثماني الهوى - قال: إني لمع علي (عليه السلام) إذ أتى كربلاء، فقال: يقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء الأ شهداء بدر. فقلت: بعض كذباته! وثم رجل حمار ميّت فقلت لغلّامي: خذ رجل هذا الحمار فأوتدها في مقعده وغيّبها، فضرب الدهر ضربة، فلما قتل الحسين بن علي (عليه السلام) انطلقت ومعني أصحاب لي، فإذا جثة الحسين بن علي (عليه السلام) على رجل ذاك الحمار، وإذا أصحابه ربيعة حوله^(١). أقول كلّ ذلك تجده بأسانيد معتبرة ومتعدّدة في كتب الخاصّ والعامّ. وقد ذكرت كتب الجمهور تلك الأخبار والروايات في أكثر من ثلاثمائة موضع.

أقوال الرسول (ﷺ) في الحسين (عليه السلام) «حسين مني وأنا من حسين»

عن ابن ماجه في سننه، بإسناده عن سعيد ابن أبي راشد أن يعلى بن مرّة حدّثهم: أنّهم خرجوا مع النبي (ﷺ) إلى طعامٍ دعوا له، فإذا حسين يلعب في السكّة، قال: فتقدّم النبي (ﷺ) أمام القوم ويسطّ يديه فجعل الغلام يفرّ هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه، فقبّله وقال: «حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط».

أقول: روى هذا الحديث الشريف أبرز علماء السنّة وأشهرهم: كالإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، وابن ماجه في كتبهم، وقد أخذوه من الصدر الأول

٢٥٤.....الحسين من خلال القرآن

من الصحابة والتابعين، وقد تجد رواته من طرق العامة أكثر من طرق الخاصة، وفي كتبهم الحديثية قديماً وحديثاً، حتى تجاوز عدد تلك الكتب ثمانين كتاباً، وهي تعدّ اليوم - تلك المصادر - عندهم من أهمّ المراجع، ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر بعضها؛ حتى يقف المطالع على الحقيقة فينشرها للآخرين^(١).

والحديث الأنف الذكر فيه أبعاد كثيرة، ولو أمعنا النظر فيه لوجدنا أهمّ شيء يقودنا إليه الحديث هو المنزلة التي يحتلها الحسين (عليه السلام)، والموقع العظيم في قلب صاحب الرسالة.

إنه من الرسول والرسول منه، فالحسين قطعة من فلذة كبد جدّه، فهو ابن بنته ودرج في حجره، وتغذى من نَمير خلقه. فإذا أردت مواطن الشبه -الجسمانية - بين الحسين وجدّه فذلك ما دلّت عليه الأخبار المتواترة الصحيحة. وإذا أردت مواطن الشبه من حيث الأخلاق والسلوك فلا شك أن الحسين صورة طبق الأصل لجدّه (عليه السلام).

وقول الرسول لأهل بيته: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالكم»^(٢)

(١) انظر: «المستند» لأحمد بن حنبل ٤ / ١٧٢ ط الميمنية، مصر. البخاري محمد بن اسماعيل في «التاريخ الكبير» ٤ / ٤١٥ ط حيدر آباد الهند. الزمخشري في «الفائق» ٢ / ٨ ط دار إحياء الكتب العربية. والترمذي في «الصحیح» ١٣ / ١٩٥ ط الصادي، مصر. وابن الأثير في «البدایة والنهاية» ٢ / ١٥٣ ط الخيرية، مصر. وابن منظور في «لسان العرب» ٧ / ٣١٠ ط بيروت. وابن الأثير في «أسد الغابة» ٢ / ١٩ مصر. والبعوي في «مصاييح السنّة» ٢٠٨ ط الخيرية، مصر. والحافظ الكنعي في «كفاية الطالب» ٢٠٧ ط الخيرية، مصر. والذهبي في كل من «سير أعلام النبلاء» ٣ / ١٩٠ مصر. و«تلخيص المستدرک» المطبوع في ذيل المستدرک ٣ / ١٧٧، ط حيدر آباد. و«تاريخ الاسلام» ٣ / ٦ مصر. وابن حجر في «الصواعق المحرقة» ١٩٠ مصر. والعلامة الحاكم النيسابوري في «المستدرک» ٣ / ١٧٧ ط حيدر آباد. والطبري في «ذخائر العقبى» ١٣٣ ط مصر. والعلامة ابن الصبّان المصري في «اسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار» ص ٢٠٦ مصر.

(٢) عن ابن المغازلي في مناقبه بإسناده عن أبي هريره قال: أبصر النبي ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالكم. ص ٦٤ ط ٢ وكذلك أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢ / ٤٤٢ والخطيب البغدادي في تاريخه ٧ / ١٣٦ والعلامة ابن كثير الدمشقي

أقوال الرسول (ﷺ) في الحسين (عليه السلام) «حسين مَنّي وأنا من حسين» ٢٥٥

يكشف لنا موقع أهل بيته ومنزلتهم عنده، بل هي منزلتهم عند الله سبحانه، وهذا يعني: أنهم عليهم السلام يلتقون مع الرسول في كل خطوة خطاها النبي محمد (ﷺ). كما أن الرسول موافق لهم في كل خطوة وضعوها بدءاً أو انتهاءً.

فالحديث المتقدم يؤكد لنا واحدة من أهم الحقائق ألا وهي: أن الحق يدور مع أهل البيت عليهم السلام أينما وجدوا، كما كان يدور مع جدّهم رسول الله (ﷺ) أينما كان.

وبعد إقرار هذه الحقيقة نقول: لا ينبغي لأي فردٍ من الصحابة أو التابعين من السابقين أو اللاحقين مخالفة الحسين (عليه السلام) ^(١)؛ لأن مخالفتَهُ - في الواقع - مخالفة لرسول الله، ومن خالف الرسول فقد خالف الله سبحانه وتعالى، أي: ﴿لِيَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾...

فالحسين قوامه برسول الله فكراً ومبدأً وعقيدةً. كما أن الرسول - ورسالته - متقوم بالحسين (عليه السلام)، حيث أرسى مبادئ العقيدة الإسلامية بجهاده وتضحياته يوم كربلاء. فالحسين امتداد لرسول الله (ﷺ). كما أن الرسول والاسلام خلودهما بالحسين، وهذا مصداق قوله سلام الله عليه: «وأنا من حسين».

والمحصلة: أن عزّ الاسلام وخلوده كان بسبب نهضة الامام الحسين وجهاده وإلا أيّ عزّ، بل وأيّ خلودٍ للإسلام والمسلمين يبقى لولا المواقف

في البداية والنهاية ٨ / ٢٠٥ والعلامة الخوارزمي في مقتل الحسين ١ / ٤.
ومن طرقنا: رواه ابن بابويه القمي في عيون أخبار الرضا ٢ / ٥٩ وأغلب مصادر الحديث والسيرة والتاريخ ذكرته فليراجع.

(١) روى الخوارزمي في مقتله بإسناده عن خيشمة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: بي أنذرتهم ثم بعلي بن أبي طالب اهتديتم، وقرأ ﴿انما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ وبالحسن اعطيتم الإحسان، وبالحسين تسعدون وبه تشقون ألا وإنّ الحسين باب من أبواب الجنة من عانده حرم الله عليه رائحة الجنة ١ / ١٤٥.

٢٥٦.....الحسين من خلال القرآن

البطولية التي قدّمها أبو الفداء في العاشر من المحرم، بل وهل تعتقد أن الاسلام كان يبقى له رسم لولا إقدام الحسين على الشهادة التي أعلنها لتقويض عرش الطغاة والظالمين؟ فجهاده عطاء ودروس للأجيال، والنهج في الخلود والسعادة. فإن شجرة الإسلام ارتوت من دمه الظاهر، وشهادته كانت الصرخة المدوية بوجه العتاة المردة عبر التاريخ، ولهذا كان على الله سبحانه أن يرفعه في أعلى عليين، ويجعله في مراتب الأنبياء والصدّيقين؛ لأنّ الحسين تاجر مع الله، فعقد صفقته المربحة مع خالقه، فوهبه كلّ، وسبحانه عوّضه الخلود كلّ.

ومن جملة الأبعاد المهمة التي يجسدها لنا الحديث المتقدّم - «حسين مني...أحبّ الله من أحبّ حسيناً» - هو البعد الروحيّ في القرب من ساحة القدس الإلهي، انظر إلى الواسطة بين الله والبشر بأيّ شخص ارتبطت؟ وأيّ علاقة هي...؟

الرسول (ﷺ) يصرّح ويعلن إلى الملائكة من أمته أنّ حبّ الحسين هو الوسيلة التي يتقرّب بها العبد إلى خالقه؛ لأنّ الحسين عشق الشهادة، بل إنّه عشق الله؛ ولأجله استشهد. وكيف يكون ذلك العشق بدون تضحية وفداء؟ وأيّ فداء قدّمه الحسين (عليه السلام)؟!

إنّه الكرم، بل السخاء والجود، بل هو غاية الجود عندما قدّم نفسه قرباناً لله تعالى وضحّى بدمه؛ حتّى يغذي شجرة الإسلام؛ شجرة دين الله على الأرض.

إذن، حبّ الحسين يعني: السير في نهجه وهداه، وسلوك طريقه واقتفاء أثره، وهذا هو الذي ينشده الله من الناس، فما ذلك الحبّ إلّا تجسيداً لتلك المثل والقيم، والحسين عزيز عند الله سبحانه وتعالى. وكذلك من أحبّ حسيناً وسلك نهجه - لأنّه قتيل العبرة، وصريع الدمعة - ذاب في الله وتفانى لأجله فوهبه نفسه وهو يتصوّر أنّ ذلك قليل في ساحة الله، أي تفاني ذاك؟ وأيّ إخلاص؟ وأيّ عشق...؟ وعلى هذا فليعمل العاملون وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

أقوال الرسول (ﷺ) في الحسين (عليه السلام) «حسين مَنِّي وأنا من حسين» ٢٥٧

ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبْدِي وَأَدْخُلِي جَنَّتِي^(١).
تحصل لنا: أنَّ الحسين حلقة وصل بين العباد وقربهم من الجليل جل شأنه، بل إنَّ قبول الأعمال به وبأهل بيته الأطهار، وقد أكد هذا المعنى الإمام الرضا (عليه السلام) عندما قال في قبول الأعمال: «بشروطها وأنا من شروطها»^(٢).
وهكذا الأخبار المتواترة عن أهل البيت (عليهم السلام)، حيث قالوا: «لا تقبل الأعمال إلا بولايتنا أهل البيت»^(٣).

فعليه، لا بدَّ أن تبصر الحقيقة أيُّها المسلم، وتعمل بما منحك الله من عقل ومعرفة، وتقتدي بقول الرسول عندما قال وهو يقصد أهل بيته: «إني حرب لمن حاربكم»^(٤)، وكم اليوم يحاربون الحسين بالسيف والقلم؟! فهل تجد يوم القيامة من شفيع يشفع لهم...؟!
والبعد الثالث في الحديث: «حسين سبط من الأسباط»، السبط هو ابن

الولد أو ابن البنت، ذرِّيَّة كلِّ رجلٍ من عقبه الذكور، إلا الرسول محمد (ﷺ) حيث ذرِّيَّته وعقبه من ابنته فاطمة (عليها السلام)، وقد صرح بذلك في عدَّة أحاديث:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنت أنا والعبَّاس جالسين عند النبي (ﷺ) إذ دخل عليّ فسلم، فردَّ عليه النبي (ﷺ) السلام، وقام إليه وعانقه، وقبَّل ما بين عينيه، وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحبّه؟ فقال: «يا عمّ، والله، الله أشدَّ حبًّا له مِنِّي، إنَّ الله - عز وجل - جعل ذرِّيَّة كلِّ نبيٍّ في صلبه، وجعل ذرِّيَّتي في صلب هذا»^(٥).

(١) الفجر / ٢٧ - ٣٠.

(٢) حديث سلسلة الذهب، انظر عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ / ١٣٥ الحديث ٤ من باب ٣٧.

(٣)

(٤)

(٥) رواه السيوطي في «الجامع الصغير» ١ / ٢٣٠، وكذلك رواه جمع من الصحابة بطرق إخواننا السنَّة فقد رواه ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٧٤، وكذلك العلامة القندوزي في «يسابيع

٢٥٨.....الحسين من خلال القرآن

وروى العلامة ابن المغازلي بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله (ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَعَلَا - جَعَلَ ذُرِّيَّةَ مُحَمَّدٍ مِنْ صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»^(١).

بل إِنَّ القرآن الكريم يدلُّ على هذه الحقيقة؛ وذلك لَمَّا عابت قريش الرسول بقولها: «أبتر»^(٢) نزلت السورة المباركة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وذكر المفسرون بالكوثر عدَّة معاني: أبرزها: الذرَّة الكثيرة. ولا يخفى على كُلِّ ذي لبٍّ أَنَّ ذرَّيته ملأوا الشرق والغرب قديماً وحديثاً، وقارعوا الظلم والطغيان، فبعض حمل سيف الجهاد على عاتقه لإقامة الحقِّ وإنكار المنكر، ورائدهم في ذلك سيّد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام). وبعض أتاح له الظروف أن ينشر علوم آل محمد بين جموع المسلمين، كما حصل للباقر والصادق (عليهما السلام)^(٣).

فأهل البيت جمعوا بين السيف والقلم، فهم حملة القرآن وهم الفرسان في الوغى، وهكذا بالنسبة لذرَّيتهم، فمنهم من تصدَّى لتأسيس دولة تقارع سلطة بني العباس في بغداد، ألا وهي الدولة الفاطمية في مصر، وكذلك دولة الأدارسة في المغرب، وغيرها من الدول، وبعض تصدَّى للعلم والإفتاء وما أكثرهم اليوم.

المؤدَّة» ص ٢٦٦، وكذلك رواه العلامة الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩ / ٢٧٢، وفي تاريخ بغداد يرويه الخطيب بإسناده عن ابن عباس ١ / ٣١٦.

(١) رواه ابن المغازلي في «المناقب» ص ٤٩ ط ٢، ١٤٠٢ هـ.

(٢) الذي عاب الرسول هو وائل بن العاص.

(٣) إنَّ الذين رَوَوْا عن الصادق (عليه السلام) الثقات كانوا أربعة آلاف رجل، وابن عقدة ذكرهم في كتاب الرجال، وانظر المناقب ٤ / ٢٤٧ ط قم. وانظر كتاب المعبر للمحقِّق أبي القاسم جعفر بن سعيد الحلبي / ص ٥. وكذلك الوسائل ٢٠ / ٧٠ ط بيروت، وعلم الرجال نشوءه وتطوُّره عند الشيعة، للمؤلِّف (مخطوط).

الحسين خير الناس جداً وجدةً وأباً وأماً

مما قاله الرسول (ﷺ) في حقّ الحسين (عليه السلام): ما يرويه لنا العلامة الكنجي الشافعي في كتابه، بإسناده عن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي، عن ربيعة السعدي قال: لما اختلف الناس في التفضيل رحلت راحلتي وأخذت زادي وخرجت حتى دخلت المدينة، فدخلت على حذيفة بن اليمان، فقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من أهل العراق، فقال لي: من أيّ العراق؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، قال: مرحباً بكم أهل الكوفة، قال: قلت: اختلف الناس علينا في التفضيل فجئت لأسألك عن ذلك، فقال: على الخير سقطت، أما إنّي لا أحدثك إلا ما سمعته أذناي ووعاء قلبي وأبصرته عينا، خرج علينا رسول الله (ﷺ) كأني أنظر إليه كما أنظر إليك الساعة، حامل الحسين بن علي (عليه السلام) على عاتقه، كأني أنظر إلى كفه الطيبة واضعها على قدمه يلصقها إلى صدره، فقال: أيها الناس، لأعرفن ما اختلفتم فيه من الخيار بعدي.

هذا الحسين بن عليّ خير الناس جداً وجدةً، جدّه محمد رسول الله سيّد النبيّن، وجدّته خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله.

هذا الحسين بن عليّ خير الناس أباً، وخير الناس أماً، أبوه عليّ بن أبي طالب أخو رسول الله ووزيره وابن عمّه وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله. وأمه فاطمة بنت محمد سيّدة نساء العالمين.

هذا الحسين بن عليّ خير الناس عمّاً وخير الناس عمّة؛ عمّه جعفر ابن أبي طالب المزيّن بالجنّاحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، وعمّته أمّ هاني بنت أبي طالب.

٢٦٠..... الحسين من خلال القرآن

هذا الحسين بن علي خير الناس خالاً وخير الناس خالةً، خاله القاسم بن محمد رسول الله، وخالته زينب بنت محمد.

ثمّ وضعه عن عاتقه، فدرج بين يديه وجثا، ثم قال: أيها الناس، هذا الحسين بن علي جدّه وجدّته في الجنّة، وأبوه وأمّه في الجنّة، وعمّه وعمّته في الجنّة، وخاله وخالته في الجنّة، وهو وأخوه في الجنّة، إنّه لم يؤت أحد من ذريّة النبيّين ما أوتي الحسين بن علي، ما خلاف يوسف بن يعقوب^(١).

من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة فليُنظر إلى الحسين (عليه السلام)

روى جمع كبير من أهل السيرة والتاريخ من العامّة وبطريقٍ مختلفةٍ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال عندما دخل الحسين المسجد: من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة فليُنظر إلى هذا - وأشار إلى الحسين (عليه السلام) - فأشهد لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول^(٢).

وكذلك رواه العلامة الخوارزمي في مقتل الحسين بإسناده، عن

(١) كفاية الطالب / ص ٢٧٢ ط النجف.

وذكره العلامة القندوزي في ينابيع المودة ص ٢٧٨، وكذلك رواه الزرندي في نظم درر السمطين ص ٢٠٧، ورواه العلامة ابن المغازلي في مناقبه ص ١٤٦، وكذلك رواه ابن عساكر في تاريخه، بل جلّ علماء السنّة رَوَوْا هذا الحديث، فراجع.

(٢) مَن روى الحديث: الذهبي في «تاريخ الاسلام» ٣ / ٨ ط مصر. وابن كثير الدمشقي في «البداية والنهاية» ٨ / ٢٠٦ ط مصر. والحافظ أبو بكر الهيثمي في «مجمع الزوائد»، ثم قال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. ومحبّ الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ١٢٩ ط القدس، مصر. والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٣ / ١٩٠ ط مصر. وهناك عشرات المصادر من العامّة - ناهيك عن الخاصة - قد ذكرت الحديث بألفاظ مشابهة فراجع.

من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فليُنظر إلى الحسين (عليه السلام) ٢٦١

عبدالرحمان بن سابط قال: كنت مع جابر فدخل الحسين بن عليّ، فقال جابر: «الحديث...»^(١).

أقول: لا يختلف اثنان في المآل والعاقبة التي صار إليها الحسين (عليه السلام) وهي الجنة حتّى أن أعدائه من بني أميّة والذين حاربوا. وسفكوا دمه كانوا يعتقدون بتلك المنزلة العالية للحسين انظر إلى ما يرويه أهل السيرة والتاريخ، فهذا البلاذريّ في كتابه «أنساب الأشراف» قال: وأقبل سنان^(٢) - بن أنس بن عمرو النخعيّ - حتّى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثمّ نادى بأعلى صوته:

أوقر ركابي فضّة أو ذهباً أنا قتلت الملك المحجّباً
قتلت خير الناس أمّاً وأباً وخيرهم إذ يُنسبون نسباً
وخيرهم في قومهم مركباً^(٣)

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ص ١٤٧ ط الغري.

(٢) قال البلاذري: وقالت زينب بنت عليّ لعمر بن سعد: يا عمر أيقول أبو عبدالله وأنت تنظر؟ أفيكي وانصرف بوجهه عنها.

ونادى شمر في الناس: ويلكم ما بالكم تحيدون عن هذا الرجل؟ ما تنتظرون؟ اقتلوه، ثكلتكم أمهاتكم، فحملوا عليه من كلّ جانب، فضربه زرع بن شريك التيميّ على كفه اليسرى وضرب على عاتقه، ثمّ انصرفوا عنه وهو يثور ويكبو.

وحمل عليه وهو في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعيّ فطعنه بالرمح فوق، ثمّ قال لخوليّ بن يزيد الأصبحي: احتزّ رأسه، فأراد أن يفعل، فضعف وأرعد، فقال له سنان: قتّ الله في عضدك وأبان يدك ونزل إليه فذبحه، ثمّ دفع رأسه إلى خوليّ. أنساب الأشراف للبلاذري، كما في الحسين والسنة ص ٨٦.

(٣) ذكر البيهقيّ البلاذري وجمع من أرباب السيرة والمقاتل. أما في مقتل الخوارزمي ٢ / ٦١ فيذكر في حديثه بسنده عن سهل بن سعد فيقول: - وهو عند ورود السبايا إلى الشام - : فدخلت - سهل بن سعد - معهم، وكان يزيد جالساً على السرير، وعلى رأسه تاج مكلّل بالدرّ والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش فدخل صاحب الرأس ودنا منه، وقال:

أوقر ركابي فضّة أو ذهباً فقد قتلت السيّد المحجّباً
قتلت أذكى الناس أمّاً وأباً وخيرهم إذ يذكرون النسباً

٢٦٢.....الحسين من خلال القرآن

فسنان بن أنس - قاتل الحسين المباشر - يعترف أنه قتل أفضل الناس وخيرهم أمًّا وأبًّا، بل هو الملك المقدس.

إذن، ما الذي يريده الرسول (ﷺ) من الحديث المتقدم «مَنْ سرَّه أَنْ ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فليُنظر إلى الحسين»؟

الكل يعرف منزلة الحسين من جدّه وأمه وأبيه، بل الكلّ يعرف أنّ الحسين عظيم عند الله، فهو سيّد شباب أهل الجنة كما سمعوه من نبيهم مراراً...، وقول الرسول ذاك وتأكيد على منزلة الحسين إنّما كان تحذيراً للأمة من الولوغ في دماء أهل بيته، وبالخصوص الحسين (عليه السلام).

غير أن القوم شأنهم شأن الحرباء في التلون؛ ففي حياته كانوا يقدّمون له آيات الولاء والمحبة والطاعة، وفي غيابه - بعد مماته - تواصلوا فيما بينهم على هضم حقوق أهل بيته وغصب الخلافة منهم، بل اخرجوا كل الأحقاد والضغائن ثأراً لأشياخهم الذين سقطوا في جبهات الكفر؛ في بدر وأحد وحنين.

إنّ الإنسان ليعجب من أولئك القوم، حيث لسانهم في المدح والثناء وقفاً على الرسول. أمّا قلوبهم فهي وعرة سوداء ناقعة في بحر اللؤم والبغضاء، وأبناؤهم أشدّ منهم لؤماً وخساسة، إذ شهروا سيوفهم - أحياءً للجاهلية الأولى - بوجه ابن بنت الرسول، ومن قبل موقفهم الدنيء مع الوصي المرتضى، حيث غصبوا حقّه وأقصوه عن الخلافة طيلة ربع قرن من الزمان، ولما آل الأمر إليه جرّعوه غصص الموت وألوان الحيف، حتّى أردوه قتيلاً في محراب العبادة.

فقال يزيد: إذا علمت أنه خير الناس لم تقتله؟ قال: رجوت الجائزة. فأمر بضرب عنقه، فحرّ رأسه.

شدة حب النبي (ﷺ) للحسين (عليه السلام) اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه ٢٦٣

شدة حب النبي (ﷺ) للحسين (عليه السلام) اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه

أي عذر يتبجح به بعض المسلمين من الصدر الأول من الصحابة والتابعين من نصب العداء لأهل بيت النبي؟ وأي عذر لأولئك الذين يجعلون حرب يزيد حرباً مشروعة، وأن يزيد قام بتكليف شرعي ونهض بواجب ملق على عاتقه، وهو جهاد من خرج على حاكم زمانه...؟! أي سذاجة لأولئك؟ بل أي مطمع لهم وأي مغمز...؟!

إنهم والله أرادوا التحكم في رقاب الناس، أرادوها هرقلية أو كسروية، والناس عبيد لهم، ويسوقون ذرائعهم سوق الإماء، كما فعلته الأمم السالفة: كقوم فرعون مع بني إسرائيل؛ إنهم كانوا ﴿يَذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ﴾... فالرسول (ﷺ) وضع للأمة معادلة لا يمكن جهلها أو ردّها، بل لابد من التمسك بها، فهو (ﷺ) يقول في الحسين (عليه السلام): «اللهم إني أحبه، فأحبه وأحب من يحبه»^(١).

فماذا يعني حب النبي للحسين...؟ وماذا يعني حب النبي لمن يحب الحسين...؟

(١) رواه الذهبي في «تليخيص المستدرک» على الهامش ٣ / ١٧٧ ط حيدر آباد. والمتقي الهندي في «كنز العمال» ١٣ / ١١١ ط حيدر آباد. ويلفظ مقارب رواه الصّان في «أسعاف الراغبين» بهامش «نور الأبصار» ص ٢٠٦ ط مصر. والخوارزمي في «مقتل الحسين (عليه السلام)» ص ١٤٩ ط الغري، نجف. والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٣ / ٢١٢ ط مصر؛ رواه عن زيد بن أرقم عن الرسول. والمنائوي في «الكواكب الدرية» ١ / ٥٤ ط الأزهرية، مصر. وابن المغازلي في «مناقبه» عن أسامة بن زيد عن الرسول بلفظ آخر ٣٧٤ ط ٢، ١٤٠٢. وابن الصّباغ المالكي عن البراء بن عازب في الفصول المهمة ١٥٣ ط الغري.

٢٦٤.....الحسين من خلال القرآن

إنَّه التأكيد على عظمة هذا الإمام وهو محي الشريعة، وهو قربان الإسلام، وهو فداء العقيدة والمبدأ، ولولاه لما خلد الاسلام. والدم الطاهر الزكيّ إذا أريق ولّد أثراً خالداً وبناءً شامخاً لا يمكن هدمه مهما تتابعت أيدي الظلم والبغي...
فالحديث المتقدم رواه جمع من أهل الحديث والسيرة، بل إنّ كتب الجمهور تروي لنا عشرات الأحاديث الصحيحة المتواترة بهذا المضمون وبأسانيد صحيحة معتبرة وبطرق مختلفة، ونحن نذكر واحدة منها:
عن الحاكم النيسابوري في المستدرک، بإسناده عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: رأيت رسول الله (ﷺ) وهو حامل الحسين بن عليّ وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد^(١).

النكته في

التكبيرات السبع في صلاة العيدين

يؤمّ الرسول (ﷺ) المسلمين لصلاة العيد، فيقف ليكبّر، وإذا بالحسين (عليه السلام) يقف خلفه ليتابع جدّه الأكرم في الصلاة، وما أن كبّر النبي حتّى كبّر الحسين (عليه السلام)، فأعاد النبي تكبيرته - فرحاً بتكبيره الحسين - والحسين يتابعه في الإعادة، وهكذا حتّى بلغ ما كبّره الحسين سبعاً، ممّا أصبحت سنّة في صلاة العيدين.

وعن ابن المغازلي - قوله: إنّ سبب ذلك هو الحسن - بإسناده عن جابر عن أبيه قال: كان الحسن بن عليّ (عليه السلام) بطاً لسائنه، فصلّى خلف النبي (ﷺ)، فقال: الله أكبر، فقال الحسن بن عليّ: الله أكبر، فسّر رسول الله (ﷺ)، وقال

(١) مستدرک الحاكم ٣ / ١٧٧ ط حيدر آباد.

الرسول (ﷺ) يقبل الحسين (عليه السلام) ٢٦٥

رسول الله: الله أكبر، فقال الحسن: الله أكبر، حتى كبر سبعا، فسكت الحسن، فقرأ رسول الله (ﷺ)، ثم قام في الثانية فقال: الله أكبر، فقال الحسن: الله أكبر، حتى كبر خمسا، فسكت الحسن، فقرأ رسول الله (ﷺ)، فأصل التكبير في العيدين ذلك^(١).

الرسول (ﷺ) يقبل الحسين (عليه السلام)

من مظاهر محبة الرسول لولده الحسين (عليه السلام) عدة أمور، وقد أوضحنا بعضها سابقاً وسنأتي على بعضها هنا وفيما بعد.

فمن تلك الموارد هو: تقبيل النبي (ﷺ) للحسين (عليه السلام)؛ ولا يخفى أن الحب كثيراً ما يجسده كلمة أو قبلة، وخاصة إذا كان الحب بين ذوي الأرحام وأفراد العائلة الواحدة، وهذا العمل صدر من الرسول في عدة مناسبات مع أهل البيت (عليهم السلام)، وبالخصوص مع الحسين حيث كان (ﷺ) يكثر من تقبيله في أماكن مختلفة من بدنه الشريف فمرة كان يقبله في فيه، وثانية في شفتيه وثناياه، وثالثة كان يقبله في سرته...

روى العلامة محب الدين الطبري في ذخائر العقبى، بسنده عن يعلى بن مرة: أن النبي (ﷺ) أخذ الحسين وقنع رأسه ووضع فاه على فيه فقبله^(٢).

وروى العلامة سبط ابن الجوزي في التذكرة قال: قال ابن عباس: كان رسول الله (ﷺ) يحبه - أي: الحسين - ويحمله على كتفيه ويقبل شفتيه وثناياه، قال: ودخل عليه يوماً جبرئيل وهو يقبله، قال: أتجبه؟ قال: نعم، قال: إن أمّك

(١) مقتل الخوارزمي ص ٦٢، ط ٢.

(٢) أخرجه أبو حاتم وسعيد بن منصور ص ١٢٥ ط القدسي، مصر. ورواه العلامة القندوزي في

ينابيع المودة ص ٢٢٢ ط اسلامبول.

٢٦٦.....الحسين من خلال القرآن

ستقتله^(١).

وقال الخوارزمي في رواية مفصلة عن حماد في شأن تزويج الحسين (عليه السلام)؛ نقل موطن الحاجة: ...عن حماد عن علي بن زيد: أن هندا شاورت أبا هريرة، فقال أبو هريرة: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقبل فاه، فإن استطعت أن تقبلي مقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فافعلي^(٢).

وفيه أيضاً: عن أبي محمد عمير بن اسحاق: أن أبا هريرة قال للحسين (عليه السلام): ارفع قميصك عن بطنك حتى أقبل حيث رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) يقبل، فرفع ثوبه (قميصه) فقبل سرته^(٣).

فداء النبي حسيناً بابنه إبراهيم (عليه السلام)

من آيات المحبة الخالصة والفداء المحض الذي ليس له مثيل هو فداء النبي حسيناً بولده إبراهيم، ولو تتبع الباحث تاريخ البشرية لما وجد لهذا من نظير، وقد لا تصدق لوجاء الأمر من إنسان ما، ولكنه من فعل رسول كريم. وقد علل النبي فعله ذلك لأن موت إبراهيم كان باعث حزن له فقط. أمّا موت الحسين (عليه السلام) فيكون باعث حزن وغم لأمّه وأبيه وجدّه...

وقد روى العلامة الحنبلي في «غاية السؤل» بإسناده عن ابن عباس قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى فخذه الأيمن الحسين وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وهو يقبل هذا تارةً وذاك تارةً أخرى، إذ هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا

(١) التذكرة ص ٢٤٣ ط الغري، نجف.

(٢) مقتل الخوارزمي ص ١٥١ ط الغري.

(٣) رواه أيضاً الحافظ نور الدين في مجمع الزوائد ٩ / ١٨٦ بلفظ مقارب عن ابن عباس، وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. ورواه أيضاً محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ١٢٧ ط القدسي، مصر.

بكاء الحسين يؤذي النبي (ﷺ) ٢٦٧

محمد، إن الله يقرأ عليك السلام وهو يقول: لست أجمعها لك، فافد أحدهما بصاحبه، فنظر النبي (ﷺ) إلى ابنه إبراهيم فبكى، فنظر إلى الحسين وبكى، ثم قال: إن إبراهيم أنه إذا مات لم يحزن عليه غيري، وأمّ الحسين فاطمة وأبوه علي بن أبي طالب وابن عمّي ولحمي ودمي، ومتى مات حزنت عليه ابنتي وحزن ابن عمّي وحزنت أنا. أوثر حزني على حزنهما، فقبض إبراهيم بعد ثلاث. وكان النبي (ﷺ) إذا رأى الحسين مقبلاً قبله وضّمّه إلى صدره وشّف ثناياه، وقال: فديته من فديته بابني إبراهيم^(١).

بكاء الحسين يؤذي النبي (ﷺ)

من الأدلة البارزة التي تكشف لنا حبّ النبي (ﷺ) للحسين، هو تأذيه (ﷺ) عندما يسمع الحسين يبكي، وفي مناسبات عديدة أظهر ذلك وأشار بالتوبيخ أو التقرّيع أو التنبيه إلى من معه؛ كي يظهر منزلة الحسين عنده وحنوّه عليه...

قال الطبراني في معجمه: حدّثنا علي بن عبدالعزيز، حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا عبد السلام بن حرب، عن يزيد ابن أبي زياد قال: خرج النبي (ﷺ) من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة، فسمع حسيناً يبكي، فقال: ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذي^(٢)ني.

وفي الطبقات، قال ابن سعد: أخبرنا عبدالله بن بكر بن حبيب السهمي، حدّثنا حاتم ابن أبي صغيرة، عن سماك بن حرب أنّ أمّ الفضل - امرأة العباس ابن عبدالمطلب - قالت: يا رسول الله، رأيت فيما يرى النائم كأنّ عضواً من

(١) غاية السؤل، وروى الحديث عدة من إخواننا السّنة، راجع إحقاق الحقّ ١١ / ٣١٥.

(٢) معجم الطبراني / ص ١٤٣ ط مصر، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٣ / ١٩١ ط مصر، والحافظ نور الدين في «مجمع الزوائد» ٩ / ٢٠١ ط مكتبة القدسي، مصر، والقندوزي في «ينابيع المودة» ص ٢٢٥ ط اسلامبول، ومحب الدين الطبري في «ذخائر العقبى» نقلاً عن الطبراني.

٢٦٨.....الحسين من خلال القرآن

أعضائك في بيتي، قال: خيراً رأيته، تلد فاطمة غلاماً وترضعه بلبان ابنك قثم، قال: فولدت - فاطمة - الحسين فكفلته أم الفضل، قالت: فأتيته به رسول الله (ﷺ) فهو ينزّهه ويقبله، إذ بال علي رسول الله فقال: يا أم الفضل أمسكي ابني فقد بال علي، قالت: فأخذته فقرصته قرصة بكى منها، وقلت: أذيت رسول الله بلبت عليه، فلما بكى الصبي قال الرسول: يا أم الفضل، أذيتني في بني أبيكته، ثم دعا بماء فحدره عليه حدرًا، ثم قال: إذا كان غلاماً فأحدروه حدرًا وإذا كان جارية فاغسلوه غسلًا^(١).

إني قاتل بالحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً

منزلة الحسين (عليه السلام) كبيرة جداً عند الله سبحانه، بحيث تضاهي منزلة العديد من الأنبياء^(٢)، وذلك ليس غريباً على ذوي العقول والنابهين من الناس، والأسباب واضحة.

منها: للعطاء الذي قدّمه الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء من جهة. ولأنّه ابن بنت نبيّ وليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره. وهو بقيّة الله في أرضه، وأبو الأئمة التسعة الذين هم من صلبه من جهةٍ ثالثة.

ومن جهة رابعةٍ خلّد الإسلام بدروسٍ وعبرٍ كانت هي الأساس لمن يريد الخلود في الحياة الأبدية التي لا يجوع ولا يظمأ فيها ولا يعرى... وكتب التاريخ والسيرة تذكر: بأن الله سبحانه قتل بيحيى بن زكريا سبعين

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٢٧٨ ط بيروت، دار صادر، وسبط ابن الجوزي في «التذكرة» بلفظ مقارب، ص ٢٤٣ ط الغري، نجف.

(٢) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٦٢ و ٢٨٤.

عذاب قاتلي الحسين (عليه السلام) ومن اشترك في قتله..... ٢٦٩

ألفاً، وهو من الأخبار الواردة في كتب العامة والخاصة.
إذن، فلا عجب عندما نقرأ في تلك الكتب أيضاً بأن الله سبحانه يقتل
بالحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً...

وفي هذا الباب روى العلامة النيسابوري بإسناده، عن سعيد بن جبير، عن
ابن عباس (رضي الله عنه) قال: أوصى الله تعالى إلى محمد (صلى الله عليه وآله): إني قتلت بيحيى بن
زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بآبنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً^(١).
وقال الحاكم - فيما يرويه من حديث القاضي أبي بكر بن كامل -: هذا
حديث صحيح الإسناد^(٢).

عذاب قاتلي الحسين (عليه السلام) ومن اشترك في قتله

يطول الحديث عن عاقبة أولئك الذين اشتركوا في حرب
الحسين (عليه السلام)، فجهّزوا الجيوش كيزيد بن معاوية، وألبوا عليه وهياًوا العدة
والعدد، كعبيد الله بن زياد، وساقوا الجند نحو كربلاء لحربه (عليه السلام)، كعمر بن
سعد، والذين باشروا الرمي والطعن والضرب والقتل، كشمير بن ذي الجوشن،
وسنان بن انس، وخولّي بن يزيد الأصبحي، وحرملة بن كاهل الأسدي وشبث

(١ و ٢) المستدرک ٣ / ١٧٨ ط حيدر آباد، الهند، وذكر هذا الحديث جمع غفير من علماء الخاصة
والعامة نخص بالذكر من كتب الجمهور: الذهبي في «التذكرة» ١ / ٧٣ ط حيدر آباد. والخطيب
البغدادي في «تاريخ بغداد» ١٤١ ط السعادة، مصر. ومحّب الدين الطبري في «ذخائر العقبى»
١٥٠ ط مصر. وابن حجر العسقلاني في «الصواعق المحرقة» ١٩٧ ط الميمنية، مصر. وفي
«تهذيب التهذيب» ٢ / ٣٥٣ ط حيدر آباد. وسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» ٢٩٠ ط
الغري. والخوارزمي في «مقتل الحسين» ٢ / ٩٦ ط الغري، والذهبي في «ميزان الاعتدال» ٢ /
٣٣٧ ط القاهرة، وابن كثير الدمشقي في «البداية والنهاية» ٨ / ٢٠٠ ط مصر.
وهناك عشرات المصادر نقلت الحديث كما رواه الحاكم في المستدرک متناً وسنداً، وفي بعض
المصادر ذكر الحديث بلفظ مقارب لما ذكرناه، فليراجع.

٢٧٠.....الحسين من خلال القرآن

إبن ربيعي، وغيرهم...

نعم، نذكر من تلك الأخبار بعضها، ولتكن من كتب العامة:

روى العلامة الخطيب الخوارزمي في مقتله، بإسناده عن أبي خالد، عن زيد بن لهيعة، قال: كنت أطوف بالبيت، إذ أنا برجل يقول: اللهم اغفر لي وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبدالله، أتق الله، لا تقل مثل هذا، فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار واستغفرت الله غفرها لك فإنه غفور رحيم، فقال لي: تعال أخبرك بقصتي، فأتيته، فقال: اعلم، أنا كنا خمسين نفراً حين قتل الحسين بن علي، وسلم إلينا رأسه لنحمله إلى يزيد بالشام، فكنا إذا أمسينا نزلنا وادياً ووضعنا الرأس في تابوت، وشربنا الخمر حوالى التابوت إلى الصباح، فشرب أصحابي ليلة حتى سكروا ولم أشرب معهم، فلما جن الليل سمعت رعداً وبرقاً، وإذا أبواب السماء قد فتحت، فنزل آدم ونوح وإبراهيم واسحاق واسماعيل ونبينا محمد (ﷺ)، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل من التابوت فأخرج الرأس وقبّله وضّمّه، ثم فعل الأنبياء كذلك، ثم بكى النبي محمد (ﷺ) على رأس الحسين، فعزّاه الأنبياء وقال له جبرئيل: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أمّتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط، فقال النبي (ﷺ): لا يا جبرئيل، فإنّ لهم معي موقفاً بين يدي الله - عز وجل - يوم القيامة، قال: ثم صلّوا عليه، ثم أتى قوم من الملائكة فقالوا: إنّ الله تعالى أمرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبي (ﷺ): شأنكم بهم، قال: فجعلوا يضربونهم بالحربات، وقصدني واحد منهم بحرّبه ليضربني فصحت: الأمان الأمان يا رسول الله، فقال لي: اذهب فلا غفر الله لك، قال: فلما أصبحت رأيت أصحابي جاثمين رماداً...الخبر^(١).

(١) هناك رواية أخرى يذكرها العلامة الشبلنجي في نور الأبصار، شطر منها تشبه الرواية المتقدمة، وفي شطرها الآخر تفصيل.

عذاب قاتلي الحسين (عليه السلام) ومن اشترك في قتله..... ٢٧١.

وفي مالك بن النسير الكندي يذكر البلاذري في عقوبته: أنه شُلت يده، ولم يزل فقيراً إلى آخر عمره؛ فقال: ومكث الحسين طويلاً كلما انتهى إليه رجل فأمكنه قتله انصرف عنه كراهة أن يتولى قتله.

ثم إن رجلاً يقال له: مالك بن النسير الكندي - وكان فاتكاً لا يبالي بما أقدم - أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس، فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدماه حتى امتلأ البرنس دماً، فألقى البرنس ودعا بقلنسوة فلبسها، وقال للرجل: لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين، وأخذ الكندي البرنس، فيقال: إنه لم يزل فقيراً وشُلت يده^(١).

وقال الخوارزمي: رُئي رجل بلا يدين ولا رجلين وهو أعمى يقول: ربّي نجّني من النار، فقيل له: لم تبق عليك عقوبة وأنت تسأل النجاة من النار؟ قال: إنني كنت فيمن قاتل الحسين بن عليّ في كربلاء، فلما قتل رأيت عليه سراويل وتكةً حسنةً - وذلك بعدما سلبه الناس - فأردت أن أنتزع التكة فرفع يده اليمنى ووضعها على التكة فلم أقدر على دفعها، فقطعت يمينه، ثم أردت أنتزع التكة فرفع شماله ووضعها على التكة فلم أقدر على دفعها، فقطعت شماله، ثم هممت بنزع السراويل فسمعت زلزلةً فخفت وتركتها، فألقى الله عليّ النوم فنمت بين القتلى، فرأيت كأن النبي محمداً (ﷺ) أقبل ومعه عليّ وفاطمة والحسن (عليه السلام)، فأخذوا رأس الحسين فقبّلته فاطمة، وقالت: يا بني، قتلوك قتلهم الله، وكأنه يقول: ذبحني شمر وقطع يدي هذا النائم وأشار إليّ، فقالت فاطمة: قطع الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك النار، فانتبهت وأنا لا

وتقدم هذا الخبر مفصلاً في موضوع كفر يزيد وردنا على مقدمة الشيباني فراجع.

أما الخبر الآنف الذكر فمصدره مقتل الخوارزمي ٢ / ٨٧ ط الغري، النجف.

(١) أنساب الأشراف ٣ / ٢٢.

٢٧٢.....الحسين من خلال القرآن

أبصر شيئاً، ثم سقطت يداي ورجلاي مني، فلم يبق من دعائها إلا النار^(١).
وقال الطبري في تاريخه بإسناده عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي، عن أخيه مسروق بن وائل قال: كنت في أوائل الخيل ممّن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين فأصيب به منزلةً عند عبید الله بن زياد، قال: فلمّا انتهينا إلى الحسين تقدّم رجل من القوم يقال له: «ابن حوزة» فقال: أفيكم حسين؟ قال: فسكت الحسين، فقالها ثانيةً فسكت حتّى إذا كانت الثالثة، قال: قولوا له: نعم، هذا حسين فما حاجتك؟ قال: يا حسين، أبشّر بالنار! قال: كذبت، بل أقدم على ربّ غفورٍ وشفيعٍ مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حوزة، قال: فرفع الحسين يديه حتّى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب، ثمّ قال: اللهمّ حرّه إلى النار، قال فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه نهر، قال: فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها، قال: فانقطعت قدمه وساقه وفخذيه وبقي جانبه الآخر متعلّقاً بالركاب، قال: فرجع مسروق وترك الخيل وراءه، قال: فسألته؟ فقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً^(٢).
وقال ابن حجر العسقلاني برواية الزهري: لم يبق ممّن قتله إلا من عوقب في الدنيا: إمّا بقتل، أو عمى، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدّة يسيرة^(٣). وذكر هذا الخبر أكثر من واحدٍ من مؤرّخي أهل السّنة.

وروى العلامة الحافظ أبو بكر بن محمد المعروف بـ «ابن أبي الدنيا» المتوفّى سنة (٢٨١ هـ) في «مجابي الدعوة»، عن العباس بن هشام بن محمد الكوفي، عن أبيه، عن جدّه، قال: كان رجل من بني دارم يقال له: «زرعة بن شريك التميمي» شهد قتل الحسين، فرمى الحسين بسهم فأصاب حنكه، فجعل

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ١٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٧ ط الاستقامة، مصر، وذكره البلاذري في أنساب الأشراف ٣ / ٢٠٠.

(٣) الصواعق المحرقة / ١٩٣.

عذاب قاتلي الحسين (عليه السلام) ومن اشترك في قتله..... ٢٧٣.

يتلقى الدم، ثم يقول: هكذا إلى السماء^(١). ودعا الحسين بماءٍ ليشرب، إذ رماه فحال بينه وبين الماء، فقال: اللهم أظمئه، اللهم أظمئه. قال فحدثني من شهد وهو يموت وهو يصيح من الحرّ في بطنه والبرد في ظهره وبين يديه المراوح والثلج وخلفه الكانون وهو يقول: أسقوني أهلكني العطش! فيؤتى بعسّ عظيم فيه السويق أو الماء أو اللبن لو شربه خمسة لكفاهم، قال: فيشربه ثم يعود: أسقوني أهلكني العطش، قال: فانقذت بطنه كانتقداد البعير^(٢).

وهكذا يروي في حقّ رجلٍ من كليب: أنّه لم يرتو من الماء حتّى ألقى بنفسه في الفرات، فشرب منه حتّى امتلأ فمات^(٣).

وقال البلاذري: لما بقي الحسين في ثلاثة نفرٍ أو أربعة دعا بسرًا ويل محشوّه فلبسها، فذكروا: أن بحر بن كعب التميمي سلبه إياه حين قتل، فكانت يده في الشتاء تنضحان الماء، وفي الصيف تيبسان فكأنهما عودان^(٤).

وذكر ابن كثير في تأريخه خبر موت عمرو بن الحجاج، وكان سببه العطش؛ لأنّه منع الحسين (عليه السلام) من شرب الماء^(٥).

وكذلك يروي ابن الاثير في حقّ عبدالله بن أبي الحصين الأزدي: أنّه مات بالعطش لذلك السبب. ذكره في تأريخه^(٦).

وأما عقوبة سنان بن أنس: فكانت أن اختلّ لسانه، فاعتقل، وذهب عقله، حتّى أنّه كان يأكل ويحدّث في مكانه. وسنان هذا اشترك في قتل الحسين، وقد افتخر بذلك عند الحجاج بن يوسف الثقفي. ورواه جمع من العامة وكثير من

(١) كناية عن الدعاء.

(٢) مجابي الدعوة / ٣٨ ط الهند، وفي الصواعق رواية مؤداه ما تقدّم ص ١٩٥.

(٣) ذخائر العقبى / ١٤٤.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ٣ / ٢٢٠.

(٥) البداية والنهاية ٨ / ١٧٤.

(٦) الكامل في التاريخ ٣ / ٢٨٣.

٢٧٤..... الحسين من خلال القرآن

الخاصة^(١).

وممن عوقب في الدنيا قبل الآخرة. بحير بن عمرو الجرمي، حيث سلبه سراويله، فصار بعد ذلك مقعداً لمرض أصابه في بدنه.

وكذلك جابر بن يزيد الأزدي أصبح يشكو الجذام، وهو الذي سلب عمامة الحسين (عليه السلام).

وأما مالك بن نسر الكندي فصار معتوهاً؛ لأنه سلب درع الحسين (عليه السلام)

وأما اسحاق بن حوية الحضرمي: فقد أصابه البرص؛ لأنه سلب قميص الحسين (عليه السلام) ^(٢).

وأما الذين أمروا بحرب الحسين وقادوا الجيوش وأعدوا العدة والسلاح: كيزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وحرملة بن كاهل، وشبث بن ربعي، وحكيم بن الطفيل وأضرابهم فإن عقوبتهم أشد، وأن موتهم كانت شر موتة، وانقلبوا إلى أسوء عاقبة وكتب التاريخ مليئة بأخبارهم ومثالبهم^(٣)، فمن أراد المزيد فليطلبها في مظانها.

(١) وقال البلاذري: قال هشام بن محمد الكلبي: قال لي أبي محمد بن السائب: أنا رأيته - أي: سنان - وهو يتحدث في ثوبه.

(٢) مقتل الحسين - الخوارزمي - ٢ / ٣٧.

وفي الأنساب للبلاذري أن الذي سلب الحسين سراويله هو بحر بن كعب التيمي، ثم صار بعد ذلك معلولاً، فكانت يده في الشتاء تنضحان الماء وفي الصيف تيبسان فكأنهما عودان.

(٣) انظر البحار ٤٥ / ٥٧ وسنذكر بعض تلك الأخبار في محلها المناسب إن شاء تعالى.

عظمة الحسين (عليه السلام) عند الله تعالى ٢٧٥

عظمة الحسين (عليه السلام) عند الله تعالى

روى محب الدين الطبري، بإسناده عن علي بن موسى الرضا قال: سئل جعفر بن محمد عن زيارة قبر الحسين (عليه السلام)؟ فقال: أخبرني أبي: أن من زار قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه كتب الله له في عشرين، وقال: إن حول قبر الحسين سبعين ألف ملكٍ شعناً غبراً يكون عليه إلى يوم القيامة^(١).

وروى ابن المغازلي بإسناده عن فضيل بن يسار، قال: قيل لأبي عبد الله (عليه السلام): أي قبور الشهداء أفضل؟ قال: أو ليس أفضل الشهداء عندك الحسين (عليه السلام)؟

فوالذي نفسي بيده إن حول قبره أربعين ألف ملكٍ شعناً غبراً يكون عليه إلى يوم القيامة^(٢).

(١) ذخائر العقبى / ص ١٥١ ط مكتبة القدسي، مصر.

(٢) مناقب ابن المغازلي / ص ٣٩٧، ورواه ابن بابويه، أبو القاسم القمي في كامل الزيارات ص ١٠٩



الآية الاولى..... ٢٧٩

الآية الأولى:

قوله تعالى..

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١)

ما المقصود بالتوبة في هذه الآية الكريمة؟

وهل عصى آدم حقاً - كما يظهر من الآية الشريف: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾^(٢) - حتى استوجب العقاب من الله سبحانه فأخرجه من الجنان واسكنه الأرض.

لابد من الإشارة إلى بعض الآيات ذات العلاقة بموضوع الآية المذكورة في صدر البحث، وتوضيح بعض الدلالات التي لها صلة في قضية توبة آدم وما جرى له من ذكّر في القرآن الكريم بهذا الصدد.

فمن خلال القرآن الكريم عرفنا أن آدم (عليه السلام) وزوجه كانا في الجنة ومكثا فيها زمناً لا نعلمه على وجه التحديد. أما كيفية المكوث وما حدث له فنعرف إجمالاً بعض الشيء من خلال الآيات الكريمة:

منها: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

فهذه الآية الشريفة وما بعدها وغيرها في مواطن أخرى من القرآن العزيز

(١) البقرة / ٣٧.

(٢) طه / ٢١.

(٣) البقرة / ٣٥.

٢٨٠.....الحسين سنام القرآن

تكشف لنا صوراَ متعدّدة لآدم وهو في الجنّة، والمراحل التي مرّ بها.
انظر إلى مقاطع الآية وكذا ما بعدها، إذ الخطاب موجّه من الجليل لآدم
بصورة أمرٍ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾.
ثمّ بعد ذلك حذّره من الظلم، فقال جلّ شأنه: ﴿فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ...﴾.

ثمّ مرحلة أخرى في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ...﴾^(١).
ثمّ مرحلة التوبة بعد اعترافهما بالظلم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ
نَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).
ثمّ مرحلة الإخراج والخروج من الجنّة: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا...﴾^(٣).
وبعد إخراجه من الجنّة وهبوطه إلى الأرض تلقّى كلماتٍ فيها توبته
وخلاصه...: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ...﴾^(٤).
من خلال هذا العرض السريع لبعض الآيات سوف نواجه مجموعةً من
الأسئلة منها:

- س ١: ما المراد بالنهي في الآية الكريمة ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾؟
- س ٢: كيف عصى آدم ربّه؟ وما هي الغواية هنا؟
- س ٣: ما المراد بالظلم في الآية الشريفة...؟^(٥)
- س ٤: لماذا تُسبب الإزلال والإخراج إلى الشيطان؟^(٦)
- س ٥: هل كان خروج آدم من الجنّة عقوبةً له؟

(١) البقرة / ٣٦.

(٢) البقرة / ٣٦.

(٣) الاعراف / ٢٣.

(٤) البقرة / ٣٧.

(٥) ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ الاعراف / ٢٣.

(٦) ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ...﴾ البقرة / ٣٦.

الآية الاولى..... ٢٨١

س ٦: إذا لم يعص آدم فَلِمَ تاب وما معنى توبته؟

هذه الفقرات من الأسئلة تستحقّ الجواب، لكنني لا أريد أن أبحث عن هذه العناوين وأدخل في تفاصيلها بقدر ما أريد الإشارة إليها وحسب؛ وذلك لضرورة حتمها سياق الموضوع من جهة، ولحاجة ثلّة من الناس من جهة أخرى؛ لذا نريد بذلك دفع وهم حاصلٍ عند البعض من أبناء الطائفة.

والذي يُحزُّ في النفس أن معارف وعلوم أهل البيت عليهم السلام لم تزل محجوبةً عن أبناء الإسلام؛ بسبب تقصير بعض أهل العلم من المبلّغين والكتّاب، ومن حَمَلوا عبء الأمانة التي تمثّلت من بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار بالعلماء ثمّ الكتّاب، ومن بعدهم الخطباء والمبلّغين.

وقد وجدت هذا التقصير عندما كنت في النجف الأشرف وأنا أستمع محاضرةً لأحد الخطباء اللامعين، إذ تعرّض لسورة يوسف وهو يلوّح إلى وقوع يوسف عليه السلام في المعصية، مدّعيًا أن القرآن صريح في عبارته، وقد قال بالحرف الواحد: (إنّ القرآن يقول: ﴿هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾، أي: جاذبته أطراف الحبّ، فطلبت منه الاقتراب ليقضي معها وطراً، وقد استجاب ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ...﴾ فلا حاجة إلى تأويل الآية والقول بأن يوسف همّ بها أي: ليضربها).

كان هذا الحديث في أوائل السبعينات، وعلى مستوى محاضرٍ في التاريخ وفي النجف الأشرف معقل العلم والعلماء...!!

واليوم أيضاً نسمع ما يصبّ في تلك القناة.

نعم، كان الحديث ليس عن يوسف عليه السلام فحسب؛ بل شمل الحديث - عند البعض - جميع الأنبياء، وادّعى أولئك أنهم غير معصومين، لا قبل ولا بعد النبوة...!!

يا أسفي على رجال الدين والتبليغ اين مضوا.

جواب الفقرة الأولى:

أحدهما: أمر واجب - وعلى المكلف - الإتيان به كما لو قيل: صم رمضان، أو: لا تغتّب مؤمنا.

والآخر: أمرٌ لا يدلُّ على الوجوب، كما لو قيل: لا تعبث بأصابعك في الصلاة، أو: لا تأكل في الطرقات، فهذا لا يدلُّ على وجوب عدم الأكل، وإنما يُحمل على الكراهية، ولو فعلته لم تستحق العقوبة، بل المقصود أنك لا تستحق الثواب الكامل، كما هو الحال بالنسبة للعبث في الصلاة.

أما النهي في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾ فإنه لا يراد به على وجه الإلزام أو التحريم، بل هو نهْيٌ تنزيهِيّ، أي: أنْ عدم امتثال آدم لهذا النهي يعني: أنّه ترك الأولى الذي كان يستحقّ عليه الثواب العظيم، علماً بأنّ الأصل في الأشياء هو الإباحة، لذا كان النهي بمثابة ترجيح ترك الفعل على الإتيان به، وإلاّ إذا كان النهي تحريميّاً فمعنى الإتيان بالمنهيّ عنه معصية كبيرة يستحقّ فاعلها الذمّ والعقوبة، وهذا ما يقرّه العقلاء، وفي إطار الناس العاديّين، فكيف لو كان بين محيط الأنبياء الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالاته وحملهم ثقل النبوة؟

ولو سلمنا أن النهي في الآية التحريم وليس نهياً تنزيهياً، وأن آدم ارتكب الشيء المحرم - المنهى عنه - إذن ما الفرق بين النبي والإنسان العادي؟ ولم يخص آدم بالنبوة؟

وختلاصة ذلك: أنَّ النهي في الآية هو نهى تنزيهي، وليس نهياً مولوياً؛ لأنَّ آدم (عليه السلام) عندما كان في الجنة لم يكلف بالأحكام، لذا عدم الالتزام أو ارتكاب

جواب الفقرة الأولى: ٢٨٣.

المنهي عنه لا يعني ارتكاب المعصية أو الكبيرة كالتي نفهمها نحن.
وما ارتكبه آدم (عليه السلام) لم يكن ذنباً كما تصوّره علماء أهل السنة؛ لأنّه خلاف منطق العقل. كما أنّ هذا تصوّر مُشين بساحة الأنبياء، وغير لائق بهم^(١).
وكلّ ما يمكن أن يقال في حقّ آدم: إنّهُ ترك الأولى الذي يستحقّ عليه كامل الأجر والثواب.

وربّ سائل يسأل: لمّ أكل آدم من الشجرة، مع أنّ الله - سبحانه وتعالى - أمره بعدم الاقتراب منها؟

فالجواب يتّضح من خلال بيان أمور:

أولاً: أنّ النهي في الآية ربّما لم يكن مرتكراً في ذهن آدم (عليه السلام) حال الأكل، بدليل الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْأَرْضِ كَرِهًا لِّلْكُفْرِ يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّغْوًا وَاعْتَرِفًا بِذُنُوبِهِ لَعَنَ اللَّهُ الْكُفْرَ وَالْكَافِرِينَ لَعْنَتُهُمْ عَلَيْهَا إِذْ فَتَنُوا رَبَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَئِن لَّمْ يَنتَهِوا لَأَعْلَيْنَا الْعَذَابَ الَّذِي لَكُنَّا عَاهِدًا لِّلْكَافِرِينَ﴾^(٢).

وهذا النسيان لم يكن بعيداً عن علم الله، ولا مستوراً ممّا ترتب عليه أمور ومصالح إلهية فيها انتظم الكون وتدرّجت الحياة، مروراً بمراحل عديدة منذ بدئها بأبسط صورها وإلى يومنا هذا، والتي تمثّلت المدنية فيها وارتقت إلى ذروتها العليا.

ثانياً: أنّ إبليس - عليه اللعنة - حلف لآدم وحواء، فقال لهما: إنّ الله مانهاكما عن هذه الشجرة إلّا لتكونا ملكين أو من المخلّدين، وقطعاً أنّ إبليس كان كاذباً في قسمه هذا، انظر إلى الآيات الكريمة: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

(١) روى الشيخ الصدوق في الخصال بسنده عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليه السلام) قال: «إنّ أيّوب النبي (عليه السلام) ابتلي سبع سنين من غير ذنب، وإنّ الأنبياء لا يذنبون؛ لأنّهم معصومون مطهرون لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً، صغيراً وكبيراً». وانظر مجمع البيان ١ / ٨٩.

(٢) طه / ١١٥.

٢٨٤.....الحسين سنام القرآن

الظَّالِمِينَ * فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَآئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١﴾

ثالثاً: إن إبليس - عليه اللعنة - قد أجهد نفسه غاية الجهد من خلال حسده لأدم أن يوقع به، أي: يوقعه في الخطأ، ومن ثم حرمانه من المنزل التي كان يتمتع بها آدم وقربه من ساحة الله سبحانه وتعالى، انظر إلى الآية الكريمة: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ...﴾^(٢). إن التغرير الذي استعمله إبليس لأدم هو ذلك الإصرار والقسم الكاذب. انظر إلى الآيات البيِّنات السابقة أنفاً^(٣) وإلى قوله تعالى: ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَكَ يَبْلَى...﴾^(٤).

فأيّ تغرير بعد هذا؟! أضف إلى ذلك أن إبليس لم يكشف عن كذبه. كما أن آدم (عليه السلام) لم يطلع على هذا الكذب، بل ما كان يعرف للكذب معنى، أما نسيان آدم أمر ربّه فهناك احتمالان:

الأول: يحتمل أن آدم (عليه السلام) نسي النهي الموجّه إليه، كحقيقة دالّة على النهي، لذا أكل من جميع الأشجار بضمنها الشجرة المنهيّ عنها الأكل.

الثاني: أن آدم نسي فقط نوع الشجرة المنهيّ عنها الأكل، وهذا النسيان كان السبب المهمّ في مخاطبة إبليس لأدم وحواء، والذي دلّهما على نفس تلك الشجرة ورغبهما في الأكل منها، وأقسم أنّه من الناصحين لهما. وغرض إبليس من هذا الدفع والإصرار هو: إيقاع آدم وحواء في الخطأ؛ كي يُحرّما من تلك

(١) الأعراف / ١٩ - ٢١.

(٢) الأعراف / ٢٢.

(٣) الأعراف / ١٩ - ٢٢.

(٤) طه / ١٢٠.

جواب الفقرة الثانية:..... ٢٨٥

المنزلة وذلك القرب الإلهي للذين كانا يتمتعان بهما.
ولا يخفى أن هذه الأحداث كانت مقدرة في علم الله سبحانه وتعالى، وأن حكمته شاءت ذلك، فكانت الأمور تجري بأسبابها.
ولكن هذا الاحتمال كسابقه في الضعف.

أقول: الاحتمال الأول وارد في المقام. وأما الاحتمال الثاني فيمكن مناقشته، وهو: أن القول: بأن آدم وحواء نسيا نوع الشجرة المنهي عنها قد يكون مردوداً بقوله تعالى: حكاية عن إبليس: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ﴾ مما يشير إلى مفروغية النهي لدى آدم وحواء عن هذا النوع من الشجر، ولم يبق لنا اختيار سوى أن نقول بأن النسي لم يكن منصباً على نوع الشجرة، وإنما كان منصباً على ذات الشجرة؛ هل كانت هذه أم تلك أم غيرهما؟ وبمعنى آخر: تعدد مصاديق النوع المنهي عنه في الخارج، وقد استفاد إبليس من هذه الشبهة فأقسم لهما - كاذباً - بأن الشجرة المنهي عنها ليست هذه بعينها، بل شجرة أخرى غيرها وإن كانت هذه تطابق تلك في الاسم والشكل.

وعلى أي، استعمل إبليس أسلوب المغالطة في الاحتجاج، وأوقع آدم وحواء (عليهما السلام) في الخطأ من خلال القسم الكاذب والتغريب بهما.

جواب الفقرة الثانية:

﴿وعصى آدم ربه فغوى...﴾. يقع الكلام أولاً في أصل المعصية، وهل هي جائزة على الأنبياء وبضمنهم المعصومين، أم غير جائزة؟ لذا حرى بنا أن نتعرض إلى عصمة الأنبياء بإيجاز.
فنقول: اختلف المسلمون في عصمة الأنبياء اختلافاً كبيراً، والكلام عن عصمتهم (عليهم السلام) يقع في أقسام:

٢٨٦.....الحسين سنام القرآن

القسم الأول: في اعتقاد الأنبياء.

القسم الثاني: في التبليغ.

القسم الثالث: في الأحكام والفتيا.

القسم الرابع: في السيرة والأفعال المختصة بهم (عليه السلام).

أما القسم الأول: فقد أجمعت الأمة على أن الأنبياء موحدون، ولا يقع الكفر والشرك منهم، باستثناء فرقة واحدة من الخوارج، وهم الفضلية، قالت بوقوع الذنب من الأنبياء. والذنب عند الفضلية كفر وشرك، لذا لا يبعد وقوع الكفر منهم.... وهذا أمر عجيب جداً، قاتلهم الله أنى يأفكون!!

وأما القسم الثاني: فأيضاً أجمعت الأمة على أنه لا يقع من الأنبياء الخطأ في التبليغ ونشر الرسالة، لا عمداً ولا سهواً، خلا بعض الناس، إذ جوزوه سهواً. وأما القسم الثالث: فكذا أجمعت الأمة على أنه لا يجوز خطأهم في الفتيا عمداً، أما سهواً فبعضهم جوزوه، وآخرون أبوه.

وأما القسم الرابع: حيث الاختلاف فيه كثير، وملخصه يقع في طوائف ثلاث:

الطائفة الأولى: الشيعة الإمامية الاثنا عشرية لا تجوز على الأنبياء ارتكاب الذنب مطلقاً، سواء كان الذنب من الكبائر أم من الصغائر، عمداً كان أم سهواً، قبل النبوة أم بعدها؛ فهم معصومون من حين الولادة، وهذا ما يوافق حقيقة معنى النبوة والرسالة، ولذا فالنبي لا بد أن يكون مختاراً من بين عامة الناس، ولا بد أن يمتاز بصفات لا يتمتع بها غيره، وله استعداد خاص، ومؤهلات ينفرد بها من بين سائر المجتمع الذي يعيش فيه ذلك النبي وبهذه المناسبة تجد نعتاً كثيرة قد أطلقها القرآن الكريم بحقهم:

منها: أنهم الهادون، وهم المهديون، وهم المقربون، وهم المطهرون، وكذا بقية الصفات التي أشار إليها القرآن: كالمنقذ، والمرشد، والإمام، والأمين،

جواب الفقرة الثانية:..... ٢٨٧.

والمصطفى والمجتبى، والمقرب...

هذه النعوت والمواصفات تؤكد على أفضلية الأنبياء على أممهم، وأنهم القدوة والنموذج الأمثل الذي يجب الاقتداء به والاستئنان بسنته...

الطائفة الثانية: وهم أهل الحديث والحشوية، وقد اختلفوا إلى أربعة مذاهب:

١ - بعضهم جَوَّز على الأنبياء فعل الكبائر قبل النبوة، وهذا مما ذهب إليه جماعة، منهم: الفخر الرازي.

٢ - والبعض الآخر جَوَّزها حال النبوة، عدا الكذب الذي يتعلّق بأداء الرسالة.

٣ - وقسم ثالث جَوَّزها حال النبوة، بشرط الإسرار دون الإعلان بها.

٤ - وقسم رابع قال بجواز ارتكابها - الكبيرة - عمداً قبل وبعد النبوة، وهو رأي أكثر الحشوية، وسيأتي ردنا عليهم - إن شاء الله - بعد قليل، فتأمل.

الطائفة الثالثة: المعتزلة، وأشهر فرقهم أربع:

١ - فرقة منهم منعت ارتكاب الصغيرة على الأنبياء عى سبيل العمد، وإنّما إذا حصل فهو على سبيل التأويل، وهذا ما ذهب إليه أبو عليّ الجبائي، وربما هو أقرب مذاهب المعتزلة إلينا من حيث توجيه تلك الآيات الكريمة.

٢ - فرقة ثانية منعت ارتكاب الذنب على الأنبياء عمداً، وإذا حصل منهم ذلك فهو إنّما على سبيل السهو والخطأ والغفلة، إلّا أنّهم محاسبون عليه لما يمتلكون من معرفة وقدرة تميّزهم عن سائر الناس، وهذا المذهب محكي عن النّظام، وجعفر بن مبشّر، وآخرين.

٣ - فرقة ثالثة من المعتزلة منعت الكبائر والصغائر المستخفة من الأنبياء،

قبل وبعد النبوة. أمّا الذنوب غير المستخفة فربّما حصلت منهم...

٤ - فرقة رابعة، والتي عليها أكثر المعتزلة، وتعتقد هذه الفرقة بجواز

٢٨٨.....الحسين سنام القرآن

ارتكاب الصغيرة دون الكبيرة عمداً.

هذه لمحة وجيزة للفرق البارزة عند تلك المذاهب من المسلمين، ولكن لا تخلو من مناقشة، حيث إنَّ العقل والمنطق السليم يبيان تلك الآراء، بل هي قابلة للردِّ، عملاً بالأدلة النقلية والعقلية.

والردُّ يكون موجَّهاً لكافة الفرق المتقدِّمة التي جوَّزت على الأنبياء فعل المعصية، كبيرها أو صغيرها، عمداً أو سهواً، قبل النبوة أو بعدها. وإليك ردنا مفصلاً فنقول:

الردُّ على الفضلية يتمثل في ما يلي:

١ - لا بدَّ من فهم معنى الذنب، وهل يراد به الخروج عن حدِّ الإيمان والتوحيد؟ وإذا لم يكن كذلك فكيف يعقل أن نفسر الخطأ الواقع عمداً أو سهواً أنَّه كفر؟

أو لم يكن الكفر هو جحود الخالق وعدم الإيمان به؛ أي: عدم الاعتقاد بوجوده؟!

أين هذا المعنى من ذاك الذي عليه الأنبياء والمرسلين من توحيد الله خالق الكائنات، والإقرار بربوبيته، وعدم الإشراك به...؟

وعلى هذا، فإنَّ الفضلية كفرت بقولهم ذاك؛ إذ جعلوا الذنب كفراً بتجويزهم على الأنبياء ارتكاب الذنب. إذن وقوع الكفر - على حدِّ قولهم - من الأنبياء جائز.

فهؤلاء الفضلية جعلوا جزء السبب علّة تامّة والتي ربّوا عليها كفر الأنبياء معاذ الله.

وهذا واضح بطلانه، حيث إنَّك لا تستطيع أن تطلق تسمية شيء ما من خلال جزئه. فمثلاً: جزء الاسم لا يعطي معنى الاسم أو على جزء معناه، كما أنَّك لا تستطيع أن تطلق كلمة إنسان من خلال أحد أجزائه بدنه...

جواب الفقرة الثانية:..... ٢٨٩.

وحاصل الكلام في هذا القسم: أنَّ الأنبياء مبرَّأون عن الخطأ في اعتقادهم (عليهم السلام) مطلقاً.

٢ - أمّا من جوّز خطأهم في مرحلة التبليغ فهو مردود بأدنى إشارة؛ لأنّك تعلم أنَّ الله - سبحانه وتعالى - قد اصطفى أنبياءه من بين الناس وجعلهم قدوةً لأممهم، وهم الهداة المهديّون، وقد اختارهم الله لهذه المهمة، وجعل قلوبهم أوعيةً وحيه، وسدّدهم بتوفيقٍ منه، وإنّه حافظ لوحيه بصريح قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فكيف يسهو النبيّ في تبليغ رسالة ربّه؟

٣ - أمّا بالنسبة إلى من جوّز الخطأ في الأحكام والفتيا سهواً، كأنما غاب عن ذهنه: أنَّ الشرائع السماويّة ما نزلت إلّا لتهذيب السلوك الإنسانيّ عن طريق الأمر الإلهيّ والنهي الإلهيّ، وهذا كلّ ممثّل بأقواله سبحانه وتعالى، وآياته الحقّة المنزلة على أنبيائه؛ وما مهمّة الأنبياء والرسل إلّا توضيح تلك الآيات للناس لعلمهم يعقلون، فمراد الجليل يصل إلى الناس بواسطة الأنبياء والرسل.

إذن، الأنبياء هم الأمناء في أداء الرسالة بما فيها من أحكام وقوانين. فالمشرّع الوحيد للأحكام هو الله جلّ شأنه، وهو باعث الانبياء والرسل، وهو الحافظ لدينه ورسالاته، وما على الأنبياء إلّا إيصال تلك الأحكام والمفاهيم إلى أممهم. وما يصحّ دليلاً في القسم المتقدّم يصحّ هنا أيضاً ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

٤ - وأمّا الردّ على مذاهب الطائفتين الثانية والثالثة من القسم الرابع؛ الذين جوّزوا وقوع الذنب من الأنبياء بأيّ صورة كانت فهذا غريب جداً، وأي فرق بين هذا القسم والأقسام الثلاثة المتقدّمة؟

أليس أقوال الأنبياء والرسل وأفعالهم وتقاريرهم هي جزء من التبليغ الذي كُلفوا به، وصورة من صورته؟

٢٩٠.....الحسين سنام القرآن

أُضيف إلى ذلك أنَّ الأحكام الشرعيَّة: إمَّا أن توجد صريحةً أو تستنبط، واستنباط الأحكام: إمَّا أن يكون من القرآن أو من السنَّة، لذا فإنَّ كثيراً من الأحكام كانت تستنبط من أقوال الرسول أو أفعاله أو تقريراته؛ لأنَّها الجزء الآخر لاستنباط الأحكام الشرعية وغيرها. فالسنَّة النبويَّة هي المرحلة المتَّمة لعملية التشريع، ولا فرق في ذلك - كما يظهر - بين جميع الشرائع.

٥ - إنَّ تجويز ارتكاب الذنب عند المعتزلة ممَّا يقدر بغرض البعثة من القبول والامتنال، وإذا كانت الذنوب الصغيرة جائزة الوقوع منهم عمداً فمن باب أولى جواز وقوع بقية المخالفات منهم كالصغائر من الذنوب، بل مطلق الذنب: كالكذب والغش والبهتان والافتراء والغيبة سهواً. الخ. إضافةً إلى ما أسلفناه سابقاً: من أنَّه يقدر بساحة النبوة والأنبياء، ومشين لهم، فهو - ارتكاب الذنب - ممَّا ينفرُّ الناس عن قبول التعاليم السماوية، بل لا يحصل منهم الانقياد ولا الطاعة لأنبيائهم، هذا على أقلِّ التقادير.

والسبب في ذلك جلِّي؛ لأنَّ طبائع الناس تنقاد في الحالات الطبيعيَّة إلى النفوس المهدَّبة؛ وتسكن إليها عندما تجدها طاهرةً زكيةً قد خلَّصت من دَرَن المعاصي والآثام، وهذه الميزات لا تحصل في الإنسان العاديِّ الذي جُبِّل على المعصية، بل لا بدَّ أن تكون مجتمعةً في فردٍ عصمه الله تعالى من الذنب والزلل، حتَّى يأخذ بمجامع القلوب، فيكون قوله وعمله ووعظه وإرشاده ممَّا تسكن إليه النفس وتطمع إليه البشريَّة في الخلاص؛ لأنَّ احتمال وقوع الذنب منهم مستحيل.

٦ - المعاصي عندنا كلّها كبائر، فمن جَوَّز على الأنبياء الصغائر فردَّه كما سبق؛ لأنَّ المعصية واحدة، وإنَّما سمَّيت صغيرةً بإضافتها إلى ما هو أكبر عقاباً منها. فجميع المعاصي والذنوب تكون منقَّرة، وهذا خلاف من ادَّعى أن الصغائر من الذنوب حكمها كمن ترك نفلًا فلا يستحقَّ الثواب وعلوَّ المنزل؛ لأنَّ

جواب الفقرة الثانية: ٢٩١

الذنوب كلها صغيرها وكبيرها تُعدّ من القبائح، وكل قبيح يستحقّ فاعله الذمّ والعقوبة. وإذا سلّمنا بأنّ الأنبياء لا تجوز عليهم العقوبة ولا الذمّ صحّ ما قلناه آنفاً: من أنّهم منزّهون عن المعصية بأيّ شكلٍ من الأشكال؛ وذلك لطهارة نفوسهم وصفاء سريرتهم من جهةٍ، وللتسديد الربّانيّ من جهةٍ أخرى.

أمّا ترك النفل فالنبيّ مندوب له، وليس فيه أمرٌ على وجه الإلزام والوجوب، بل حظّه منه هو الزيادة في الثواب والرقى في الرتبة والمنزلة. وترك النفل أو الندب لا يترتب عليه أيّ عقوبة ولا ذمّ ولا هو منقّر، وكلّ ما يقال فيه هو تنقيص الثواب.

٧ - أمّا ما ذهب إليه النظام ومن تبعه في تجويز الخطأ على الأنبياء، وأنّه يحصل من باب السهو والغفلة فإنّهم محاسبون عليه وما ذهبوا إليه فهو باطل وقد دلّل على هذا البطلان نفسه - صاحب المذهب - من غير أن يشعر به. اعلم: أنّ المحاسبة والمؤاخظة لا تقع إلّا من حيث وجود التكليف وبقائه مع كونه موجّهاً للمكلف، أمّا إذا ارتفع ذلك التكليف في حالٍ من الأحوال فلا يؤاخذ عليه المكلف؛ لأنّ لا تكليف عليه، فأيّ معنى للمؤاخظة؟

كما أنّ السهو والغفلة أو النسيان في الواقع منشؤه ارتفاع التكليف، لكن في أنّ ما بسببٍ قهريٍّ غير اختياري، فكيف يؤاخذ النبيّ على شيءٍ ليس محض إرادته ولا من اختياره؟ بل إذا حصل السهو - على تقدير القائل - فهو إنّما بتقدير المولى ومقتضى حكمته، وإلّا يكون حسابهم وعقوبتهم ظلم من الله، والظلم قبيح، والله جلّ شأنه لا يفعل القبيح، وبهذه المناسبة ارتفع التكليف عن المغمى عليه والنائم والمجنون.

٨ - إضافة إلى ما تقدّم كيف يحصل للناس الوثوق بالأنبياء في أداء الرسالة والتبليغ إذا لم ينزّهوا عن الخطأ العمدي في سيرتهم وأفعالهم؟ علماً بأنّ ارتكاب المعصية عمداً من الفرد العاديّ يوجب نفرة الآخرين منه ويعرضه إلى

٢٩٢.....الحسين سنام القرآن

السقوط، فكيف لو حصلت المعصية من الأنبياء؟
إذن، لابد من القول بعصمتهم جميعاً من دون استثناء، بل إن عصمتهم
معجزة أخرى إضافة إلى معجزهم التي ظهرت على أيديهم بإذن الله، ولا كيف
يحصل لهم الإنقياد من قبل الناس ما لم يكونوا مثلاً للاستقامة في القول
والعمل؟

وإذا لم تحصل لهم الاستقامة فما الفرق بينهم وبين عامة الناس؟
ولم خصهم الله دون غيرهم لتحمل الوحي وتبليغ الرسالة وحمل
الأمانة...!؟

٩ - لا فرق في بطلان قول من قال بحصول المعصية حال النبوة أو قبلها
وإن تاب منها؛ لأن الجميع يتعلق بساحة المعصية التي تكدر النفس والقلب،
وبها تهبط الروح إلى التسافل والقذارة، وكما أسلفنا فإن ذلك ينفّر الناس
ويصدّهم عن الإيمان برسالة الأنبياء؛ لأن المرشد أو المبلّغ إذا انكشفت لك
قبائح فعالة ومعاصيه الماضية مع علمك أنه قد أقلع عنها الآن وتاب سوف لا
يؤثر فيك كما لو كان معصوماً من الزلل ومبرّءاً من الدنس والذنب، والعلة في
ذلك إما في ذهنك من صورة قبيحة عن سلوك ذلك المبلّغ النبي، فلا تطمئن
النفس إلى أقواله أو سلوكه الجديد؛ لأنك ترى في حقّ هذا النبي أن مقارفته
للذنب ثانية محتملة طالما كانت له سابقة غير مرضية...

أمّا المبلّغ - النبي - الذي عرفت طهارته ونزاهته وعصمته منذ ولادته إلى
حين وفاته فتأثيره في النفوس والانقياد إليه شيء مسلّم، بخلاف من تقدّم؛ لأن
طبائع البشر تنقاد لسحر الفضلية، وللقلوب الطاهرة، وللعصمة المتمثلة في
الأنبياء، وهكذا. فالناس منقادة إلى عيّنات خالصة من الإثم، نقيّة من الزلل،
معصومة عن الخطأ، وهذه العيّنات والجواهر هم الأنبياء والرسل (عليهم السلام).

كلّ ما تقدم من الاستدال كما هو ينطبق على الأنبياء كذلك ينطبق على

جواب الفقرة الثالثة ٢٩٣

المعصومين من أهل البيت (عليه السلام) في تنزيههم عن المعاصي والذنس؛ وذلك بصريح الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

هذه جملة من الإيرادات والردود التي أردنا ذكرها، وتركنا التفصيل إلى مجالٍ آخر إذا شاء الله سبحانه، آملاً أن ينتفع بها القارئ، وعند الله الصواب، وإليه المآب. ونعود إلى ما أشرنا إليه في أول البحث:

إنَّ المعصية التي ذكرها القرآن الكريم بالنسبة لآدم (عليه السلام) - كما يظهر - أنه ترك الأولى المندوب إليه، والاستعمال هنا يحمل على المجاز، ولا يمكن القياس عليه.

ومن يدقق النظر في القرآن الكريم يجد آياتٍ كثيرة في هذا الخصوص لذا تُحمل المعصية هنا على المعنى الواسع الذي يدخل فيه المجاز، هذا، والله العالم.

أمَّا الغواية: فيراد بها: الخيبة من حصول الثواب؛ لأنه (عليه السلام) ترك المندوب إليه الذي يستحق بفعله - المندوب - الثواب الكامل، والله أدرى بحقائق الأمور.

جواب الفقرة الثالثة:

اتضح ممّا سبق: أنَّ آدم (عليه السلام) ترك الأولى؛ أي: الشيء المندوب إليه، وبهذا الفعل فوّت على نفسه الثواب والمنزلة العظيمة التي تمثّلت بوجوده في الجنة وقربه من الله عزّ وجلّ، وارتفاع التكليف وعناء الحياة عنه... الخ. فدعاؤهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ يَغْنِي: أننا حرّمنا أنفسنا من ذلك الثواب المرجوّ لنا، فالظلم هنا يراد به النقص؛ وهذا شأن من فوّت على نفسه جملةً من

٢٩٤.....الحسين سنام القرآن

المنافع والامتيازات بتركه الإرشادات والتوصيات فيصف نفسه - حينئذ - أنه ظلمها لذهاب تلك المنافع من عنده.

ويحتمل هناك قول آخر في كلمة ﴿ظلمنا أنفسنا﴾، حيث قيل: ظلمنا أنفسنا بالنزول إلى الأرض، ومفارقة العيش الرغد، كما حكاه الطبرسي^(١).

جواب الفقرة الرابعة:

نُسب الإِزْلال إلى الشيطان لأنه كان سبباً في حمل آدم (عليه السلام) على الأكل من الشجرة، عن طريق الإِغْواء والوسوسة والقَسَم الكاذب والإِغْراء، وإلى غير ذلك من الأساليب التي جاء بها إبليس عليه اللعنة، وهذا الأسلوب حمل آدم وحواء (عليهما السلام) على الزلَّة، وهو الأكل.

أما سبب ذلك الإِغْواء هو: لما في نفس إبليس من عداوة وبغضاء وحسدٍ لآدم، والقرآن الكريم يبيِّن لنا هذه العداوة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى...﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).

وهكذا قل بالنسبة للإِخراج، حيث نسبته تعالى إلى إبليس؛ لأنه كان سبباً

له.

(١) انظر مجمع البيان، في تفسير الآية.

(٢) طه / ١١٦ - ١١٧.

(٣) الأعراف / ٢٢.

جواب الفقرة الخامسة:

لم يكن إخراج آدم وحواء (عليهما السلام) من الجنة على سبيل العقوبة، بل هو أمر تكويني ناتج عن مصلحة.

والمصلحة اختلفت باختلاف الأحوال، أي: كانت المصلحة ببقاء آدم وحواء في الجنة، لكن بشرط الطاعة وامتنال أوامر الله سبحانه وتعالى التي منها: عدم الاقتراب من الشجرة، أو عدم الأكل منها. ولما أكلا منها تغيرت المصلحة تلك وتبدلت وأصبح هبوط آدم وحواء إلى الأرض هو الغرض فيما بعد، وهذه مصلحة أخرى، لذا كان الأمر تكوينياً؛ أي: أن هبوطهما كان نتيجة الأكل، كما أن النار يتبعها الإحراق والرماد، وأن تناول السم يتبعه القتل. إذن، ليس بين هذه الأمور ونتائجها تلازم في التشريع، بل تلازم في التكوين، ولمثل هذا قل في شأن آدم وهبوطه إلى الأرض.

وكما يتضح من الآيات الكريمة: أن آدم خُلق لأن يعيش ويحيا في الأرض لا في السماء، انظر إلى آية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾^(١) يا ترى من هو الخليفة؟

هو آدم وذريته من بعده، ومثل ذلك نقرأ في سورة يونس: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾^(٢)، وكذا في سورة النمل: ﴿وَجَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾^(٣)، فالمراد هنا: عموم الخلافة التي مثلها الإنسان.

فالحكمة الإلهية اقتضت - بعد أكل آدم من الشجرة - الهبوط إلى الأرض، مع تدارك الرحمة لهذا الإنسان الضعيف الذي حمل الأمانة التي أثبت الملائكة

(١) البقرة / ٣٠.

(٢) يونس / ١٤.

(٣) النمل / ٦٢.

٢٩٦.....الحسين سنام القرآن

والسماوات والأرض أن تحملها، وقد حملها الإنسان وهو ظلوم جهول^(١)، أي: نصب نفسه للتعب والعناء والمشقة والكد والكدح. ومع كل ذلك أن الله سبحانه وتعالى أحاطه برحمة منه وشفقة، وتجاوز عنه بمنه وإحسانه، فعلمه التوبة آنذاك في مقام الخروج عن العبودية له، وتقبل منه تلك التوبة بعدما أناب إليه واستغفر لذنبه.

لذا خروج آدم من الجنة لم يكن عقاباً له؛ لأننا قلنا سابقاً: لا يصحّ من الأنبياء وقوع الذنب والمعصية في الأمر المولوي الموجه لهم. وإذا سلّمنا - جلدلاً - وقوع المعصية من آدم وحواء فإنّ توبتهما واستغفارهما يجعلهما كمن لا ذنب له، وحينئذٍ فلا بدّ من إعادة المنزلة لهما وعودهما إلى القرب الذي كانا عليه، وكلّ ذلك متمثّل بالجنة التي سكنها آدم وحواء، ومع ذلك لم يُعذّب آدم وزوجه إلى الجنة ثانية.

إذن، المعصية لم تصدر من آدم على الوجه الذي يدّعيه أكثرية علماء أهل السنة. كما لا بدّ أن يكون النهي في الآية: ﴿لَا تَقْرَبَا الشَّجَرَةَ...﴾ نهياً تنزيهياً. ولما أكلا من الشجرة بمعنى أنّهما تركا الأولى المندوب إليه، والهبوط إنّما كان لأنّه أمرٌ ملازم للأكل كنتيجة، وليس كعقوبة؛ لأنّ العقوبة أعمّ من الضرب، فتشمل كلّ ألم نفسانيّ، فمنه الطرد والبعد والصدّ والإعراض...الخ الواقع على سبيل الإهانة والاستخفاف، وما حصل لأدم لم يكن على هذا السبيل، بل إنّّه كان من المقرّبين المصطفين عند الله بصريح القرآن الكريم حيث قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وكذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ وَهَدَىٰ﴾^(٣).

(١) ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُلًا﴾. الأحزاب / ٧٢.

(٢) آل عمران / ٣٣.

(٣) طه / ١٢٢.

جواب الفقرة الخامسة ٢٩٧

وهذه الرحمة لم تقتصر على آدم وحده (عليه السلام)، بل شملت أبنائه وذريته طول التاريخ، وقوله تعالى في ذلك: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ...﴾ (١).

إضافة إلى ما تقدّم، لدينا روايات كثيرة معتبرة عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) تدلّ على أنّ آدم ما خلق للجنة بل خلق للأرض، وأن يعيش فيها ويحيا على أديمها ويأكل من نباتها...

فمن هذه الروايات: ما في تفسير العياشي والبرهان وغيرهما محكيًا عن زرارة، قال: دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) فقال: أي شيء عندك من أحاديث الشيعة؟ فقلت: إنّ عندي منها شيئاً كثيراً، فقد هممت أن أوقد لها ناراً فأحرقها، فقال (عليه السلام): واراها تنس ما أنكرت منها، فخطر على بالي الأدميون، فقال: ما كان علم الملائكة حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قال: وكان يقول أبو عبدالله (عليه السلام): إذا حدّث بهذا الحديث هو كسّر على القدرية، ثم قال أبو عبدالله (عليه السلام): إنّ آدم (عليه السلام) كان له في السماء خليل من الملائكة فلما هبط آدم من السماء إلى الأرض استوحش الملك وشكا إلى الله تعالى، وسأله أن يأذن له، فأذن له، فهبط عليه فوجده قاعداً في قفرة من الأرض، فلما رآه آدم وضع يده على رأسه وصاح صيحةً، قال أبو عبدالله (عليه السلام): يروون: أنّه أسمع عامّة الخلق، فقال له الملك: يا آدم، ما أراك إلا وقد عصيت ربك وحملت على نفسك ما لا تطيق، أتدري ما قال لنا الله فيك فرددنا عليه؟ قال: لا، قال: قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قلنا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فهو خلقك أن تكون في الأرض. أيستقيم أن تكون في

٢٩٨.....الحسين سنام القرآن

السماء؟ قال أبو عبد الله (عليه السلام): والله عزى بها آدم ثلاثاً^(١).

جواب الفقرة السادسة:

اعلم: أن التوبة بحد ذاتها لا تسقط العقاب، وإنما يسقطه الله تعالى تفضلاً ولطفاً منه. أمّا ما توجهه التوبة فهو استحقاق الثواب.

وقبول التوبة من العبد هو ضمان الثواب له عليها، لذا كانت التوبة من آدم على هذا الوجه.

أضف إلى ذلك: أن توبة الأنبياء لا توصف بتوبة سائر العباد؛ لأن منزلة الأنبياء ومعرفتهم لعظمة الله وقدرته وجبروته وسلطانه غير معرفة البشر، لذا يستعظمون من أنفسهم الزلل اليسير ولو كان على سبيل ترك الأولى؛ فيديمون التوبة والاستغفار مدى وجودهم في الدنيا، وهذا هو الانقطاع إلى الله سبحانه والرجوع إليه في كل آن؛ وذلك ممّا يثاب عليه العبد ويؤجر.

(١) انظر تفسير العياشي ٣٢ / ١، وتفسير البرهان ٧٥ / ١، والبحار ٢١١ / ١ - ٢١٢.

فصل في التوبة

التوبة والإنابة والإقلاع في اللغة نظائر، وضد التوبة الإصرار، وأصل التوبة: هو الرجوع عما سلف، والندم على ما فرط، والانقطاع إلى الله. والتوب: مصدر للفعل تاب، واسم فاعله تائب، ومن صيغ المبالغة لاسم الفاعل هو فعَّال، تَوَّاب، بمعنى: كثير التوب، وكثير الندم والانقطاع، وهذا ما يصدق على العبد. وقد وصف الله نفسه بأنه تَوَّابٌ رحيم فهل يراد به المعنى السابق...؟ كلا؛ لأنَّ المعنى المتقدم يختصُّ بمن ارتكب الذنب، وهو العبد. إذن، لابدَّ من معنى آخر، وهذا المعنى الآخر هو: أنَّه يقبل التوبة من عباده فالله تائب على العبد بقبول توبته، والعبد تائب إلى الله تعالى بندمه على معصيته. وقبول التوبة ليس واجباً على الله تعالى، وإنما قبولها من باب اللطف الربَّانيِّ والإحسان الدائم. إذن، هو سبحانه متفضل علينا بقبول التوبة. وممَّا يؤكد هذا المعنى: خاتمة الآية التي في صدر البحث، إذ خُتمت بكلمة «الرحيم»، وهذه الصفة دلَّت على أنَّ قبول التوبة هي رحمة إلهية، ونعمة أنعمها الله على عباده.

ثمَّ كلمة تَوَّاب التي جاءت على صيغة الكثرة تأكيد آخر على قبول التوبة؛ وإلاَّ كان يقول: هو التائب على صيغة اسم فاعل، ومعلوم أنَّ هذه الصيغة لا تعطي معنى الاهتمام للتوبة، فهي أقلُّ بلاغةً من سابقتها.

فالتوبة - كما عرفت - من العبد هو: رجوع العبد إلى الله بالطاعة والانقياد بعدما عصى وطغى، والتوبة من الله تعالى: هو رجوعه بالعطف على عبده بإلهامه التوبة أولاً، ثمَّ قبوله إيَّاهَا من العبد ثانياً، لذا فإنَّ لله توبتين، وللعبد واحدة بين

.....٣٠٠.الحسين سنام القرآن

التوبتين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾^(١)، بمعنى: وفقهم، أو ألهمهم التوبة ليرجعوا، ثم إذا رجعوا قبل توبتهم؛ لأنه هو التواب الرحيم.

شروط التوبة:

من أهم شروط التوبة هو: الندم على ما مضى من القبيح وارتكاب الذنب، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح.

وقد أجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها، واختلفوا فيما عداها، ولا يقتصر الندم على ترك القبيح الذي أمرنا الشارع بتركه، بل يشمل أيضاً الندم على ترك المندوب حتى لا يغفل الإنسان عن طاعة ربه، ولا يبتعد عن ساحة لطفه ورحمته، بل إن ترك المندوب ربما يكون مقدمة لارتكاب المكروه، أو الوقوع في المحذور.

وقد حثنا الله - عز وجل - على التوبة من الذنب، والإقدام على الطاعة، والاستغفار في كل لحظة، وضمن لنا المغفرة وقبول التوبة، وانزال الرحمة والرضوان، وفي ذلك شواهد كثيرة في القرآن:

منها: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ

(١) التوبة / ١١٨.

(٢) المائدة / ٣٩.

(٣) طه / ٨٢.

شروط التوبة:..... ٣٠١.

رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤).

إلى ما شاء الله من الآيات الكريمة التي تقدّر بأكثر من (٤٠) آية وردت فيها كلمة التوب ومشتقاتها.

ولا يخفى أنّ التوبة: هي عبادة رغب إليها الجليل على أنّها واجبة من العبد^(٥)، وهي تكشف لنا حقيقة عبودية الإنسان لله سبحانه من جهة، واحتياج الإنسان إلى الله الغني في كلّ الأمور والأحوال من جهة أخرى. ولا فرق في أن تكون التوبة من المعاصي والكبائر، أو أن تكون من الصغائر والليّام.

وخلاصة الموضوع نقول: التوبة شأنها شأن المريض الذي يطلب الشفاء فيصِف له الطبيب نوعين من الدواء: الأوّل يسمّى بالتنقية، والثاني يسمّى بالتقوية؛ فالأوّل سلبيّ، والثاني إيجابي. ويندرج تحت القسم الأوّل مراتب أربع هي: تفريق ونقض وترك ورفض. والتفريق هو الفصل بين الشيّئين، والنقض رفع الأشياء المستحققة عن الشيء الأصل؛ موضع القذارة عن الملابس. والترك هو الانقطاع عن الشيء. والرفض هو الترك مع إهمال وعدم مبالاة.

(١) الأعراف / ١٥٣.

(٢) البقرة / ٢٢٢.

(٣) التحريم / ٨.

(٤) النور / ٣١.

(٥) البحار ١١ / ٢١٢.

تأويل الآية بالدليل الروائي

في البحار محكيًا عن الدرّ الثمين: أن آدم (عليه السلام) رأى ساق العرش وأسماء النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) فلقنه جبرئيل دعاءً: قل: يا حميد بحق محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلما ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي، قال جبرئيل: ولذلك هذا يُصاب بمصيبةٍ تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي، وما هي؟ قال: يُقتل عطشاناً وحيداً غريباً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: وا عطشاه، وا قلّة ناصراه، حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كال دخان، فلم يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه، وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النساء كذلك، سبق في علم الواحد المنان، فبكى آدم (عليه السلام) وجبرئيل بكاء الشكلى»^(١).

أقول: لا يستبعد أن تكون الكلمات التي تلقّاها آدم (عليه السلام) من ربّه قد تضمّنت بعض المضامين المخصوصة لإصلاح الفاسد من الأمور، ولا شك أن معصية آدم التي ذكرت في القرآن كان إصلاحها التوبة والاستغفار والدعاء، وقد أشارت الأخبار المتضافرة من أهل البيت (عليهم السلام): أن هذه الكلمات هي: النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وعليّ وفاطمة والحسين والحسين (عليهم السلام)، لذا دعا بها آدم (عليه السلام) ربّه فتاب عليه، والله العالم بحقائق الأمور^(٢).

وفي تفسير البرهان بإسناده عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال سألت

(١) البحار ٤٤ / ٤٥ نقلاً عن كتاب الدرّ الثمين.

(٢) انظر تفسير العيّاشي ١ / ٤١.

تأويل الآية بالدليل الروائي..... ٣٠٣

النبي (ﷺ) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت علي فتاب عليه^(١). وفيه سبعة عشر حديثاً بطرق مختلفة تفسر الكلمات بالخمس المعصومين (عليهم السلام) بالفاظ متقاربة فراجع.

وكذا أخرجه ابن النجار عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور^(٢).

وفي مناقب ابن المغازلي: عن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة، أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبيد الله بن شاذب، حدثنا محمد بن عثمان، قال: حدثني محمد بن سليمان بن الحارث، حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار، حدثنا حسين الأشعر، حدثنا عمرو بن أبي المقدم، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس قال: سئل النبي (ﷺ) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: سأله «بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت علي» فتاب عليه^(٣).

(١) تفسير البرهان ١ / ٨٧ ط، طهران.

(٢) الدر المنثور ١ / ٦٠.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٦٣ ط الاسلامية طهران. وكذا نقل منه العلامة القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ٩٧. وكذا في تفسير اللوامع ج ١ / ٢١٩.

٣٠٤.....الحسين سنام القرآن

الآية الثانية:

قوله تعالى..

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(١)

نجيّاكم بمعنى: أنقذناكم وخلصناكم، ومنه سمّي المكان المرتفع: نجوة؛ لأنه يخلص من التجأ إليه، فهو بمنزلة الحصن والمأوى للهاربين. والآل تستعمل لخاصة الرجل. أما الأهل فهم خاصة الشيء فتقول مثلاً: أهل مكة، ولا تقول آل مكة.

وفرعون صفة لملك العمالقة، كما يتضح من تسمية ملك اليمين (تبع)، وملك الحبشة (النجاشي)، وملك الروم (قيصر)، وملك الترك (خاقان)؛ فهذه صفات لأولئك الملوك.

وذهب آخرون إلى أنه اسم لكل من: ملك القبط ومصر^(٢).

واسم فرعون - كما قيل -: مصعب بن الريان. وبعضهم قال: هو الوليد بن مصعب، وآخرون قالوا: اسمه قابوس، وكان من القبط.

وكيف ما كان، فإن فرعون موسى غير فرعون يوسف؛ لأن الفاصل الزمني بين دخول يوسف (عليه السلام) مصر وبين دخول موسى (عليه السلام) لها أكثر من أربعمائة سنة.

وإذا كان عزيز مصر المقصود منه هو فرعون موسى، وأن فرعون طغى في الأرض وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ فكيف يصحّ لنبي الله يوسف (عليه السلام) أن يدخل في ملك الكافر ويكون أميناً على خزائنه ويعمل لصالح سلطنته؟! مع العلم أن عزيز مصر آمن بيوسف (عليه السلام) ومات في حياته...

(١) البقرة / ٤٩.

(٢) كما ذهب إليه السهيلي.

الآية الثانية ٣٠٥

ولذا فقول ابن وهب - في جعل فرعون يوسف هو فرعون موسى -
مردود وغير صحيح.

والسوم: هو الطلب والابتغاء، ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أي:
يكلّفونكم بممارسة الأعمال الشاقة والمتبذلة التي فيها الإهانة والازدراء
والمنقصة.

فكلمة سوء العذاب التي استعملت في أشدّ العذاب وأفضعه بيان لكيفية
السوم والتكليف^(١).

وهذا واضح عندما يتحكّم الطاغوت في رقاب الضعفاء من الرعية فإنّه
يُقهّره على ممارسة الأعمال بشتّى صورها وألوانها التي تخالف الفطرة
والعدالة الإنسانية.

وهذا تذكير لبني إسرائيل الذين عاصروا الرسول الأكرم (ﷺ) والرسالة
الإسلامية، ثمّ إعادتهم إلى مشهد الكرب العظيم الذي مارسه بحقّهم فرعون
موسى، فصوّرت لهم الآية مشاهد العذاب والإهانة؛ لذا استخدمت الآية الجريمة
كلمة (السوم) التي بمعنى: الطلب والابتغاء، وفي الأصل تستعمل للماشية عندما
تترك للرعي دائماً، فكأنّما العذاب والهوان كان الغذاء الدائم المقدّم لهم من قبل
طاغيتهم فرعون.

وليس من العبث أن يذكّرهم القرآن الكريم بشأن أسلافهم الماضين؛ لأنّ
هؤلاء أبناء القوم، وهم ﴿على آثارهم مقتفون﴾، فالقرآن المجيد يريد أن
يصوّر ذلّتهم بالتبعية، وذلة آبائهم في الأصل، وكلّ ذلك إنّما كان لأنّه امتحان
وابتلاء؛ كي يفيق العبد من سكرته وغفلته الطويلة، وفي الامتحان يتدارك
الإنسان جملةً من المواقف، فيكسبها لصالحه، ويتعظ بما فرط وبما حلّ به من
البلاء، وينهض للجدّ والاستقامة فالتجربة المؤلمة تزيد الإنسان ثباتاً، وتصلّق
آراءه، وتهذّب عقيدته، وتأخذ بيده إلى الطريق السوي.

(١) حمل البعض (سوء العذاب) فقط على التكاليف الشاقّة دون الذبح. انظر هامش رقم (٢) من

٣٠٦.....الحسين سنام القرآن

هذا إذا كان المرء يستلهم المعرفة والخبرة من تلك الابتلاءات والآلام التي صادفته، فيزداد صبراً وتضرعاً لله، وثباتاً في انتظار الفرج، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله سبحانه، بل يحث نفسه على التقوى والعبادة والإخلاص أكثر من ذي قبل. وإذا لم يعتبر المرء بالابتلاءات والمحن التي تمر عليه فلا نصيب له من النجاة بشيء.

ثم تلوح الآية لهم مشهد النجاة والطمأنينة بقبولهم الإسلام والدخول فيه، والعمل لصالح الدين الجديد ومن يستظل بظله، وهذا المعنى يتأكد أكثر في الآية التي بعدها^(١).

والنتيجة: أن الآية الكريمة جعلت اليهود في حالة تذكّر دائم بما فعله فرعون مع أسلافهم، حيث كان يستخرهم في عمل الطين، ونحت الجبال، ورفع الأثقال والحجر والقمامة. كما فرض على البعض منهم دفع الجزية. ولم يكتف بهذا، بل زادهم مع ذلك الهوان وذلك العناء أن قيدهم لثلاً يهربوا، وربما سقط أحدهم من السلالم فيكون الموت حليفه.

ومن جملة سوء العذاب: هو قتل الأبناء^(٢)، واستحياء النساء؛ أي: إستبقاءهنّ للاسترقاق والخدمة، وربما افترشوهنّ كالإماء، وهذا هو البلاء العظيم، كما وصفته الآية الكريمة.

(١) أي: في الآية / ٥٠ من سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾.

(٢) حمل البعض (سوء العذاب) فقط على التكاليف الشاقة دون الذبح. أمّا الأبناء فيراد بهم: الأطفال الذكور منهم دون الإناث؛ لأنّ فرعون استعلم من المنجمين أنّ ذهاب ملكه سيكون على يد مولود من بني إسرائيل، لذا وكلّ القوابل على النساء حتّى يضعن، فإن كان المولود ذكراً قتلوه، وإن كان أنثى تركوها.

وفي بعض الأخبار: أنّ فرعون قتل أربعين ألف صبيّ، وفي أخبار أخرى: أنّه كان يقتل الرجال، وإذا صدقت عليهم كلمة الأبناء إنّما هو من باب المجاز باعتبار ما كانوا وهذا شبيهه قوله تعالى: ﴿وأتوا اليتامى أموالهم...﴾.

تأويل الآية بالدليل الروائي من باب الجري ٣٠٧

تأويل الآية والدليل الروائي من باب الجري

نظير ذلك الأمر في هذه الأمة: ما نزل بالحسين (عليه السلام) وعثرته العاهرة، وكأته (عليه السلام) أشار إلى الآية الكريمة، حيث قال - حين وداعه لأهل بيته - في جوابه لأخته زينب لما قالت ردنا إلى حرم جدنا، قال: وكأني أراكم غير بعيد كالعبيد، يسوقونكم أمام الركاب، ويسومونكم سوء العذاب.

وفي البحار: عن تفسير القمي، عن الصادق (عليه السلام) قال: لقي المنهال بن عمرو الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) فقال له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال (عليه السلام) ويحك، أما تعلم كيف أصبحت؟ أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا.

وفي رواية السيد الأمين: خرج زين العابدين (عليه السلام) يوماً يمشي في أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو، فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال: أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. يا منهال، أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً عربي، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغضوبون مقتولون مشردون ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ممّا أمسينا فيه يا منهال^(١).

أقول: ما أوردناه في هذا الدليل هو من باب الجري، بمعنى: أن من مصاديق الآية الكريمة هم ذرية الرسول الذين لا قواشئ ألوان العذاب من بني أمية، كما لاقى بنو إسرائيل هناك ألواناً من العذاب لما كانوا تحت سطوة فرعون وحكمه الغاشم، لكن فعل بني أمية كان أشدّ قسوة من فرعون؛ لأن فرعون

(١) البحار ٤٥ / ٨٤ و١٤٣، المجالس للسيد الأمين ص ١٤١.

٣٠٨.....الحسين سنام القرآن

مارس في حقّ بني إسرائيل القتل والتشريد وإذلال الناس واستحياء النساء، وغير ذلك من وسائل التعذيب والازدراء، إلا أنه مع الفارق بالنسبة إلى بني أمية وما فعلوه بالحسين وأهل بيته عليهم السلام؛ وذلك أنّ ما حصل لبني إسرائيل أقلّ هواناً، حيث ما كان من بين هؤلاء المقتولين أو المعذبين أو المشرّدين معصوم، وما كان من بينهم أحد ينتسب إلى ذرية نبيّهم.

ثم إنّ فرعون لم يكن مؤمناً برّب السماء، وما كان مذعناً لموسى ولا مؤمناً بنبوته أو غير ذلك؛ فهما على طرفي نقيض من حيث الكفر والإيمان والعقيدة. أمّا بنو أمية فظاهراً كانوا يدعون الإسلام ويزعمون أنّهم موحدون وإن خالف عملهم قولهم، سعيّاً وراء الحياة الدنيا وزخرفها إلا أن هذا الإدعاء لا ينفعهم إذ في عدّة أماكن ومواقف خرج منهم قولاً وعملاً ما يستدلّ به على كفرهم وجحودهم وانكارهم لضرورات الدين^(١) فاتّبعوا الباطل وتركوا الحقّ والهدى وراء ظهورهم. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: فإن يزيد وبني أمية لم يحاربوا إنساناً عادياً أو جرمقاً من جرامة الكوفة أو صعلوكاً من صعاليك البادية، بل أقدموا وجّهزوا العُدّة والعدد لمحاربة حجّة الله في أرضه، وهو ابن بنت نبيّهم المفترض الطاعة، الذي ليس على وجه الأرض غيره، فهذا ممّا يهول المصاب ويجعله عظيماً بحيث تتصاغر المصائب والوقائع تجاهها، ويقلّ الخطب دونها، وأيّ رزية أعظم من رزية الحسين عليه السلام؟ وأيّ فادحة أكبر من فادحة يوم الطفّ...!؟

أضف إلى ما تقدّم، أنّ يزيد وأتباعه الذين إشتروا في حرب الحسين عليه السلام لم يكتفوا بالحسين وحده، بل ذبحوا أبناءه وقتلوا إخوته وأهل

(١) سنوّف القاريّ الكريم في المكان المناسب - إن شاء الله - على بعض تلك الشواهد التي صدرت عن خلفاء بني أمية والتي لا يمكن تأويلها، بل صراحة فيها الإنكار والجحود لكثير من ضرورات الدين.

تأويل الآية بالدليل الروائي من باب الجري ٣٠٩

بيته الذين جلّهم من السلالة الطاهرة لبیت النبي، ثم من بعد القتل مثّلوا بأجسادهم وقطّعوا أوصالهم ورفعوا رؤوسهم على الرماح يتهادونها فيما بينهم، يتنقلون بهم فرحين من بلدٍ إلى آخر.

وأضف إلى ذلك، أنّ من بين المعذّبين والمشرّدين كان الإمام زين العابدين والامام محمد الباقر صغيراً وهذا من هوان الدنيا على أمة محمد أن ترى أئمتّها أسرى قد انتهكت حرّماّتهم، يقاسون شتّى ألوان العذاب من طاغية عصرهم يزيد وأتباعه من بني أميّة وسائر العرب.

٣١٠.....الحسين سنام القرآن

الآية الثالثة:

قوله تعالى..

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمتقين﴾^(١)

يراد بالاعتداء هنا: التجاوز على أمر الله، إذ حصل منهم التجاوز بالاصطياد في يوم السبت. والسبت هو أحد أيام الأسبوع، وسمي ذلك اليوم سبتاً لأن اليهود كانوا يستبتون فيه، أي: يقطعون فيه الأعمال. وربما قيل: هو يوم الراحة؛ لأن أصل السبت هو السكون والراحة كما ذكره القرآن الكريم ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾^(٢). والخاسي المطرود والمبعد.

روي عن ابن عباس: أن الذين اعتدوا في السبت كانوا في زمان داود (عليه السلام)، يستقرّون على ساحل البحر بين المدينة والشام بـ«أيلة»، وهو مكان من البحر، يجتمع الحيتان فيه من كلّ مكان في شهر من السنّة، وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصّة، كما في قوله تعالى: ﴿تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم...﴾^(٣).

أمّا كيفية الاعتداء فكانوا يحبسونها يوم السبت ويصطادونها في الأحد. وروي: أنّهم اصطادوا يوم السبت مستحلّين بعدما نهوا عنه، وقد ذكر القرآن الكريم القرية التي كانت تمنعهم من الاصطياد في قوله تعالى: ﴿وسئلهم

(١) البقرة / ٦٥ - ٦٦.

(٢) النبأ / ٩.

(٣) الأعراف / ١٦٣.

الآية الثالثة ٣١١

عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت^(١). ولفعلهم ذاك استحقوا المسخ من صورة إنسانٍ إلى صورة حيوانٍ على هيئة القرد المعهود.

وقد اختلف المفسرون في معنى المسخ، فمنهم قال: مسخ قلوبهم، بمعنى الطبع والختم، وهذا بعيد عن ظاهر الآية التي أفادت التغيير في الخلقة. وقد صرح القرآن الكريم في موطن آخر تحذيراً لأهل الكتاب الذين يصدّون عن ذكر الله، فقال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا...﴾^(٢)، فالطمس: هو التغيير وتحويل الوجه إلى الخلف، وهذا تغيير في الخلقة.

وروي عن مجاهد: أنّهم لم يمسخوا قردهً، وإنّما هو مثّل ضربه الله؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا...﴾^(٣). وهذا القول أيضاً لا يساعد عليه السياق^(٤).

ثمّ هل أنّ القردة اليوم هي من نسل أولئك الذين مُسخوا؟
روي عن ابن عباس: أنّ الذين مُسخوا بقوا ثلاثة أيّامٍ لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثمّ أهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبّت عليهم ففقدتهم في البحر.

وفي الآية إشارة إلى أحد معاجز الرسول محمد (ﷺ)، حيث أخبره الوحي عن قصص وأفعال اليهود في زمن موسى (عليه السلام). وكما عرفت أنّ الخطاب في الآية الشريفة موجه إلى اليهود الذين كانوا على عهد الرسول (ﷺ). لذا ففي الآية تحذير لهؤلاء؛ فكأنّه قال لهم: أما تخافون أن

(١) الأعراف / ١٦٣.

(٢) النساء / ٤٧.

(٣) الجمعة / ٥.

(٤) انظر تفسير مجاهد ١ / ٧٧.

٣١٢.....الحسين سنام القرآن

ينزل عليكم العذاب - بسبب تمردكم ونقضكم المواعيد والعهود - كما نزل
بأسلافكم لأنهم اعتدوا في السبت؟

أما تقريب ألفاظ الآية ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا﴾ أي: عرفتم أعيان
المعتدين؛ لأنهم أبناء بلد واحد وأمة واحدة، لا سيما أن لحمة النسب كانت
بينهم.

وربما يقال: ﴿ولقد علمتم﴾ أي: علمتم أحكام المعتدين في السبت.
﴿منكم﴾ يحتمل إرادة حال المعتدين، وهم بعض الأمة أو طائفة منها.
﴿فقلنا لهم كونوا قردة﴾، الأمر فيها يحمل على المجاز؛ لأن صيرورتهم
إلى ما آلوا إليه ليس فيه تكسب ونفع يذكر لهم، بل هم عاجزون عن هذا الفعل،
وغير قادرين على قلب أعيانهم وذواتهم من الصورة الإنسانية المعهودة إلى
صور حيوانية، لذا يحمل الأمر في الآية على سرعة التكوين والانقلاب من حال
إلى حال أدون؛ لأن استعداد الأشياء وتقبلها للأوامر ليس منوطاً بذواتها، بل
- حقيقة - منوطاً بخالقها، ومن هنا أن الله إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، من دون
لبث أو تخلف.

وليس غريباً أن يستحيلوا قردةً بأبدانهم طالما انتكسوا إلى عالم الحيوان
بأفكارهم وإراداتهم وأرواحهم.

﴿خاسئين﴾، خساً يخساً - الكلب - إذا بُعد، والرجل إذا طُرِدَ
وبُعد. فالخاسئ الصاغر المبعد المطرود، وفي الآية ما يقرب من هذا المعنى،
فهم - المعتدون - مطرودون من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وسبب ذلك
الطرد - كما عرفت - هو تماديهم في البغي والاعتداء.

﴿فجعلناها نكالاً﴾، أي: صيرورتهم إلى أعيان القردة بالمسخ؛ وجعلنا
ذلك عبرةً لغيرهم من اليهود والأمم اللاحقة.

ونكل به، أي: فعل به، وغايته: العقوبة والانتقام في ما يعتبر به غيره.

تأويل الآية والدليل الروائي..... ٣١٣

﴿لما بين يديها وما خلفها﴾، أي: لمعاصريهم ومن جاء بعدهم، وقيل غير ذلك. واستعمال «ما» بدلاً من الموصول «مَنْ» هو من البلاغة بمكان، حيث إن الآية ناظرة: إمّا إلى تحقير هؤلاء الذين اعتدوا بعد عظمتهم وكبريائهم وشموخ أنوفهم، وإمّا للحالة التي صاروا إليها وهم قردة، ففي كلا الحالتين استعمال «ما» عوض «مَنْ»؛ لأنّ «ما» لغير العاقل و«مَنْ» للعاقل، وعلى تقدير المعنى الأوّل فإنّهم متلبّسون بالحيوانية من جهة أرواحهم وأفكارهم وخسّتهم النفسيّة، وعلى تقدير المعنى الثاني فهم قردة حقّاً.

﴿وموعظة للمتّقين﴾، الموعظة: ما ينبّه الضمير، ويذكر العقل، ويلين القلب، والموعظة تكون في الترهيب والترغيب. و«المتّقين» قيل: كل متّقٍ من كلّ أمة.

وقيل: المتّقين من أمة محمد (ﷺ)، وقيل غير ذلك. هذه تذكرة لليهود في زمن الرسول بشكلي خاص، وللبريّة بشكلي عام، وتخويف وتحذير لكلّ أمة تنحاز عن طريق الهدى والصواب إلى طريق العمى والضلال، فإنّ الله تعالى يأخذهم - كالذين سبقوهم - بشتّى أنواع العذاب والبلاء، فهل من متّعظ...؟

تأويل الآية والدليل الروائي

في تفسير الإمام العسكري: عن آبائه، عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) كان يذكر حال من مسخهم الله قردة من بني إسرائيل، ويحكي قصّتهم، فلمّا بلغ آخرهم قال: إنّ الله تعالى مسخ هؤلاء القوم لاصطيادهم السمك، فكيف ترى عند الله - عزّ وجلّ - يكون حال من قتل أولاد رسول الله (ﷺ) وهتك حريمه؟ إنّ الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإنّ المعدّل لهم من عذاب الآخرة

٣١٤.....الحسين سنام القرآن

أضعاف أضعاف عذاب المسخ. فقيل: يا ابن رسول الله، فإننا قد سمعنا مثل هذا الحديث، فقال: لنا بعض النُّصَاب، فإن كان قتل الحسين باطلاً فهو أعظم من صيد السمك في السبت فما كان يغضب على قاتليه كما غضب على صيادي السمك؟

قال علي بن الحسين: قُلْ لهؤلاء النُّصَاب. فإن كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي مَنْ كفر بإغوائه فأهلك الله مَنْ شاء منهم: كقوم نوح يغرِقون، فَلِمَ لَمْ يهلك إبليس - لعنه الله - وهو أولى بالهلاك؟

فما باله أهلك هؤلاء الذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات وأمهل إبليس مع إثارة لكشف المخزيات؟ ألا كان ربنا - عزَّ وجلَّ - حكيماً بتدبيره وحكمه فيمن أهلك وفيمن استبقى، فكذلك هؤلاء الصائِدون في السبت وهؤلاء القاتلون للحسين (عليه السلام) يفعل في الفريقين ما يعلم أنه أولى بالصواب والحكمة، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون^(١).

وفي البحار: عن كامل الزيارات بسنده، عن حسين ابن أبي العلاء قال: قال: والذي رفع إليه العرش لقد حدَّثني أبوك بأصحاب الحسين (عليه السلام) لا ينقصون رجلاً ولا يزيدون رجلاً، تعتدي بهم هذه الأمة كما اعتدت بنو إسرائيل يوم السبت، وقيل: يوم السبت يوم عاشوراء.

قال المجلسي: هكذا وجدنا الخبر ولعله سقط منه شيء^(٢).

وفي الزيارة المشهورة: وأشهد أن الذين سفكوا دمك واستحلوا حرمتك ملعونون على لسان داود وعيسى بن مريم؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون...

(١) رواه الطبرسي في الاحتجاج ص ١٦٠ بالإسناد إلى أبي محمد العسكري (عليه السلام).

وانظر: تفسير البرهان ١ / ١٠٧، البحار ٤٥ / ٢٩٥، الاحتجاج ٤٠ ط أخرى.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه / ص ٧٣.

الآية الرابعة:

قوله تعالى..

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ﴾^(١)

كلمة «الميثاق» هنا وفي الآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢). وكذا في الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ...﴾^(٣)، بمعنى واحد - كما يتضح - وهو العهد. وربما أريد به الأدلة من جهة العقل والشرع، كما لا ينافي فيما لو قيل: هو موثيق الأنبياء على أممهم.

فهذه الآية والتي قبلها - المشار إليها - أكدتا على عشرة أمورٍ كُلف بها الإنسان، وإن كان الخطاب موجَّهاً بالخصوص إلى بني إسرائيل إلا أنَّ جُلَّها خطاب عامٌّ لكافة البشر، وهذه التكاليف العشرة في الآيتين هي: **أولها:** توحيد الله سبحانه وتعالى، وعدم الإشراك به.

ثانيها: الإحسان إلى الوالدين.

ثالثها: الإحسان إلى ذوي القربى.

رابعها: الإحسان إلى اليتيم.

(١) البقرة / ٨٤.

(٢) البقرة / ٨٣.

(٣) البقرة / ٦٣.

.....٣١٦. الحسين سنام القرآن

خامسها: الإحسان إلى المسكين.

سادسها: مخاطبة الناس ومعاشرتهم بالقول الجميل والفعل الحسن.

سابعها: إقامة الصلاة.

ثامنها: إيتاء الزكاة.

تاسعها: عدم سفك الدماء بقتل بعضكم بعضاً.

وعاشرها: لا تقدّموا على أشياء إن فعلتموها تستحقّون بها الإخراج من

دياركم وإبعادكم منها.

وربما قيل: لا يُخرج بعضكم بعضاً من ديارهم على سبيل الغلبة والغصب

والاعتداء.

﴿ثم أقرتم﴾، الإقرار هو الرضا بالشيء والصبر عليه.

﴿وأنتم تشهدون﴾، أي: تشهدون على أنفسكم بالإقرار. وهناك معانٍ

آخر تُطلب في مضائها، فراجع.

ثم اعلم: أنّ هذه الآية والتي قبلها هي من النعم التي خصّ الله سبحانه بها

اليهود، إلّا أنّهم ضيّعوها ومارعوها، حيث جمعت أهمّ التكاليف التي أوجبها الله

عليهم.

كما أنّ امثال أوامر الله موصل إلى أعظم النعم وأرقاها وهي الجنة.

تأويل الآية والدليل الروائي

في تفسير البرهان، يرفعه إلى الرسول، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ...﴾^(١) في اليهود، هؤلاء اليهود نقضوا عهد الله وكذبوا

رسول الله، وقتلوا أولياء الله، أفلا أنبئكم بمن يضاھيهم من يهود هذه الأمة؟! قالوا:

(١) البقرة / ٦٣، ٨٤، ٩٣.

تأويل الآية والدليل الروائي..... ٣١٧

بلى يا رسول الله، قال: قوم من أمتي يتحللون بأنهم من أهل ملتي، يقتلون أفاضل ذريتي وأطائب أرومتي، ويبدلون شريعتي وستتي، ويقتلون ولدي الحسن والحسين، كما قتل أسلاف اليهود - وهؤلاء - زكريا ويحيى.

ألا وإن الله يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين المظلوم (عليه السلام)، يجرفهم بسيف أوليائه إلى نار جهنم.

ألا ولعن الله قتلة الحسين ومحبيهم وناصرهم والساكتين عن لعنهم من غير تقيّة تسكتهم.

ألا وصلى الله على الباكين على الحسين بن عليّ رحمةً وشفقةً، واللاعنين لأعدائهم، والممتلين عليهم غيظاً وحنقاً.

ألا وإن الراضين بقتل الحسين (عليه السلام) شركاء قتلته.

ألا وإن قتلهم وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم برّاء من دين الله.

ألا وإن الله ليأمر ملائكته المقرّبين أن يتلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين إلى الخزان في الجنان، فيمزجونها بماء الحيوان، فتزيد في عذوبتها وطيبها ألف ضعفٍ ضعفها.

وإن الملائكة ليتلقون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين (عليه السلام) ويلقونها في الهاوية، ويخرجونها بحميمها وصديدها وغساقها وغسلينها، فيزيد في شدّة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها، يشدّد بها على المنقولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم^(١).

(١) تفسير البرهان ١ / ١٢٣ - ١٢٤، تفسير الامام ١٨٤، البحار ٤٤ / ٣٠٤.

الآية الخامسة:

قوله تعالى..

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١)

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ﴾، الخطاب في الآية الكريمة موجّه للمسلمين كافة، وقد احتمل بعضهم أنّ النبي داخل في الخطاب أيضاً.

أمّا وجه اختصاص ذكر الإيمان بالله إنّما كان لأنّ الإيمان بالله فطريّ لا يحتاج إلى دليل أو معجز، أمّا نبوءة الأنبياء وكتبهم لا يمكن الاذعان لها ما لم تكن هناك معجزة باهرة تدعّن لها العقول.

كما أنّ مَنْ طلب الاعتقاد بصحّة دعواه لابدّ من دليل وبرهان يتقوّى به ويستند عليه، وهذا بديهيّ في مجال السلوك البشريّ والتكوين النفسيّ للأفراد. وكما عرفت فإنّ الخطاب للمسلمين، أمّا من قال بشموله الكافرين أيضاً فالنصّ بعيد عن ذلك؛ لما فيه من التكلّف.

ولا يبعد أن تكون جملة «قولوا» بيانيّة لقوله السابق على هذه الآية: ﴿بَلِّغْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ لأنّ ملّة إبراهيم قائمة على التوحيد، واتباع ملّة إبراهيم يشمل جملة من الأمور، منها: الإيمان بالله سبحانه.

﴿وما أنزل إلينا﴾، أي: القرآن الكريم؛ نؤمن به وبما فيه من أمرٍ ونهيٍّ وأحكام ومواعظ...، فهو الحقّ ويجب اتّباعه والتصديق به...

﴿وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب﴾، أي: الصحف، أو الإيمان بتلك الشرائع وبأولئك الأنبياء؛ لأنهم كانوا يدعون إلى الإيمان بالله

الآية الخامسة: ٣١٩

وتوحيده، وعدم الإشراك به. كما أنهم كانوا جميعاً مسلمين، غير أن البدع والأهواء ألصقت باليهودية وبالنصرانية من خلال تحريف علماء اليهود والنصارى كتبهم، لذا كل فريق قال: اتبعوا ملتنا تهتدوا، فردّهم الله تعالى بقوله: ﴿بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً...﴾^(٢).

ثم إن إبراهيم (عليه السلام) هو الذي سمّانا بالمسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿ملة أبيكم هو سمّاكم المسلمين من قبل...﴾^(٣).

وقوله تعالى في دعاء إبراهيم (عليه السلام): ﴿ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أمة مسلمة لك...﴾^(٤).

وقوله تعالى يحكي وصية إبراهيم، وكذا يعقوب لبنيه: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾^(٥).

وهناك آيات أخر تدلّل على أن الأنبياء الذين جاؤا بعد إبراهيم كانت شرائعهم هي شريعة الإسلام، إلا أن أقوامهم انحرفوا وأدخلوا البدع في أديانهم، فضلّوا وأضلّوا، وهذا ديدن الحياة كلّما ابتعد الزمن عن بدء الرسالة وزمق الرسول ابتعدت الأمة عن المفاهيم والتعاليم السماوية، حتّى برزت الأهواء والأحزاب والبدع والخرافات، فأصبحوا فرقاً شتى ومذاهب عدّة، ولا يخفى ما لهذا من أثر.

(١) البقرة / ١٣٥.

(٢) آل عمران / ٦٧.

(٣) الحجّ / ٧٨.

(٤) البقرة / ١٢٨.

(٥) البقرة / ١٣٢ - ١٣٣.

٣٢٠.....الحسين سنام القرآن

فهؤلاء الذين استأثروا الحياة الدنيا على الآخرة وأظهروا البدع وحرّفوا الكلمات عن مواضعها قد مزّقوا وحدة الأمة، وشقّوا صفوف الناس، وأدخلوا ما ليس من الدين في الدين، وأخرجوا ما كان منه، وهذا ديدن اليهود، بل وحتى النصاري، وهكذا قلّ بالنسبة لعدّة طوائف من المسلمين؛ فما تجد من مذهبٍ إلاّ وينادي بملء فيه بصحّة مذهبه وعقيدته، وما دون ذلك - بزعمه - باطل، وكأنّ الذي عنده هو عين القرآن، والذي عليه هو الحقّ، وما سواه في ضلالٍ وكفر.

وليت شعري هل بقي للحق من ينتصر له؟

وكلُّ يدّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرّ لهم بذاكا
«والأسباط» جمع، مفردا سبط، وهو في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب.
وربّما يقال للحافد: سبط، والسبط شجرة كثيرة الأغصان، فكأنّما سمّوا
الأولاد بالأسباط لكثرتهم.

وسبطا رسول الله (ﷺ) الحسن والحسين (عليهما السلام)، وبعده سمّوا ابن
البت سبطاً؛ لأنّه إليه تنتسب الذريّة إلى الجدّ من جهة الأمّ لذا ذرية الرسول
(ﷺ) من فاطمة (عليها السلام) الحسن والحسين وأبنائهما.

والأسباط هم أبناء إسرائيل، أي: أبناء يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم،
وكانوا اثني عشر سبطاً، واختلفوا في أولاد يعقوب هل كانوا أنبياء؟
يبدو من خلال القرائن والأخبار أنّهم لم يكونوا جميعاً أنبياء؛ لما صدر
منهم بحقّ يوسف (عليه السلام) من الغدر والظلم، ومما يؤيّد ذلك المروي عن الامام
الباقر (عليه السلام) (١).

﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾ من التوراة والإنجيل؛ لكون التحريف.

(١) عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: قلت له أكان ولد يعقوب أنبياء؟ قال:
لا، ولكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلاّ سعداء تابوا وتذكروا ما
صنعوا...

تأويل الآية والدليل الروائي..... ٣٢١

حاصلاً في هذه الكتاب من قبل اليهود والنصارى؛ وبما أن المسلمين ينكرون هذا التحريف فقد اهتم القرآن بهذا الشأن، وأفرد لهما الذكر عن بقية الأنبياء؛ لأن شأنهم خطير بالنسبة لمجرى السلوك البشري، فقال: ﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾، والإيتاء لهم أبلغ من التنزيل؛ لما فيه من المناولة والعطاء والتملك. ﴿وما أوتي النبيون من ربهم﴾، وهي الكتب والشرائع والأحكام والمعجزات.

وهذه الجملة من الآية الكريمة أعم من سابقتها، أي: أنه سبحانه ذكر العام بعد الخاص.

﴿لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾، أي: لا نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ كما فعل اليهود والنصارى، ومن يفعل ذلك فهو كافر بنبوّة الأنبياء؛ لأن الله سبحانه أمرنا أن نؤمن بهم جميعاً على أنهم أنبياء ورسول من لدنه، فلا فرق - بين أحدٍ منهم - في إيماننا بهم.

تأويل الآية والدليل الروائي

الآية مؤولة بعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين (عليه السلام)، كما ورد عن الامام الباقر (عليه السلام):
في تفسير العياشي: عن سلام، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿أَمَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ قال: إنّما عنى بذلك عليّاً والحسن والحسين وفاطمة، وجرت بعدهم في الأئمة. قال: ثمّ يرجع القول من الله في الناس، فقال: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ - يعني: الناس - ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ﴾ يعني: عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم - ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾^(١).

(١) تفسير العياشي ١ / ٦٢.

٣٢٢.....الحسين سنام القرآن

الآية السادسة:

قوله تعالى..

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١)

روي عن ابن عباس قال: إنها نزلت في قتلى بدر، وكان قتلى المسلمين آنذاك أربعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين^(٢).

والآية وإن كانت نازلة بقتلى بدر إلا أنها عامة في الحكم، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، لذا توهم من خصها بقتلى بدر فقط؛ لأنها تتعداهم إلى غيرهم.

وجملة القول: أن الآية الكريمة تحكي عن حقيقة الشهداء ومنزلتهم عند الله تعالى.

ثم في الآية دليل على الحياة البرزخية، وسؤال القبر، وإثابة المؤمن، وإكرام الشهيد...

والحديث يقع في مَنْ قتل في ساحات الجهاد، لماذا يبقى حيّاً؟ ثم إن الآية نهت عن أن يسمّى المقتول ميتاً، بل حيّاً، ولكن لا تشعرون. وفي آل عمران: ﴿عند ربهم يرزقون﴾^(٣).

إنّ هناك فرقاً بين الموت والقتل، فالموت: من مات حتف أنفه، والقتل: من خرجت روحه بالضرب، أو أزهقت نفسه وروحه بحدّ السيف أو ما شابهه. والموت ما إذا وقع الأجل عليه، أمّا القتل ما إذا كان الإنسان قادماً على الأجل ولا

(١) البقرة / ١٥٤.

(٢) مجمع البيان ١ / ٢٣٦.

(٣) آل عمران / ١٦٩.

الآية السادسة: ٣٢٣

يبالي بازهاق روحه، ولا يعبأ بذهاب حياته والارتحال من الدنيا، طالما وعدّه الله سبحانه مرضاته وما أعدّ له من ميزاتٍ اختصّ بها الشهيد دون سائر الناس.

فالشهيد أكرم من في الناس؛ لأنه وهب حياته لله، وليس وراء ذلك من كرم يتباهى به أحد...

فالأية تأبى أن يكون الشهداء أمواتاً، بل هم أحياء؛ إذن، فما هي الحياة التي يتمتع بها الشهداء؟

في ذلك أقوال؛ أصحّها: أنّ الحياة التي ذكرتها الآية الكريمة هي الحياة الحقيقية بالروح والجسد في عالم وسط بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، الا وهو عالم البرزخ^(١) الذي يصير إليه الإنسان بعد الموت، فهو عالم، بل هو حياة يتمتع بها الشهداء، إلا أننا بحواسنا البشرية القاصرة لا ندركها، ولا نعلم ما بعدها؛ لأن وظائف الحواس المودعة في الإنسان إنما هي للأمور المادية، حيث ينتقل الإنسان بها من المحسوس إلى اللامحسوس، نتيجة التعقل والإيمان بما جاء به القرآن الكريم والرسول (ﷺ)^(٢). فنسلم ونصدق بما وعدنا الله سبحانه،

(١) سيأتي الحديث عن البرزخ - إن شاء الله - في الآيات اللاحقة، فتتبع.

(٢) روى القمي في تفسيره عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:

إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنني كنت عليك لحريصاً شحيحاً، فمالي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك، ثم يلتفت إلى ولده فيقول: والله إنني كنت لكم لمحبتاً، وإنني كنت عليكم لحامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدبك إلى حفرتك ونواريك فيها، ثم يلتفت إلى عمله فيقول: والله إنني كنت فيك لزاهداً، وإنك كنت عليّ لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم حشرك، حتى أعرض أنا وأنت على ربك.

فإن كان ولياً أتاب أطيب الناس ريحاً وأحسنهم نظراً، وأزينهم ريشاً، فيقول أبشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم، قد قدمت خير مقدم، فيقول: من أنت؟ فيقول أنا عمك الصالح، ارتحل من الدنيا إلى الجنة، وإنه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يعجله. فإذا دخل قبره أتاب ملكان، وهما فتانا القبر يحبران أشعارهما، ويحبران الأرض بأنبياهما، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد نبي،

٣٢٤.....الحسين سنام القرآن

ونذعن لأوامره وأقواله جملةً وتفصيلاً، والتي منها: الأمور الغيبية وكل ما خفي علينا، إذ قال - عز من قائل - يصف المؤمنين المتقين: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه * هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾^(١).

فالعلة في أن المجاهد المقتول في سبيل الله يبقى حياً - كما عرفت - هو الإخلاص والتفاني في حب الله، وهو إثار بقاء الدين والحق، وديمومة الرسالة على الحياة الجسدية والتي قوامها المادة الزائلة الفانية.

فالحياة الدنيوية اتسمت بالفاعلية والأمتداد المادي، اتسمت بالتوقيت والتحديد، والموت هو الوقت المحدد الذي به ينتهي كل شيء، وينتهي كل صاحب علاقةٍ علاقته، وتبدأ مرحلة جديدة لا علاقة بالماضي حيث يقف الموت حائلاً دون تحقيق الطموحات التي كان يسعى لإنجازها قبل مماته،

والإسلام ديني، فيقولان ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا...﴾ الآية، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويفتحان له باباً إلى الجنة، ويقولان: نَمَ قرير العين نوم الشاب الناعم، وهو قوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾.

وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح خلق الله رياشاً، وأنتنه ريحاً، فيقول له أبشر بنزل من حميم، وتصلية جحيم، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه، فإذا أدخل قبره أتيا ممتحناً القبر، فألقيا عنه أكفانه ثم قالاً له، من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقولان له: ما دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة إلاّ وتذعر لها ما خلا الثقلان، ثم يقتحان له باباً إلى النار، ثم يقولان له: نَمَ بشر حال، فيبوء من الضيق مثل ما فيه القنا من الرّج، حتى أن دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها تنهشه حتى يبعثه الله من قبره، وأنه ليتمنّى قيام الساعة مما هو فيه من الشرّ.

انظر تفسير القمي وتسليمة الفؤاد / ص ٨٨.

(١) البقرة / ١ - ٤.

الآية السادسة: ٣٢٥

وهذا هو الجانب السلبي والاندثار.

أما الشهيد فلا يخضع لذلك القانون الذي تساوى فيه الناس جميعاً، بل له قانون ديناميكي دائم الحركة، يولد الشعور ويحرك الضمير، ويصرخ بوجه التاريخ في كل لحظة، ويستنهض الهمم في النفوس لنصرة الدين في كل وقت، وهذا نوع من الحياة لكن ليس كله.

فالشهيد وقود لا ينضب، وشعلة متأججة، ملتبهة تستصرخ الآخرين وتثير الطريق لهم. فالعقيدة التي من أجلها قتل الشهيد قد ارتوت من دمه ودماء الشهداء، لذا فإن دماء الشهداء لها فاعلية مؤثرة في بقاء العقيدة واستمرارية الرسالة. وأي شيء أعظم من ذلك عند الله؟!

هذا هو «الإحياء» عند الناس. أما أحياء عند الله فهو ما يزال مجهولاً عند البشر، ولا نستطيع أن ندرك كنهه وأبعاده... أحياء ولكن لا تشعرون. انظر إلى من مات فإنه يغسل. ويكفن أما الشهيد فهو طاهر لا يغسل إنه حي فلا يكفن، بل يُدفن بأثوابه التي زهت بدمه الطاهر؛ حتى يلقي ربه بهذه الكيفية التي سقط فيها صريعاً على الأرض، ابتغاء وجه الله، واعلاءً لدينه وسنة نبيه، لذا فهم مكرّمون عند الله مقرّبون منه...

فقبال ذلك الجود والإيثار من قبل الشهيد ترى ذلك العطاء الرباني الدائم إنه عطاء غير مجزود، ترى الحياة الأبدية الخالدة لهم.

ثم ان آثار الشهداء باقية لم تزل كأثار العلماء، ففي العلماء يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم»^(١) في القلوب موجودة»^(٢).

وشأن المجاهدين الذين قتلوا في سبيل الله كذلك؛ أعيانهم مفقودة

(١) وفي مجمع البيان ١ / ٢٣٦ آثارهم.

(٢) نهج البلاغة: من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد، قسم الحكم رقم ١٤٧.

٣٢٦.....الحسين سنام القرآن

وأثارهم في القلوب موجودة. إنهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء.
فلقد ورد في أخبار كتب الشيعة والسنة: أن أرواح الشهداء تكون في
حواصل طيور خضر أو بيض...الخ. وسيأتي تفصيله في مقام آخر في بحث
الآية (١٦٩) من سورة آل عمران إن شاء الله.

وروي عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «يؤتى بالرجل من أهل
الجنة، فيقول الله له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل،
فيقول: سل وتمنّه، فيقول: وما أسألك وأتمنى؟ أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل
في سبيل الله عشر مرّات؛ لما يرى من فضل الشهادة»^(١).

هذه هي حياة الشهيد، بل وحتى المؤمن يعيش حياة طيبة خالدة في
جنان عدن؛ لأنه (ﷺ) بما قدم من الطاعات، ورضي هو عن ربه، لأنه أكرمه
ووجد ما وعده. ﴿هذا ما وعدنا الرحمن وصدق المرسلون﴾^(٢)؛ كما أن
الآخرة هي دار القرار، ﴿وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾^(٣).

تأويل الآية والدليل الروائي

انظر الآية الكريمة: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل
أحياء عند ربهم يرزقون﴾ فرحين بما آتاهم الله...^(٤)
تجد التفصيل هناك؛ لاتحاد مضمون الآيتين.

(١) انظر: جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ / ١٧ كتاب الجهاد، باب ١ ح ٤٥ و ٤٦.

(٢) يس / ٥٢.

(٣) العنكبوت / ٦٤.

(٤) آل عمران / ١٦٩ - ١٧٠.

الآية السابعة: ٣٢٧.

الآية السابعة:

قوله تعالى..

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون^(١)

البلاء والابتلاء - في الأصل - الامتحان، وحقيقته لتحصيل العلم.
والبلاء في الآية الكريمة: الاختبار والامتحان، وإن كان الاختبار يكون بالخير والشر إلا أن الآية الكريمة بينت ذلك الاختبار، فقالت: ﴿بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات...﴾.
الخطاب قد يكون لأصحاب النبي (ﷺ)، وقد يكون لجميع المؤمنين في مختلف العصور، وهو الأظهر. والقول بأنه لأهل مكة ضعيف ما لم يثبت بقرينة.

ولما كان البلاء بمعنى الإمتحان، وحقيقته لتحصيل العلم، فهو على الله تعالى محال، وما ينسب إليه سبحانه هو مجاز. وإذا ما نسب إليه فيراد منه ما يجرى مجراه مع العباد على المشهور، وهذا المعنى يتصور على أقسام ثلاثة:
الأول: قد يكون الابتلاء للإنسان بما يسره، لذا عليه الشكر.
الثاني: قد يكون الابتلاء بما يضره ويحزنه فعليه الصبر.
الثالث: قد يكون بهما معاً، فعليه أن يرغب في الطاعة ويرهب في

٣٢٨.....الحسين سنام القرآن

المعصية.

فإن حُمِلَ الابتلاء على الإشارة في المعنى الأول فالمراد به النعمة.

وإن حُمِلَ على المعنى الثاني فالمراد به المحنة.

وإن حُمِلَ على المعنى الثالث فالمراد به القدر المشترك كالامتحان

الشائع...

ولما عرفت أنَّ الابتلاء بمعنى تحصيل العلم وهو محال على الله سبحانه،
إذن لابدَّ من حمل الكلمة على معناها المجازي، وإذا كان كذلك فتحصل
المعنى، وهو: أننا نعاملكم معاملة المبتلي، ومعامله الممتحن المختبر، لذا فكلمة
الابتلاء غالباً ما يراد بها التكليف، وأنت تعلم أنَّما كَلَّفَ الإنسان في الدنيا، أمَّا في
الآخرة فلا تكليف عليه بل هي حياة مبنية على المُجازاة والمكافأة؛ ﴿فَمَنْ أَتَقَى
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * والذين كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون...﴾^(١).

فكلُّ تكليفٍ هو ابتلاء في الأصل وامتحان، كما أنَّ نتيجة التكليف هي
نفسها في الابتلاء، وفائدة هذا التكليف والامتحان واحدة، وهي: جعل الإنسان
في إطاره الحقيقي، فيكشف عمَّا انطوت عليه نفسه؛ ليحتلَّ المنزلة التي اختارها
بعمله في الدنيا وما قدَّمت يداه هناك.

فتخلص ممَّا تقدَّم: أنَّ الابتلاء الذي بمعنى: التكليف والامتحان هو في
الدنيا فقط. ومعلوم أنَّ بلاء الدنيا يسير غير مؤبِّد قياساً على ما يصادفه الإنسان
في الحياة الآخرة؛ فإن كان ما يصادفه خيراً فهو خير دائم ومخلَّد فيه، وإن كان
شرّاً وعقوبةً فهو كذلك لا يقاس بشرّ الدنيا وآلامها المؤقتة الزائلة.

وخير دليلٍ ما يقال هنا: هو في دعاء كميل بن زياد (عليه السلام): «...وأنت تعلم
ضعفي عن قليلٍ من بلاء الدنيا وعقوباتها، وما يجري فيها من المكاره على

الآية السابعة: ٣٢٩.

أهلها، على أن ذلك بلاء ومكروه، قليل مكثه يسير بقاؤه، قصير مدته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وجليل وقوع المكاره فيها؟ وهو بلاء تطول مدته، ويدوم مقامه، ولا يخفف عن أهله؛ لأنه لا يكون إلا عن غضبك...»^(١).

والذي يؤكد عدم ديمومة ذلك البلاء في الدنيا: كلمة ﴿بشيء من...﴾. أما «الخوف» فربما هو المقدر لهم من الله تعالى من المكاره والمصائب التي تخيفهم: كالحرق والغرق والدمار، فيكون الإنسان في هذه البلايا خائفاً متحيراً.

وربما أريد بالخوف ما كان من أمر المشركين الذين أضمرُوا للمسلمين العداوة والحقد والقتال؛ كالخوف الذي حصل في واقعة الأحزاب، كما في قوله تعالى: ﴿هنالك أبلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً...﴾^(٢).

أما «الجوع» فهو لتشاغلهم بالحرب والجهاد في سبيل الله عن المعاش، واحتياجهم إلى البذل والإنفاق في تلك الأيام. وربما قيل: شحة المواد والغذاء والقحط الذي أصابهم.

و«نقص من الأموال» ربما أريد به هلاك المواش من الإبل والغنم والبقر، أو كل ما يطلق عليه مال، سواء كان قابلاً للنقل أو لا.

و«الأنفس»: الموت، سواء كان بعامل الجهاد والقتل، أو بسبب الأمراض الفتاكة، أو بسبب الفتنة في قتل بعضهم البعض، وإن كان هذا بعيداً ما لم تكن قرينة تخصّصه.

و«الثمرات» فيه أقوال: ربما أريد بها الأولاد؛ لأن الحرب إذا نشبت بين القوم فسوف تأكل الرجال كما تأكل النار الحطب، وهذا مدعاة للنقص في الإنجاب بموت الرجال الذين هم العامل المؤثر في عملية التناسل، وهذا الوجه

(١) مفاتيح الجنان: مقطع من دعاء كميل بن زياد.

(٢) الأحزاب / ١١.

٣٣٠.....الحسين سنام القرآن

هو أصلح الوجوه كما يظهر.

وربما قيل: نقص الثمرات، أي: ثمرة الأشجار والنخيل؛ وذلك لاشتغالهم بالجهاد عن حراثة الأرض وعمارة البساتين.

ووجه ثالث كما حكاه الفخر الرازي: أن يكون النقص بالإنفاق على ما يرد على رسول الله (ﷺ) من الوفود^(١)، وهو بعيد.

وللشافعي تفسير آخر في هذه الأقسام الخمسة المارة الذكر - كما حكاه الألويسي - فقال: الخوف يراد منه: خوف الله، والجوع بمعنى: صوم رمضان، ونقص من الأموال: الزكوات والصدقات، والأنفس: الأمراض، والثمرات: موت الأولاد....

أقول: ما أورده في الأقسام الأربعة الأولى بعيد عن تناول الآية وظهورها. كما أن القرائن من الآيات الأخرى تخرج هذا الذي ذكره الشافعي.

وعلة ذلك: أن الخوف ملازم للإنسان في كل الحالات إذا أريد به خوف الله، ولا يقتصر على زمنٍ من الأزمان حتى نقيده «بشيء». والابتلاء في الآية بعضي غير دائم كما عرفت قبل قليل.

ثم الآية بصدد الامتحان والاختبار، لذا كان الخوف والجوع و... كل ذلك لفترة ما، قصيرة كانت أم طويلة.

أما خوف الله فلا يعقل أن يتحدد بزمن؛ لأن ذلك يعني: أن الإنسان في غير ذلك الزمن المحدد سوف يركن إلى قوته وقدرته الزائلة الضعيفة، دون أن يركن إلى الله أو يتمسك بحبله المتين. بمعنى آخر: سوف يأمن غضب الله ولا يخشاه بدافع الرجاء المطلق دون الخوف.

وهذا باطل بأدنى التفات؛ لأن العبد متأرجح بين الخوف والرجاء، فلا يئس مطلقاً، ولا أمان مطلقاً، بل العبد بين الخوف والرجاء.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

الآية السابعة: ٣٣١

أما «الجوع» حيث فسّره بصوم رمضان، فهذا اختبار دوريّ، وتكليف سنويّ قد اعتاد عليه المسلمون دون أن يروا فيه الحرج والضيق، ثمّ ليس فيه الجوع الذي تصوّره الشافعي؛ لأنّ الصائم يعلم أنّ موعد الإفطار ملاقيه لا محالة، فسوف يملأ جوفه بما يشتهي من ألوان الأطعمة والمأكولات. إذن، ليس هناك ما يسمّى بالجوع طالما وقت الإمساك ساعات محدودة، ومن ثمّ الافطار.

أما الجوع الذي تنظر إليه الآية غير معلوم مدّته، وكم يستغرق من الزمن؟ ولا يعرف كيفيّته، سوى أنّه جوع شامل ربّما شمل كافّة أبناء الأُمّة، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم كالأطفال.

أما صوم رمضان فلا يحسّ الأطفال بألم الجوع؛ لأنّ الصيام لم يفرض عليهم.

وبعد كلّ ذلك يظهر: أنّ الآية نزلت قبل فريضة الصوم والزكاة، فكيف نفسرها بصوم رمضان...؟

أمّا ما قاله في «نقص من الأموال»: أنّه الزكوات والصدقات فهذا أيضاً غير لائق؛ لأنّ الزكاة هو طهارة للمال ونماء له. وكذا الصدقات أنّها تُربي الأموال، قوله تعالى: ﴿يَمَحِّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ...﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ...﴾^(٢).

أمّا ما قاله في «الأنفس» تعني: الأمراض فلا وجه له؛ لأنّ الكلمة معطوفة على ﴿نَقِصْ مِنْ الْأَمْوَالِ﴾، فالتقدير القريب في ﴿ونقص من الأنفس﴾، يعني: قلّة العدد، أي: المنظور هو الكمّ وليس الكيف. نعم، لو أريد حالة النفس وكيفيّتها أمكن حمل الأنفس على الأمراض،

(١) البقرة / ٢٧٦.

(٢) التوبة / ١٠٣.

٣٣٢.....الحسين سنام القرآن

ولكن هذا تكلف واضح سقمه.

﴿ويُشِرُّ الصَّابِرِينَ﴾: خطاب إلى الرسول (ﷺ) لنقل البشارة إلى الذين صبروا على البأساء والضراء.

فالصبر منزلته عظيمة جداً، كمنزلة الرأس من الجسد. وقد ورد في الأخبار: «أَنَّ الصبر نصف الإيمان». وكما نقل عن الإمام (عليه السلام): «الإيمان هو الصبر».

واعلم: أَنَّ الصبر هو مجاهدة النفس وثباتها، وعدم اضطرابها في المصائب والمحن، ثم الزهد عن كثيرٍ من الشهوات. ويبدو من خلال القرآن الكريم: أَنَّ الصبر من أفضل العبادات وأشرفها؛ لأنه وعاء الإيمان، وكثير من الصفات التي مدحها القرآن الكريم وأكد عليها الشارع المقدس هي داخلة في الصبر: كالزهد والقناعة والحلم وسعة الصدر والعفة وكظم الغيظ والعفو والسماحة والكرم والشجاعة... الخ. فالصبر عبادة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى؛ لأنه مقام من مقامات الموحدين، وقد أكد القرآن المجيد على الصبر حتى ورد في أكثر من ثمانين موضعاً منه.

والصبر على ثلاثة أقسام: الصبر عند المصيبة، والصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية.

وإنَّ الصابر على المصيبة يؤجر مرتين: مرّة على مصابه، وثانية على صبره لما نزل به من بلاء، ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ...﴾^(٢).

(١) القصص / ٥٤.

(٢) النحل / ٩٦.

الآية السابعة: ٣٣٣

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).
ولا يخفى أن الصبر نوعان: أحدهما جسماني، وهو تحمّل المشقّات في ممارسة الأعمال والحرف التي تحتاج إلى بذل الجهد العضلي، أو الصبر على تحمّل الضرب والألم الشديد.

والنوع الآخر: الصبر النفساني، وربما أريد به منع النفس من التمتع بالشهوات، بل تعطيل هذه الرغبة والنفس التواقه عن الملاذ زهداً فيها، أو رجاء في طلب المثوبة بتركها.

وعلماء الأخلاق يقسمون هذا الصبر على عدّة أقسام، ولكل قسم عنوان أو تسمية خاصّة. مثلاً: الصبر في كظم الغيظ يسمّى حلماء، والصبر في كتمان السرّ أو الكلام يسمّى كتمان النفس، والصبر عن شهوة الأكل والنكاح يسمّى عفة، والصبر في النزال والمقاتلة يسمّى شجاعة... الخ.

ولا نريد الإطالة في موضوع الصبر، سوى أن نقول باختصار: أنّه جامع لكل الفضائل، وهو أعلى مراتب الإيمان، وللفادة والإطلاع فعليك بمراجعة كتب الأخلاق وتهذيب النفس والتفاسير...

روى عن أبي حمزة الثمالي قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله: ﴿لَبَلُّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾؟ قال: ذلك جوع خاصّ وجوع عامّ، فأما بالشام فإنّه عامّ، وأما الخاص بالكوفة يخصّ ولا يعمّ، ولكنه يخصّ بالكوفة أعداء آل محمد (عليه السلام)، فيهلكهم الله بالجوع. وأما الخوف فإنّه عامّ بالشام، وذلك الخوف إذا قام القائم (عليه السلام). وأما الجوع فقبل قيام القائم (عليه السلام)، وذلك قوله: ﴿لَبَلُّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾^(٢).

﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾، أي: نازلة أو بلاء أو نكبة في النفس أو

(١) الزمر / ١٠.

(٢) تفسير البرهان ١ / ١٦٨ ونور الثقلين ١ / ١٤٢، والعياشي ١ / ٦٧.

٣٣٤.....الحسين سنام القرآن

المال فصبروا عليها احتساباً للأجر والثواب، ثم قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ فهذا إقرار منّا لله بالعبودية، وأتته هو المالك وحده لا شريك له، وكذا تعطي معنى الرضا بكلّ ما نزل بالعبد في الحال من أنواع البلاء.

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار على أنفسنا بالهلاك، ثمّ الإقرار بالبعث والنشور، وهذا المعنى مستفاد من كلام سيّد العارفين أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكذا فيها: أنّ العبد في الحال راضياً بكلّ ما سينزل به بعد ذلك من بلاء فهو بعين الله وبرضاه واليه المصير، فلا بدّ من تفويض الأمور إليه لأنّه سبحانه وتعالى أعدّ من الأجر ما لا يعلم العبد. في الحديث الشريف: ﴿من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتَه وأحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه﴾^(١).

ثمّ هؤلاء الذين صبروا ﴿عليهم صلواتٌ من ربّهم﴾، أي: التزكية والمغفرة والرحمة واللفظ والإحسان والثواب الكبير.

وربما قيل: الصلاة من الله: هو الثناء، أو التعظيم، ولا منافاة. ﴿ورحمة﴾، أي: لهم النعم التي أنزلها الله تعالى عاجلاً أو آجلاً؛ لتغمر نفوس المؤمنين الصابرين.

﴿وأولئك هم المهتدون﴾، أي: المصبيون في اتباعهم ذلك الطريق، أو المهتدون إلى الجنّة، وربما قيل: الفائزون بالثواب والعطية، والله العالم.

لقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول والأئمة الأطهار (عليهم السلام) في فضل هذه الآية الشريفة، وبالذات قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

فقد روي عن عليّ بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن داود بن رزين، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من ذكر مصيبةً ولو بعد حينٍ فقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، والحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ أجرني على مصيبتِي واخلف عليّ

الآية السابعة: ٣٣٥

أفضل منها كان له من الأجر مثل ما كان عند أول صدمة»^(١).
وفي الكافي ونور الثقلين بإسنادهما، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة، والصبر حين تفجئه إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وكلما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكر المصيبة غفر الله له كل ذنب فيما بينهما»^(٢). ويقرب من هذا المعنى في الدر المنثور^(٣).
وروي عن ابن عباس قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أعطيت أمّتي شيئاً لم يُعطه أحد من الأمم: أن يقولوا عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون»^(٤).
ومثل ذلك ترى في تفسير الألوسي^(٥)، وغيرها من تفاسير علماء الطائفتين.

(١) نور الثقلين ١ / ١٤٤.

(٢) نفس المصدر السابق ١ / ١٤٤.

(٣) الدر المنثور ١ / ١٥٦.

(٤) الدر المنثور ١ / ١٥٦.

(٥) روح المعاني تفسير آية ١٥٦ من سورة البقرة.

تأويل الآية والدليل الروائي

اعلم: أن الحسين (عليه السلام) استرجع مرّات عديدة، وربّما على الكثرة لا تحصى.

منها: استرجع عندما سمع بمقتل مسلم بن عقيل (عليه السلام).
 ففي الإرشاد بإسناده عن عبدالله بن سليمان والمندر بن المشمعل الأسديّان قالوا: لمّا قضينا حجّنا لم تكن لنا همّة إلاّ اللحاق بالحسين (عليه السلام) في الطريق؛ لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل^(١). بنا ناقتنا مسرعين حتّى لحقناه بزرو^(٢)، فلمّا دنونا منه إذا نحن برجلٍ من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين (عليه السلام) فوقف الحسين كأنّه يريد، ثمّ تركه ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدهما لصاحبه: إذهب بنا إلى هذا لنسأله فإنّ عنده خبر الكوفة، فمضينا حتّى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك، فقال: وعليكم السلام، قلنا: ممّن الرجل؟ قال: أسديّ، قلنا له: ونحن أسديّان، فمّن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان، وانتسبنا له، ثمّ قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتّى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، ورأيتهما يجرّان بأرجلهما في السوق، فأقبلنا حتّى لحقنا الحسين (عليه السلام)، فسايرناه حتّى نزل الثعلبية ممسيّاً، فجئناه حين نزل، فسلمنا عليه، فردّ علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إنّ عندنا خبراً إن شئت حدّثناك علانية، وإن شئت سرّاً، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثمّ قال: ما دون هؤلاء ستر. فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلته عشيّ أميس؟ قال: نعم،

(١) أَوْقَلَتِ النَّاقَةُ (إِرْقَالاً) وَهُوَ ضَرْبٌ سَرِيعٌ مِنَ السَّيْرِ. المصباح المنير، مادة: رَقَلَ.

(٢) زرو: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، وهي دون الخزيمية بميل وفيها وقعة يقال لها يوم زرو. انظر: معجم ما استعجم ٢ / ٦٩٦.

تأويل الآية والدليل الروائي..... ٣٣٧

وقد أردت مساءلته، فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منا ذو رأيٍ وصدقٍ وعقلٍ، وأنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهاني ورأهما يجزان في السوق بأرجلهما، فقال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ رحمة الله عليهما، يرّد ذلك مراراً^(١).

في البحار قال المجلسي: ...فارتحل - الحسين - من قصر بني مقاتل، فقال عقبة بن سميان: فسرنا معه ساعةً فخفق (عليه السلام) وهو على ظهر فرسه خفقه، ثم انتبه وهو يقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين﴾، ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين - علي الأكبر - فقال: مِمَّ حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني، إني خفقت خفقه فعن لي فارس على فرسه وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تصير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نُعيت إلينا... فقال - علي الأكبر - له: يا أبة لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟! فقال - الحسين (عليه السلام) -: بلى، والذي إليه مرجع العباد، فقال: فإتينا إذاً لنبالي أن نموت محققين، فقال له الحسين (عليه السلام) : جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده^(٢).

أقول: لم يُبتَل أحدٌ كما ابتلي الحسين (عليه السلام)، فإنّ البلياء والرزاياء التي نزلت به كانت عظيمةً، ولا مبالغة لو قلنا: إنّ محنته ومصابه فاقت محن الأنبياء والرسل. فصبره (عليه السلام) على تلك الرزاياء والمحن لم يطقه أحد؛ لأنه أمر صعب، بل لشدّته تزول منه الجبال الراسيات، ومن هنا كان ثواب صبره وتجلّده هو ما أذخره الله له بحيث يغبطه جميع الملائكة والأنبياء والأوصياء؛ لأنّ البلاء على قدر الإيمان، والأجر على قدر البلاء.

ومما يؤيد ذلك: ما في الكافي، عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: ذكر

(١) الارشاد للمفيد / ٢٢٢ والمجالس ٦٣ والبحار ٤٤ / ٣٧٣.

(٢) الارشاد / ٢٦٦، والبحار ٤٤ / ٣٧٩ - ٣٨٠.

٣٣٨.....الحسين سنام القرآن

عند أبي عبد الله البلاء وما يخص الله به المؤمن، فقال: «سئل رسول الله (ﷺ): من أشد الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيون، ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحَّ إيمانه وحسن عمله اشتدَّ بلاؤه، ومن سخط إيمانه وضعف عمله قلَّ بلاؤه»^(١).

وقد استرجع الحسين (عليه السلام) صبيحة عاشوراء عندما وقف أمام جموع الكوفة خطيباً فيهم، مرشداً لهم، محتجاً عليهم، ومبيناً منزلته من رسول الله (ﷺ)، فمما قاله: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفاً بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرركم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نعمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وأمتم بالرسول محمد (ﷺ).

ثم إنكم زحفتُم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم لما تريدون، إننا لله وإننا إليه راجعون...»^(٢).

إضافةً إلى ما تقدّم فإن الإمام زين العابدين (عليه السلام) استرجع كذلك بهذه الآية؛ وذلك عندما لقيه المنهال في الشام^(٣).

وقد استرجع أيضاً الإمام زين العابدين (عليه السلام) عندما وصل المدينة بعد الأسر، قال (عليه السلام): «نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور، وألم الفجائع ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاطعة الكاظة الفادحة

(١) الكافي ج ٢ / ٢٥٢ باب شدة ابتلاء المؤمن ح ٢.

(٢) المجالس السنية للعالمى / ص ٨٥.

(٣) راجع البحث والدليل الروائي للآية ٤٩ / البقرة من هذا الكتاب.

تأويل الآية والدليل الروائي..... ٣٣٩

الجائحة، أيها الناس، إن الله - وله الحمد - ابتلانا بمصائب جلييلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وشي نساؤه، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية... إلى أن قال (عليه السلام): «فإننا لله وإننا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكصها وأنظها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا، إنه عزيز ذو انتقام»^(١).

إذن، فالآية الكريمة تحكي عما جرى على الرسول (ﷺ) والمسلمين من الخوف ونقص في الأموال والأنفس وما سيجري على أهل بيت العصمة (عليهم السلام) من بعده. فحادثة كربلاء والمصائب التي نزلت بالحسين وأهل بيته وأصحابه هي من مصاديق الآية، بل هي من أبرز المصاديق.

٣٤٠.....الحسين سنام القرآن

الآية الثامنة:

قوله تعالى..

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١)

قيل: إن الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ...﴾، كما ذهب إليه الجبائي وآخرون، ويبدو - والله العالم - أنها ليست كذلك، بل هي مؤكدة لها.

فهذه الآية: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ والتي قبلها ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ...﴾ - إلى قوله تعالى -: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ست آيات كلها نزلت دفعة واحدة كما يظهر؛ لبيان غرض مشترك؛ وهو بدء تشريع القتال مع مشركي مكة.

لقد بين سبحانه وتعالى غاية وجوب القتال؛ كما بين تعالى للمؤمنين كيفية قتال الكافرين في الآيات السابقة، ثم نهاهم عن قتالهم في الأشهر الحرم ما لم يبدأ وهم بقتال؛ فإن بادر الكفار إلى القتال وانتهاك حرمة الأشهر الحرم وحرمة البيت فلا بد من صدّهم، كما يجب على المسلمين مقاتلة المعتدين منهم دون تجاوز في الحدود...

وقد وردت كلمة «الفتنة» هنا وهناك، وهي تشير إلى الشرك أو الكفر، كما ورد عن ابن عباس، وكذا عن الإمام الصادق (عليه السلام)^(٢).

و«حتى» هي غائية؛ لأن محاربة المشركين يؤدي إلى قتلهم، أو قل على

(١) البقرة / ١٩٣.

(٢) تفسير مجاهد ١ / ٩٨.

الآية الثامنة:..... ٣٤١

أقلّ تقدير إرهابهم وإنزال الضربات بهم حتّى يضعفوا عن القتال، أو يكفّوا عن إيذاء النبي (ﷺ) وأصحابه، ثم إن إخراجهم من مكّة هو الذي يجعل المؤمنين في مأمن واستقرار، فالشرك والكفر عين الفتنة، والفتنة تؤدي إلى الهلاك. وأي فتنة أكبر من فتنة المشركين الذين يتربّصون الدوائر ويتحينون الفرص كي يوقعوا بالمسلمين ويمنعونهم من ممارسة عقائدهم وشعائهم الدينية بحرية وأمان؟

إنّ الشرك أينما وجد وفي أي زمن كان إنّما هو عقبة كبيرة أمام سعادة البشرية. إنّ حاجز كبير يمنع العقيدة المثلى من وصولها إلى النفوس الطاهرة والفطرة السليمة.

فالشرك يفتن الناس بأساليبه ودعاياته المضلّة فيزرع الشك في ضعاف القلوب ويصدّهم عن السعادة الأبديّة، فهذه قوة ظالمة مخربة مهلكة لا بدّ من الوقوف ضدّها، ولا بدّ من مقاتلة مريديها، لا بدّ من استئصال الشرك حتّى يبقى الأمن والأمان، فيمارس الإنسان حرّيّة التدين بالإسلام، وامثال أوامره، والانتهاج بنهجه، لذا شرّع الجهاد منذ اللحظة الأولى التي عاش فيها الإسلام في شبه الجزيرة العربية وهو مهدّد بخطر المشركين واعتداءاتهم المستمرة، فما كان من المسلمين إلّا أن يواجهوا هذا الخطر بالقتال والتضحية بالأنفس والأموال؛ حتّى يبقى الإسلام عزيزاً مكرّماً خالداً بخلود الزمان، وهذا المعنى - الجهاد - لا يقتصر على صدر الإسلام وما قام به الرسول (ﷺ) وأصحابه الكرام، بل يمتدّ إلى كلّ الأعصر والأزمنة، حتّى تُزال قوى الظلم عن الوجود، وتكون الكلمة الخالصة لله.

﴿ويكون الدين كلّ الله﴾، أي: لا بدّ أن تقاتلوهم حتّى تزول كلمة الكفر ويستقرّ الإسلام، ويكون المعبود هو الله وحده لا شريك له، ولا دين إلّا الإسلام؛ وقد ورد عن الرسول (ﷺ) قال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»^(١).

٣٤٢.....الحسين سنام القرآن

﴿فإن انتهوا﴾، أي: رجعوا إلى صوابهم ورشدهم، وتركوا الكفر، وأذعنوا للإسلام فيها ونعمت.

﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾، أي: لا قتال عليهم، ولا شيء يسوؤهم، ولا عقوبة تمسهم، سوى من أصرّ على الكفر أو القتال. وعن قتادة: أن الظالم الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله يقاتل حتى يقول: لا إله إلا الله. كما حكاه الدر المنثور عنه^(١).

كما عرفت أن هذه الآية من ضمن الآيات التي نزلت في تشريع الجهاد بعدما كان المسلمون غير مأذونين بحرب أعدائهم من المشركين والكفار من قريش وسائر العرب وأهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...﴾^(٢).

فالآية الكريمة هنا تأمر المسلمين بالعفو والصفح ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ...﴾.

إذاً، الحرب في بدء الدعوة لم تكن مشرعة، ولكن بعدما قويت شوكة المسلمين اذن الله لهم بالقتال؛ حتى تكون كلمة «لا إله إلا الله» هي العليا؛ لأنها رمز التوحيد، وغاية عز المسلمين.

ومتى ما تقاعس المسلمون عن الجهاد وحرب الأعداء سلط الله عليهم البلاء، وتحكم فيهم الطغاة، وتسلب الظالمون على الرقاب، فآنذاك تعيش الأمة حياة الذل والهوان.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن

(١) الدر المنثور والميزان ٢ / ٧٢.

(٢) البقرة / ١٠٩.

الآية الثامنة: ٣٤٣.

تركه رغبة عنه ألبسه الله الذلَّ وسيم الخسفا^(١).

واعلم: أنَّ الجهاد أوله جهاد النفس، ثم يأتي بعد ذلك جهاد أعداء الدين، وهم المشركون والكفار، وهؤلاء أيضاً على أقسام:

القسم الأول: مجاهدة مشركي مكة ومن انطوى تحت لوائهم. وهناك آيات عديدة منها: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما تعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أنَّ الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾^(٢).

القسم الثاني: مجاهدة أهل الكتاب ومحاربتهم؛ لأنَّ هؤلاء وإن أظهروا التوحيد إلا أنهم أشركوا بالله، كاليهود والنصارى، كما قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله...﴾^(٣). وكذا قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾^(٤).

وقد أمر الله المسلمين بمحاربة هؤلاء كما في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾^(٥).

القسم الثالث: محاربة المشركين كافةً، كما قالت الآية الكريمة: ﴿قاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً واعلموا أنَّ الله مع المتقين﴾^(٦).

(١) وسائل الشريعة باب: ١ من أبواب جهاد العدو، ح: ٢٥ و ١١ / ١١.

(٢) الأنفال / ٣٩ - ٤٠.

(٣) التوبة / ٣٠.

(٤) التوبة / ٣١.

(٥) التوبة: ٢٩.

(٦) التوبة / ٣٦.

٣٤٤.....الحسين سنام القرآن

وهؤلاء المشركون هم غير أهل الكتاب، لذا كانت محاربتهم أينما وجدوا، قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

القسم الرابع: محاربة الكفار جميعاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾^(٢).

ثم اعلم: أنَّ الجهاد ما شرَّع إلا لإعادة الإنسان إلى فطرته الأولى؛ لأنَّ الكفر والشرك حالات غير طبيعية، تدخل في تفكير الفرد السقيم الذي ابتعد عن صفاء النفس والروح، والتجأ إلى الظلم والإجرام بحق نفسه أو بحق الآخرين، وهذا انفلات عن الضوابط الإنسانية، والارتقاء في أحضان الفساد والرذيلة. أمَّا الدين الإسلامي فهو دين الفطرة والإنسانية والعدالة، جاء كي ينقذ البشر من الظلم والضلال ويدخلهم في النور والهداية. لذا كان بدء الرسالة دعوة الناس إلى الله تعالى وتوحيده بأسلوب هاديٍّ وجميلٍ وحسنٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُوا إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾^(٣).

وهذا يلتقي مع فطرة الناس وصفائهم. أمَّا مَنْ أبى واستكبر: كالكفار والمشركين فلا بدَّ من إرجاعهم إلى الحقِّ والصواب بأيِّ وسيلةٍ كانت، ومنها: المحاربة والقتال؛ لأنَّ وجود هؤلاء فتنة، ومع بقائهم صدمة للدين وموت للمسلمين، ويعكسه حياة وسعادة للمسلمين وللبشرية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾^(٤)، فإنَّ دعوة الرسول إلى الجهاد هي دعوة لإعادة الحياة إلى الإنسانية.

(١) التوبة / ٥.

(٢) التوبة / ١٢٣.

(٣) التحل / ١٢٥.

(٤) الأنفال / ٢٤.

تأول الآية والدليل الروائي ٣٤٥.

تأول الآية والدليل الروائي

في كامل الزيارات: قال: حدّثني محمد بن جعفر الرزّاز، عن محمد بن الحسين، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١) قال: أولاد قتلة الحسين (عليه السلام)^(٢).

وفي العلل وتفسير العيّاشي بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام): يا ابن رسول الله ماتقول في حديث روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين (عليه السلام) بفعال آبائهم، فقال: هو كذلك، قلت: يقول الله عزوجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ما معناه؟ فقال: صدق الله في جميع أقواله، لكنّ ذراري قتلة الحسين (عليه السلام) يرضون بأفعال آبائهم ويفترخون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عندالله - عزوجل - شريك القتال، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعال آبائهم»^(٣).

وفي حديث مناجاة موسى (عليه السلام) الذي ذكر فيه قصّة الحسين (عليه السلام) قال موسى: «برئت إليك اللهم منهم وممن رضي بفعالهم»^(٤).
وتجد هذا المعنى في كثير من الزيارات المأثورة: لعن الله من قتلك أو

(١) بعض آية البقرة / ١٩٣.

(٢) كامل الزيارات ٦٤ باب ١٨.

(٣) تفسير البرهان ١ / ١٩١، وعلل الشرايع ٢٢٩.

(٤) البحار ٤٤ / ٣٠٨ ونور الثقلين ١ / ١٧٨.

٣٤٦.....الحسين سنام القرآن

شرك في دمك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به.
كما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَنَّ الراضي بفعل قوم كالداخل فيه
أو معهم».

وعن السجاد (عليه السلام): «أَنَّ مخاطبة الله تعالى لليهود الذين كانوا في عصر
النبي (صلى الله عليه وآله) بفعال آبائهم من الخير والشر، أو بما بهم فعل إنما هي من جهة أَنَّ
الأخلاق راضون بما فعل الأسلاف أو فعلوه. وقد نزل القرآن بلغة العرب، وهم
يخاطبون بمثل ذلك، يقول الرجل للتميمي الذي أغرقوه على بلدة وقتلوا من
فيها: أغرتم على بلدة كذا، أو فعلتم كذا، أو قتلتم أهلها وإن لم يكن هو معهم.
والسرُّ إلا نهى في ذلك: أَنَّ الراضين يكونون في سنخ الفاعلين بحسب
الطينة الأصلية والحقيقة الذاتية بحيث لو قدروا على ما قدر عليه أولئك لفعلوا ما
فعلوا.

في تفسير العياشي: عن الحسن بن عمار الهروي، يرفعه عن أحدهما في
قوله: «لا عدوان إلا على الظالمين» قال: إلا على ذرية قتلة الحسين (عليه السلام) «(١)».
وكذا فيه، عن إبراهيم قال: أخبرني من رواه، عن أحدهما قال: قلت: «فلا
عدوان إلا على الظالمين» قال: لا يعتدي الله على أحدٍ إلا على نسل قتلة الحسين
(عليه السلام) «(٢)».

(١) تفسير العياشي ١ / ٨٦ والوسائل ٢ باب ٥ وتفسير الصافي ١ / ١٧٢ وتفسير البرهان ١ / ١٩٠
ونور الثقلين ١ / ١٧٨.

(٢) تفسير العياشي ١ / ٨٧ وتفسير البرهان ١ / ١٩٢.

الآية التاسعة:..... ٢٤٧.

الآية التاسعة:

قوله تعالى..

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)

مفهوم الإنفاق في الآية الكريمة يشمل جميع صوره التي ألفها المجتمع البشري: كالصدقات، وصلة الأرحام والحقوق الواجبة. والعطاء الذاتي: كبذل النفس وتقديمها لله في مواطن الجهاد، وبذل الأموال في الخير والمعروف والطاعة، إلا أن أصدق هذه المفاهيم وأقربها للآية الكريمة هو الجهاد في سبيل الله سواء كان ببذل المال أو ببذل النفس.

وشرط قبول الإنفاق يجب أن يكون خالصاً لله، خالياً من كل ضميمة مبطلة له كالمنّة، والرياء وغيرهما.

وقد يترتب على الإنفاق بعض المضارّ الدنيويّة: كفقد المال أو الجاه أو الحياة، فهل ذلك جائز؟ وما دليله؟ وكيف نوفّق - إذا قلنا بالجواز - مع الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؟

لو تأمل الإنسان المؤمن الفطن في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية - وهما أصلان رئيسيان للأحكام، ومنبعان خالصان للتشريع الإسلامي - لوجد أن الشريعة الإسلامية قد أباحت الضرر اليسير أو الضرر الدنيوي لو ترتّب عليه مصلحة إسلامية، سواء كانت هذه المصلحة خاصّة - كأن تعود للفرد وحده - أم عامّة تعود للمجتمع الإسلامي بصورة ما.

ومن هنا أوجب الله الجهاد على الأمم السالفة واللاحقة بضمنها أمة

٣٤٨.....الحسين سنام القرآن

محمد (ﷺ) إعلاءً لكلمة الله، وهي كلمة التوحيد ضد الكفر والشرك.
وعلى هذا كان الجهاد من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وقد فتح الله بابه
للخاصة من عباده وأصفائه.
والإنفاق - هنا - أريد به مقدمة للجهاد، فكما أن الجهاد واجب فمقدمته
كذلك واجبة.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، الإلقاء: هو الدفع والطرح، والأصل
من لقي الشيء استقبله وواجهه. ويستعمل في الشر أكثر منه في الخير، والفعل
يتعدى بنفسه، وقد جاءت «الباء» مع المفعول لتوكيد النهي.
و«الأيدي»: الأنفس مجازاً؛ لأن اليد سبب لإظهار كثير من الأفعال.
و«التهلكة»، أي: الهلاك والإهلاك والفناء.

فماد الآية: لا تتركوا الغزو والإنفاق فيه، وتركهما يفضي إلى الهلاك
والخسران. فالنهي عام، إلا أن جملة ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾
معطوفة على جملة ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ﴾ فمما يظهر: أن النهي أريد به جانبي
الإفراط والتفريط من جهة الإنفاق، لأنه إن كان تقتيراً وبخلاً في الإنفاق فذلك
مما يفوت الفرصة على المسلمين، فحينئذ يتمكن العدو منهم، ويخسر
المسلمون آنذاك الحرب، وهذا منهي عنه.

وكذا الإسراف في الإنفاق والتبذير فهو إضاعة للمال، مما يوجب الفقر
والعوز، وهذا أيضاً يؤدي إلى نكد العيش والذل.

وممن اختار هذا المعنى من العامة الجبائي، وكذا روى البيهقي في
الشعب، عن الحسن في معنى التهلكة: أنها البخل، لأنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد،
فيكون النهي مؤكداً للأمر السابق^(١).

وقد أيد الألوسي المعنى المتقدم بالخبر الوارد عن أبي عمران، قال: كنا

(١) تفسير روح المعاني ٢ / ٧٨، وكذا تفسير مجاهد ١ / ٩٩.

الآية التاسعة:..... ٣٤٩.

بالقسطنطينية فخرج صف عظيم من الروم، فحمل رجل من المسلمين حتى دخل فيهم، فقال الناس: ألقى بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس، إنكم تؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معاشر الأنصار، إنما أعز الله تعالى دينه وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله (ﷺ): إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله تعالى قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه (ﷺ) ما يرد علينا ما قلنا ﴿وأنفقوا...﴾، فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وترك الغزو...^(١).

وفي التهلكة معنى آخر نسبته بعض مفسري العامة إلى البراء بن عازب قال: أي المعنى لا تقتحموا في الحرب بحيث لا ترجون النفع ولا يكون لكم فيه إلا قتل أنفسكم، فإن ذلك لا يحل، وإنما يجب أن يقتحم إذا طمع في النكاية وإن خاف القتل، وإلا فمع كونه آيساً من النكاية وظنه المغلوبة فليس له أن يقدم عليه^(٢).

أقول: هذا ما نقله الفخر الرازي في تفسيره، إلا أنني وجدت ما يخالف ذلك في تفسير الألويسي، ولا بأس بنقل العبارة، قال: وأخرج سفيان بن عيينة وجماعة، عن البراء بن عازب: أنه قيل له: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ هو الرجل يلقي العدو فيقاتل حتى يقتل، قال: لا، ولكن هو الرجل يذنب الذنب فيلقي بيديه، فيقول: لا يغفر الله تعالى لي أبداً...^(٣).

يتضح من النص: أن هناك سائلاً قد سأل البراء بن عازب في شأن التهلكة، والسؤال كان يحوي جوانباً، إلا أن مدى صحة ذلك الجواب غير

(١) المصدر السابق ٢ / ٧٧.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٥ / ١٥٠.

(٣) روح المعاني ٢ / ٧٨، والدر المنثور ١ / ٢٠٨.

٣٥٠.....الحسين سنام القرآن

معلوم، والبراء نفى ذلك الجواب بجوابٍ آخر، وهو: الرجل يذنب الذنب...الخ.
وكيفما كان؛ فالخبران من حيث المتن فيهما تناقض واختلاف كبير؛
ونحن نردّ على هذا وأمثاله من مفسّري العامة الذين يقرّون ذلك المعنى الذي
ذكره الرازي، ولا يخفى أنّ البعض منهم يذهب أكثر من ذلك، فيقول: إنّما
استحقّ الحسين القتل من يزيد؛ لأنّه خرج على إمام زمانه، وقد عرّض نفسه
للهلكة، ويزيد معذور في قتله...!!

تأمل أيّها القارئ، كيف أعمى الله قلوب هؤلاء النفر حتّى قالوا ببراءة
يزيد، وأنّه معذور أمام الله...!!

ولم تقف الأيدي الأثيمة والأقلام المأجورة عند هذا الحدّ، بل أخذ تجار
الباطل والتزوير في طمس الحقائق، وقلب المفاهيم، وتشويه معالم التاريخ، فقد
أودعوا في كتبهم الكذب والافتراء وتحريف الكلم عن مواضعه... ولم يكتفوا
بذلك، بل يخادعون الناس بقولهم: إنهم يبحثون عن الحقيقة... ويبغون من
عملهم ذاك تنقيح التاريخ الإسلامي وتحقيقه...!!

لكن لو اطّلت على ما كتبوه لوجدت الكذب والافتراء والتحريف
أوضح من شمس النهار، فتبّأ لهم ولما يصنعون؛ ﴿والذين يمكرون السيئات
لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور...﴾^(١).

بين فترة وأخرى ينفجر بركان الحقد والحسد، متّخذاً صور الدفاع عن
يزيد وبني أميّة الذين تلطّخت أيديهم بدماء الأبرياء من المؤمنين والصحابة
والعترة الطاهرة من آل الرسول (ﷺ) في واقعة كربلاء، وقتلهم الحسين (عليه السلام)
ظلماً وعدواناً، وكم علت صرخات الباطل من هؤلاء المسعورين؛ كي يعيدوا
المجد لآل أبي سفيان، الذي ما انعقدت راية ضدّ الإسلام - آنذاك - إلا وأبو
سفيان قائدها.

الآية التاسعة: ٣٥١

وهكذا بالنسبة إلى سلاله هذا العمود الخبيث الذي توالى النكبات والمصائب على المسلمين باغتصابهم الخلافة من أهلها الشرعيين من جهة، وأنهم طمسوا معالم الإسلام، وغيروا السنن، وحرفوا الكتاب، بل مزقوه^(١)، وأظهروا أحقادهم ونزعاتهم الجاهلية، وركنوا إلى العصبية التي نهى عنها الدين الحنيف من جهة أخرى.

﴿وأحسنوا﴾، الإحسان له وجوه كثيرة، ولا يبعد أن يحمل في الآية على أن يحسن الفرد في الإنفاق في الجهات المعدة له: كالإنفاق في الحرب، والبذل على المجاهدين، وتهيئة العدة والسلاح للمقاتلين الذين يفتقرون إلى أجهزة القتال وآلاته، على أن لا يكون في الإنفاق تقتير أو تبذير.

ويمكن أن يراد بالإحسان من حيث الفعل الحسن؛ أي: القتال في مورد القتال، والكف في مورد الكف، وإلى غير ذلك من الكرّ والفرّ اللاتيين بالمصلحة العامة التي تفرضها الحرب وسير المعركة.

واعلم: أن الإقدام على الجهاد والذب عن جُمى الإسلام واجب بأمر من الله والرسول؛ فالشارع المقدّس أوجب له لدرء الخطر المحيط بالإسلام والمسلمين، والذي يتجدّد هذا الخطر كلّما قام للشرك دور يباغت فيه حصن

(١) لقد استفتح الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ذات يوم في القرآن فقرأ الآية ﴿واستفتحوا وخاب كلّ جبارٍ عنيد من ورائه جهنّم ويُسقى من ماءٍ صديدٍ﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشأ، وأقبل يرميه وهو يقول:

أَتَسُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَهِيَ أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ
إِذَا مَا جِئْتُ رَبِّكَ يَوْمَ حَشَرٍ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَقْنِي الْوَلِيدُ!!
وذكر محمد بن يزيد الميزد النحوي أن الوليد ألحد في شعره له، ذكر فيه النبي ﷺ، وذكر أن الوحي لم يأتيه عن ربه - كذب أخزاه الله - من ذلك الشعر يقول:

تَلَعَّبَ بِالْخِلَافَةِ هَاشِمِيٌّ بَلَا وَحْيٍ أَتَاهُ وَلَا كِتَابٍ
فَقُلْ لَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلْ لَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي!!
انظر مروج الذهب، للمسعودي ٣ / ٢١٦.

٣٥٢.....الحسين سنام القرآن

الإسلام.

فالجهد واجب وإن لم يحقق نصراً أو نفعاً في الحال، وواضح أن الفوائد المترتبة على ذلك كثيرة، أقل ما يقال هنا: هو إبراز وحدة المسلمين تجاه الشرك، وإظهار تفاني أهل التوحيد لغرض إعلاء كلمة الله سبحانه وإعزاز دينه، أضف إلى ذلك إرهاب الشرك والوقوف ضد مخططاته الخبيثة.

ومن هنا ترى غزوات الرسول (ﷺ) تلاحق قوى الشرك والكفر في الجزيرة العربية وخارجها، عندما قويت شوكة المسلمين، وفي الوقت نفسه تجد بعض الغزوات لم يحقق المسلمون فيها نصراً على أعدائهم...، إلا كان الاقتحام في الهلكة واضحاً على رأي من يرى أنه هلاك للنفس.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، الجملة واضحة الدلالة؛ فإن المحسن في جميع وجوه الإنفاق ينال رضى الله سبحانه وثناؤه؛ لأن الله يحب وجوه الخير، والإحسان أحد وجوهه.

تأويل الآية والدليل الروائي من باب الجري ٣٥٣

تأويل الآية والدليل الروائي من باب الجري

لقد عرفت قبل قليل: أنَّ الجهاد في سبيل الله من الفرائض التي سنّها الإسلام، وهي الفريضة المقدّسة التي أعطت للإسلام عزّة، وللمسلمين الهيبة والسُّودد. فمن خلال الحديث الذي ذكره الآلوسي: عن أبي عمران، قال: كنّا بالقسطنطينية فخرج صف عظيم من الروم... الخ^(١). ومن أحاديث أخرى نستدلّ بها على أنَّ التهلكة المقصودة لا تكون في الإقدام على الجهاد، بل إنّما التهلكة في الإعراض عنه والجنوح الى الأهل والملذات، والركون إلى الدنيا. فمن أعرض عن أمر الشارع المقدّس كان تهلكةً لنفسه وللغير، لذا نهت الآية الكريمة عن ذلك.

ولا يخفى أنَّ الحسين (عليه السلام) قد أنفق جلّ ما يملكه وأعزّ شيء، وهو: بذل النفس، وذلك أقصى غاية الجود، حيث قدّم نفسه قرباناً لله بعدما قدّم أولاده وإخوته وبني عمومته، ولم يسلم منهم حتّى الطفل الرضيع، وكلّ ذلك كان قد أعلنه - مسبقاً - لأهل بيته وأصحابه بما تؤول إليه الحرب؛ من قتل وسبي وتشريد... الخ، لكنّ نتيجة الحرب هذه هو الفتح والنصر؛ حيث قال (عليه السلام): عند خروجه من الحجاز: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح^(٢). وأيّ فتح أراد الحسين (عليه السلام) غير إعلاء كلمة الله والإسلام، كما أنَّ الحرب ضدّ الكفر والشرك - شرك يزيد وأتباعه - هو تعرية لنظام الأمويين

(١) راجع تفسير روح المعاني للآلوسي ٢ / ٧٧، والتفسير الكبير للرازي ٥ / ١٥٠، وتفسير الميزان .

٧٣ / ٢.

(٢) كامل الزيارات ص ٧٥.

٣٥٤.....الحسين سنام القرآن

وإظهار حقيقة الإسلام، وأنه يأبى الضيم والخنوع...
قال السيد ابن طاووس: والذي تحقّقناه: أن الحسين (عليه السلام) كان عالماً بما انتهت حاله إليه، وكان تكليفه ما اعتمد عليه،...إلى أن قال: ولعلّ بعض من لا يعرف حقائق شرف السعادة بالشهادة يعتقد أنّ الله تعالى لا يقبل بمثل هذه الحالة. أمّا سمع في القرآن الصادق المقلّ أنّه تعبّد قوماً بقتل أنفسهم فقال تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ ولعله يعتقد أنّ معنى قوله تعالى: ﴿ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ أنّه هو القتل، وليس الأمر كذلك، وإنّما التعبّد به من أبلغ درجات العبادة^(١).

(١) اللهوف في قتل الطفوف

الآية العاشرة: ٢٥٥

الآية العاشرة:

قوله تعالى..

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١)

اختلف المفسرون في سبب نزول الآية، لكن المشهور عندنا وعند بعض العامة: أنها نزلت في الإمام عليٍّ (عليه السلام)، عند مبيته على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) لما خرج إلى الغار مستتراً عن قريش لما أجمعت على قتل النبي (صلى الله عليه وآله). فقد نقل الفخر الرازي في تفسيره الكبير: أنها نزلت في عليٍّ بن أبي طالب عندما بات على فراش الرسول ليلة خروجه إلى الغار^(٢).

وفي تفسير الثعلبي - وغيره - بإسناده إلى ابن عباس، وطرق أخرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل أني أخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر أخاه على الحياة فكلاهما كرها الموت، فاوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل وليي علي بن أبي طالب، أخيت بينه وبين محمد نبيي، فأثره بالحياة على نفسه، ثم أرقده على فراشه يقيه بمهجته، إهبطاً إلى الأرض جميعاً واحفظاه من عدوه، فهبط جبرائيل فجلس عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجعل جبرائيل يقول: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب والله يباهي بك الملائكة، فأنزل الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...﴾^(٣).

في غاية المرام: عن طريق العامة، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: إن أول

(١) البقرة / ٢٠٧.

(٢) التفسير الكبير ٥ / ٢٢٣.

(٣) تفسير البرهان ١ / ٢٠٧، ومجمع البيان ١ / ٣٠١.

٣٥٦.....الحسين سنام القرآن

من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى علي بن أبي طالب (١).

وفي روح المعاني أقوال عديدة في سبب نزول الآية: منها: قال: وقال الإمامية وبعض متأ: إنها نزلت في علي - كرم الله وجهه - حين استخلفه النبي (ﷺ) على فراشه بمكة لما خرج إلى الغار... (٢).

وفي المناقب لابن شهر آشوب - وغيره - قال: نزل قوله: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد﴾ في علي حين بات على فراش رسول الله (ﷺ).

ورواه العياشي أيضاً، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: وأما قوله: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد﴾ فإنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله (ﷺ) لما طلبته كفار قريش (٣).

وفي المجمع - بعدما ذكر سبب نزول الآية - عن السدي، عن ابن عباس،

(١) غاية المرام ٣٤٤ الباب ٤٥ ط حجرية.

وقد ذكر البحراني طرقات عديدة من أبناء العامة تربو على العشرة في نزول الآية في علي بن أبي طالب؛ من تلك الطرق عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، منها عن أبي المؤيد موفق بن أحمد، منها عن طريق تفسير الثعلبي، منها عن محمد بن عبدالله القاييني، منها عن أبي نعيم الحافظ، منها عن إبراهيم بن محمد الحموي وكذا المالكي في كتاب الفصول المهمة قال: أورد الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (رحمه الله) في كتابه «إحياء علوم الدين»: أن الليلة التي بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله (ﷺ) أوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل: أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأتيكما يؤثر صاحبه الحياة... الخ الحديث.

راجع في ذلك تفسير الثعلبي ج ١ تفسير الآية، وابن الفارسي في روضة الواعظين، والشيباني في تفسيره نهج البيان، وابن عتبة في ملحمة، وأبو السعادات في فضائل العشرة، والغزالي في الأخبار، وفضائل الصحابة عن عبد الملك العكبري، وعن ابن المظفر السمعاني،... أما طرق الإمامية فهي كثيرة فراجع.

(٢) تفسير روح المعاني ٢ / ٨٣.

(٣) تفسير القمي ١ / ٧١، تفسير العياشي ١ / ١٠١، تفسير البرهان ١ / ٢٠٦.

الآية العاشرة: ٣٥٧.

أنها نزلت في علي بن أبي طالب. وذكر قولاً آخر عن عكرمة: أنها نزلت في أبي ذر الغفاري جندب بن السكن، وصهيب بن سنان...، ثم قال: وروي عن علي وابن العباس: أن المراد بالآية: الرجل الذي يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال قتادة نزلت في المهاجرين والأنصار.

وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله^(١).

هذه بعض المصادر والأقوال التي أكدت على أن نزول الآية في الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولولا الإطالة لذكرنا عشرات المصادر من طرق الشيعة وأهل السنة، لكننا اكتفينا ببعضها، وأشرنا إلى بعض منها في الهامش. غير أن العجيب في الأمر: أن بعض المفسرين لا يروق لهم أن تكون للإمام علي (عليه السلام) تلك الفضائل والمناقب بحيث ينزل الذكر الحكيم بمدحه والثناء عليه، لذا فإن هؤلاء غصوا الطرف عن ذكر تلك الروايات التي تنص وتخصّص نزول تلكم الآيات البينات بحق الإمام علي (عليه السلام). فقد أسدلوا الستار على الكثير منها بَعْضاً منهم له، وأن محبيه كتموا فضائله خوفاً من أعدائهم، ومع ذلك فما تراه قد ملأ الخافقين كالمسك يعطي رائحة وإن أخفيته. فهذا السيوطي يؤكد على أن نزول الآية في صهيب، وصاحب الظلال لا يعيب أن يذكر رواية في حق علي، وهكذا آخرون...^(٢).

﴿الشراء﴾ في الآية الكريمة بمعنى: البيع؛ لأن الجهاد هو بذل النفس، وبأذلها هو الإنسان، والغاية: هو مرضاة خالقها، والمشتري هو الله جل ثناؤه،

(١) مجمع البيان ٢ / ٣٠١.

(٢) الدر المنثور ١ / ٢٣٩، وفي ظلال القرآن ٢ / ٢٩٧ ط ٥.

ذكر الحديث جمع من الصحابة، مثل: أنس بن مالك، وأبي زيد الأنصاري، وابن عباس، وجابر الأنصاري، وأبي ذر الغفاري، وأبي رافع، وهند ابن أبي هالة، وعمار بن ياسر؛ وهناك طرق عديدة تنتهي إلى علي بن الحسين، وبعضها تنتهز إلى الإمام علي (عليه السلام).

٣٥٨.....الحسين سنام القرآن

فكأنما في الآية تصوير نوع من المعاملات، وهي معنوية لا مادية. فهناك طرفا العقد: البائع والمشتري، وهناك ثمن ومثمن.

أما البائع: فهو الإنسان الذي أخلص لعقيدته ودينه. وأما المشتري: هو الله سبحانه وتعالى وإن كان بدءاً منح الحياة للإنسان فجعلها عزيمة غالية لا يمكن أن يتفادى بها المرء، لذا رغب الناس على الجهاد، ووعدهم الجنة خالدين فيها. أما الثمن: فهو بذل النفس والروح في جهاد أعداء الله، والذب عن بيضة الدين، والانتصار لإعلاء كلمة التوحيد.

أما الثمنك فهو الجنة التي تجري من تحتها الأنهار...

هذا هو الشراء الذي معناه: البيع، ويدل عليه قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ...﴾ أي باعوه بثمن بخس.

فالذي يبذل نفسه كالبائع، والله تعالى شأنه كالمشتري. قال تعالى: ﴿إِنَّ

اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ...﴾^(١).

وقد سمى الله تعالى ذلك تجارة، بدليل قوله عز ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...﴾^(٢).

(١) التوبة / ١١١.

(٢) الصف / ١٠ - ١١.

تأويل الآية والدليل الراوي من باب الجري ٣٥٩

تأويل الآية والدليل الراوي من باب الجري

ذكرنا في الصفحات السابقة عن المجمع، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن المراد بالآية: الرجل يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. أقول: من ابرز مصاديق هذه الآية: الحسين بن علي (عليه السلام)، إذ لم يخرج على يزيد إلا ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقيم حدود الله. لكن ماذا أقول لمن ذاب في حب بني أمية، وعلق مصير عاقبته بهم، فذهبت به النزعة الأموية والعصبية الجاهلية كل مذهب ... فهذا الشيخ محمد الخضرى في كتابه «محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية» يقول: (... فإن الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جرّ على الأمة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد ألفتها الى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران في القلوب فيشتد تباعدها، غاية ما في الأمر: أن الرجل طلب أمراً لم يتهياً له، ولم يعد له عدته، فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه، وقبل ذلك قتل أبوه، فلم يجد من أقلام الكتّاب ومن يتبع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيجاً، وقد ذهب الجميع الى ربّهم يحاسبهم على ما فعلوا؟ والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة، وهي: أنه لا ينبغي لمن يريد عظام الأمور أن يسير إليها بغير عدتها الطبيعية، فلا يرفع سيفه إلا إذا كان معه من القوة ما يكفل النجاح، أو يقرب من ذلك كما أنه لا بد أن تكون هناك أسباب حقيقية لمصلحة الأمة، بأن يكون هناك جور ظاهر لا يحتمل، وعسف شديد ينوء الناس بحمله، أما الحسين فإنه خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور، ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف^(١).

(١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ١٢٩/٢ - ١٣٠، طبع سنة ١٣٥٤ هـم الاستقامة المحاضرة الرابعة والثلاثون.

٣٦٠.....الحسين سنام القرآن

أقول: هل نسي الخضرى أم غفل عن آيات الجهاد التي يزخر بها القرآن الكريم؟

أم أنه ينكر الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضرورة الوقوف بوجه الحاكم الجائر والسلطان الظالم المتعسف المتحكم برقاب الناس؟!

أم يعتقد الخضرى - كما يعتقد سلفه من علماء المادة وتجار الدين وأرباب المصالح والنزوات - أن طاعة الرعية للخليفة واجبة، وإن كان الخليفة ظالماً جائراً، فاسقاً، ينتهك الحرمات، ويسفك الدماء... الخ؟

فأي دين هذا الذي يجور فيه الحاكم، ويسرق فيه الوالي، ويزني فيه الأمير أو القائد، ثم الخليفة يسفك الدماء ويحرم حلال الله، ويحلل حرام الله... الخ؟

كأنما هؤلاء السلف ومن تبعهم من المعاصرين - من كتاب وعلماء - نسوا كتاب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب الإمارة والإمامة وغيرها من أبواب الفقه تجدها في جميع مصادر العامة الشيعية والسنة وفيهما مئات الأحاديث الصادرة من صاحب الرسالة النبي الأكرم (عليه السلام) ... والذي تبين أهمية الجهاد وفضله وسننه ومواقعه وطرقه وكل ما يتعلق به، وعدم إطاعة الحاكم الظالم فهل ينكرون تلك الأحاديث، أم أنهم عميت أبصارهم وبصيرتهم....؟

ولمّا وجدنا أن هذا الأسلوب من التفكير عند هذه الطائفة في الوقت الحاضر يحذو حذو السلف من غير روية ولا تفكير، بل حذو النعل بالنعل فقد كان لزاماً علينا أن نذكر بعض تلك الأحاديث الشريفة التي تنص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم إطاعة الحاكم الجائر، بل التأكيد على الجهاد بكل صورته، وأن لا بيعه ولا طاعة إلا في معروف ...

نصوص من كتب السنة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم

١ - في مستدرک الصحيحین ٣/٣٥٧ في ذكر مناقب عبادة بن الصامت، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تعتبوا أنفسكم، فوالذي نفسي بيده إن معاوية من أولئك...».

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/٣٢٥ و٣/٨٤ و٢/١٦١، وسنن البيهقي ١٦٩/٨ و١٥٩، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/٣٩٦.

٢ - في كنز العمال ٦٧/٦: قال الرسول (ﷺ): «لا طاعة لمن لم يطع الله» حديث ١٤٨٧٢.

٣ - في كنز العمال ٦٧/٦: قال الرسول (ﷺ): «من أمركم من الولاية بمعصية فلا تطيعوه». حديث ١٤٨٧٣.

٤ - المصدر السابق: قال الرسول (ﷺ): «سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم، يحدثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون العمل، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدقوا كذبهم، فأعطوهم الحق ما رضوا به، فإذا تجاوزوا فمن قُتل على ذلك فهو شهيد». حديث ١٤٨٧٦. كنز العمال ٦٧/٦ ذيل الحديث الشريف فيه تصريح بمجاهدة الحكام الظالمين والوقوف بوجه أولئك، لردعهم عن الفساد والمنكر والبدع، حتى ولو كلف ذلك إزهاق الروح وسفك الدم، ومن قُتل على هذا السبيل فهو شهيد.

٥ - المصدر السابق قال الرسول (ﷺ): «طاعة الإمام حق على المرء المسلم ما لم يأمر بمعصية الله، فإذا أمر بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة». ٦٨/٦.

٣٦٢.....الحسين سنام القرآن

٦ - المصدر السابق، قال الرسول (ﷺ) : «إنما الطاعة في معروف».
أخرجه مسلم في صحيحه. الكنز ٥٠/٦ وهو مروي عن أبي.
ويفهم من الحديث أن لا طاعة في منكر.

٧ - المصدر السابق، عن ثوبان قال الرسول (ﷺ) : «استقيموا لقريش ما
استقاموا لكم، فإن لم يستقيموا لكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم أريدوا
خضراءهم». الكنز ٦٨/٦.

٨ - المصدر السابق، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ) : «إن الله
لم يبعث نبياً إلا وله حواريون فيمكث بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم
بكتاب الله وسنة نبيه، فإذا انقضوا كان من بعدهم أمراء يركبون رؤوس المنابر
يقولون ما تعرفون، ويعملون ما تنكرون، فإذا رأيتم أولئك فحق على كل مؤمن
يجاهدكم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ليس وراء
ذلك إسلام».

ألفاظ الحديث صريحة في مجاهدة كل حاكم أو أمير أو خليفة إذا عمل
بالجور والظلم والمنكر كنز العمال ٧٣/٦.

٩ - «إن التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مؤمناً بالقرآن
ولا بي». كنز العمال ٦٥/٣.

١٠ - في كنز العمال، عن ابن مسعود قال: قال الرسول (ﷺ) : «تقربوا
إلى الله ببغض أهل المعاصي، وألقوهم بوجوه مكفهرة، والتسموا رضا الله
بسخطهم، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم» ٦٥/٣.

١١ - عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله (ﷺ) : «والذي نفسي
بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم
عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم». كنز العمال ٦٨/٣ و ٧٤ الحديث ٥٥٦٢
وأخرجه الترمذي.

نصوص من كتب السنة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم ٣٦٣

١٢ - عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): «سيد الشهداء حمزة ورجل قام الى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله». رواه الحاكم.

١٣ - عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر».

أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک ٦٢٦/٣. وكنز العمال ٦٤/٣ و٦٥ و٧٨ الحديث ٥٥٧٦ و٥٥١٤ و٥٥١٠ و٥٥١١ و٥٥١٢.

١٤ - وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «ستكون أمراء يظلمون ويكذبون وتغشاهم غواش، أو قال: حواش من الناس، فمن أعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ولا أنا منه، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعينهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه». كنز العمال ٣١٤/١١ الحديث ٣١٦١٣ طبعة حلب ١٩٧٤.

١٥ - وهناك أحاديث كثيرة تنص على مجاهدة السلطان الجائر، على سبيل المثال انظر أنساب الأشراف للبلاذري ١٧١/٣ والكامل في التاريخ ٢٨٠/٣. وكذلك احاديث في استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار انظر في هذا: صحيح مسلم الكتاب الأول حديث ٢٢٩ ومسند احمد الكتاب الثاني ص ٤٢٥ و٤٣١ و٤٧٩ و٥٢١ والكتاب الرابع ص ٢٣١ والكتاب الخامس ص ٣٢٥ و٢٧.

هذه جملة من الأحاديث الشريفة الصادرة من صاحب الرسالة، والصادع بأمر الله، خاتم الأنبياء، الرسول محمد (ﷺ) التي نصت على مجاهدة الطغاة والحكام وولاة الجور وأمراء الباطل والفساد والفجور وأهل البدع، لذا كان على المسلمين مناهضة أولئك وإعلان الجهاد والحرب ضدهم والوقوف بوجههم، ولا بدّ للأمة أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بشئ الوسائل وبمختلف السبل، وإن كلف ذلك أرواحهم.

ولا شك أن حكام بني أمية كانوا غاصبين للخلافة، واستعملوا الإرهاب

٣٦٤.....الحسين سنام القرآن

والسيف والنار في كمّ الأفواه، وعلاوةً على ذلك ارتكبوا الموبقات والزوائل، وأشاعوا الفساد بين الناس، وعاقروا الخمرة، وتجاهروا بالفسق والفجور، وهذا ما نصّت عليه كُتُب التاريخ.

ذكر الطبري في تاريخه لأحداث سنة (٢٨٤هـ) عندما سرد كتاب المأمون الذي أمر بإنشائه بلعن معاوية، وقد أراد المعتضد بالله أن يؤدّي نفس المهمة، فأمر بإخراج الكتاب من الديوان، وهو كتاب مفصّل فيه مثالب أبي سفيان ومعاوية ويزيد وما قاله الرسول (ﷺ) في ذمّهم ونحن نقطف بعضه:

«... وكان ممّن عانده ونابذه وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر والسواد الأعظم، يتلقّونه بالكذب والتثريب، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويزارونه بالعداوة وينصبون له المحاربة؛ ويصدّون عنه من قصده، ويسألون بالتعذيب من اتّبعه، وأشدّهم في ذلك عداوةً وأعظمهم له مخالفة، وأولهم في كلّ حربٍ ومناسبة، لا يرفع على الإسلام رايةً إلّا كان صاحبها قائدها ورئيسها في كلّ مواطن الحرب من بدرٍ وأحُدٍ والخندق والفتح: أبوسيفان بن حرب وأشياعه من بني أميّة الملعونين في كتاب الله، ثمّ الملعونين على السان رسول الله في عدّة مواطن وعدّة مواضع، لما في علم الله فيه وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم فحارب مجاهدًا، ودافع مكابدًا، وأقام منابذًا حتّى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون.

فتقول بالإسلام غير منطو عليه، واسرّ الكفر غير مقطوع عنه، فعرفه بذلك رسول الله (ﷺ) والمسلمون، وميّز له المؤلّفة قلوبهم فقبله، وولده على علم منه.

فمّا لعنهم الله به على لسان نبيّه - صلى الله عليه وسلّم - وأنزل به كتاباً قوله: «والشجرة الملعونة في القرآن ونحوّهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً»، ولا اختلاف بين أحدٍ أنّه أراد بها: بني أميّة.

نصوص من كتب السنة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم ٣٦٥

ومنه: قول الرسول (ﷺ) .. وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به
ويزيد ابنه يسوق به: «لعن الله القائد والراكب والسائق».

ومنه: ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد منافٍ تلَقَّفوها تلَقَّف الكرة، فما
هناك جنة ولا نار، وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله، كما لحقت الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون.

ومنه: ما يروون من وقوفه على ثنية أخذ بعد ذهاب بصره، وقوله لقائده:
هاهنا ذهبنا محمداً وأصحابه.

ومنه: الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها، فما رُئي ضاحكاً بعدها،
فأنزل الله: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾، فذكروا: أنه رأى
نفرًا من بني أمية ينزون على منبره.

ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم ابن أبي العاص لحكايته إياه وألحقه الله
بدعوة رسوله آيةً باقية حين رآه يتخلج فقال له: كن كما أنت فبقي على ذلك
سائر عمره، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام
واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها، أو أريق بعدها.

ومنه: ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر «ليلة القدر خير من ألف شهر»
من ملك بني أمية.

ومنه: أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره
واعتل بطعامه، فقال النبي: لا أشبع الله بطنه، فبقي لا يشبع، ويقول: والله ما أنزل
الطعام شبعاً ولكن أعيأ.

ومنه: أن رسول الله ﷺ قال: يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على
غير ملتي، فطلع معاوية.

ومنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه».

٣٦٦.....الحسين سنام القرآن

ومنه: الحديث المرفوع المشهور: أنه قال: إن معاوية في تابوت من نارٍ في أسفل دركِ منها، ينادي يا حنَّان يا منَّان الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين.

ومنه: انبرأؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم اليه سبقاً، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً، علي بن أبي طالب ينازعه حقّه بباطل، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجود دينه، «ويا بئى الله إلا أن يُتمَّ نوره ولو كره المشركون» يستهوي أهل الغباوة ويموّه على أهل الجهالة بمكره ويغيه الذين قدّم رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - الخبر عنهما، فقال لعمار: تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار، مؤثراً للعاجلة، كافراً بالآجلة، خارجاً من ربة الإسلام، مستحلاً للدم الحرام حتّى سفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته مالا يحصى عدده من خيار المسلمين الذائبين عن دين الله، والناصرين لحقّه، مجاهداً لله، مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع وتبطل أحكامه فلا تقاوم، ويخالف دينه فلا يدان، وأن تعلو كلمة الضلالة، وترتفع دعوة الباطل، وكلمة الله هي العليا، ودينه المنصور، وحكمه المتّبع النافذ، وأمره الغالب، وكيد من حادّه المغلوب الداحض، حتّى احتمل أوزار تلك الحروب وما أتبعها، وتطوّق تلك الدماء وما سَفك بعدها، وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة، وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع حقوق أهلها، واغتره الإماء، وساتدرجه الإمهال، والله له بالمرصاد.

ثمّ مما أوجب الله له به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة، مثل: عمرو بن الحَمِق، وحجر بن عدي، فمن قتل أمثالهم في أن يكون له العزّة والملك والغلبة، والله العزة والملك والقدرة، والله عزوجل يقول: «ومن يَقْتُل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها

نصوص من كتب السنّة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم ٣٦٧.

وغيضَ عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً.

ومما استحقّ به اللعنة من الله ورسوله: ادّعاؤه زياد بن سميّة جرأة على الله، والله يقول: «أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله». ورسوله صلى الله عليه وسلّم يقول: «ملعون من ادّعى الى غير أبيه، وانتمى الى غير مواليه». ويقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فخالف حكم الله عز وجل وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم جهاراً. وجعل الولد لغير الفراش والعاهر لا يضرّه عهره فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أمّ حبيبة زوجة النبي (ﷺ) وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرّمه الله وأثبت بها قريبي قد باعدها الله وأباح بها ما قد حظره الله، ممّا لم يدخل على الإسلام خلل مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهة. ومنه: إثارة بدين الله ودعاؤه عباد الله الى ابنه يزيد المتكبر الخمير صاحب الديوك والفهود والقروء، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبّة، وهو يعلم سفهه، ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره...^(١).

هذه مجموعة من مثالب بني أميّة، وبالخصوص معاوية ابن أبي سفيان باعتراف أحد حكام بني العباس، وهو: المأمون العباسي، واقتضى اثره وأكد قوله الخليفة المعتضد بالله العباسي، والذي أراد أن يلعن معاوية ابن أبي سفيان في صلاة الجمعة على المنابر.

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد قال: (وقد اشفقت المعتزله على أن أمراء بني أميّة كانوا فجّاراً، عدا عثمان وعمر بن عبدالعزيز ويزيد بن الوليد). شرح نهج البلاغة ٢١٥/١ طدار احياء التراث العربي - بيروت.

والأحاديث الواردة عن الرسول (ﷺ) - في لعن وذمّ بني أميّة وبالذات معاوية وأبيه وابنه فهي كثيرة جداً أكثر من أن تحصي، ونحن نذكر بعضها على

(١) تاريخ الطبري ١٨٧/٨ طع، بيروت مؤسسة الأعلمى ١٩٨٣ م.

٣٦٨.....الحسين سنام القرآن

سبيل المثال لا الحصر:

١ - عن حمران بن جابر قال: سمعت الرسول (ﷺ) يقول: «ويلٌ لبني أمية» ثلاث مرّات. كنز العمال ٣٦٣/١١ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٩ م.

٢ - وقال (ﷺ): «إن لكل دين آفة وآفة هذا الدين بنو أمية». كنز العمال ٣٦٤/١١ بيروت ١٩٧٩.

٣ - في تفسير الآية: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة..» بني اسرائيل ٦٠/ نقل المفسرون وأهل السيرة والحديث والتراجم والرجال: أن سبب نزولها هي الرؤيا التي رآها الرسول (ﷺ): أن بني أمية ينزون على منبره نزو القرد، وكذا بنو العاص. انظر كنز العمال ١٦٥/١١ ط مؤسسة الرسالة بيروت، والدر المنثور في ذيل الآية ومن عدة طرق، وصحيح الترمذي ٣٥/٢ في باب ما جاء في الخلافة. وتهذيب التهذيب: ٢٩٨/٢، والاستيعاب لابن عبد البر ٢٥٤/١.

٤ - قال الرسول (ﷺ): «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». كنوز الحقائق للمناوي ص ٩، وميزان الاعتدال ١٢٩/٢، وتهذيب التهذيب ١١٠/٥، ٣٢٤/٧، وسير أعلام النبلاء ٩٩/٣، وشرح النهج ٣٤٨.

٥ - عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً».

مستدرک الصحيحين ٤٧٩/٤ و ٤٨٠ وكنز العمال ١٦٥/١١ حديث ٣١٠٥٨، والهيثمي في مجموعه ٧١/١٠، وحلية الأولياء لابي نعيم ٢٩٣/٦.

٦ - روى الحاكم (ت ٤٠٥)، عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي (ﷺ) فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون». قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد. حياة الحيوان ٣٦٩/٢.

ومستدرک الصحيحين ٤٧٩/٤ حيدر آباد الدكن ١٣٤٢ م دائرة المعارف

نصوص من كتب السنة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم ٣٦٩

النظامية.

٧- وفي كنز العمال: قال الرسول (ﷺ): «لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له: يزيد».

١٦٨/١١، ومجمع الزوائد كما رواه ابن حجر ٢٤١/٥.

هذه جملة من الأحاديث الشريفة التي نصّت على لعن بني أمية، وعلى رأسهم معاوية، ويزيد، ومروان بن الحزم، كما نزل به الكتاب الكريم، حيث وسمهم سبحانه بالشجرة الملعونة، والخبيثة، وقد جرى السلف الصالح من علماء السنة بلعن أولئك طالما لعنهم الله والرسول من قبل، والتشهير بأفعالهم القبيحة وذمهم.

وأول من ذمهم هو معاوية بن يزيد بن معاوية، وذلك لما بويع للخلافة، فخطب في الناس، ثم ذم في خطبته جدّه معاوية ابن أبي سفيان، وأباه يزيد بن معاوية، واعترف أنهما سلبا حقّ العترة الطاهرة. انظر الصواعق المحرقة ص ١٣٤.

وممن أجاز لعن يزيد: احمد بن حنبل. انظر التذكرة ص ٢٥٧. وقد ذكر سبط ابن الجوزي أنّ جدّه ألف كتاباً أسماه «الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد». تذكرة الخواصّ ٢٥٧. وإنّ القاضي أباً يعلى صنّف كتاباً ذكر فيه من يستحقّ اللعن، وذكر منهم: يزيد.

وهناك عدّة شواهد يطول ذكرها في استحقاق يزيد وابيه اللعن، لفجورهم وظلمهم، لذا خرج الحسين (عليه السلام) - ليقف أمام ذلك الباطل والمنكر الذي أسسه معاوية وابنه بعدما علمت من الصفحات السابقة أنّ بيعة معاوية ويزيد كانت كرهاً وقهراً على المسلمين.

ثم يدّعي الخضرى: أنّ خروج الحسين (عليه السلام) كان سبباً في ترزعزع الألفة التي كانت زمن يزيد بن معاوية، وقبله زمن معاوية الى يومنا هذا...!!

٣٧٠.....الحسين سنام القرآن

أقول: أي ألفة كانت في زمن يزيد بن معاوية وزمن الذين سبقوه من الخلفاء الى يومنا هذا حتى يكون الحسين (عليه السلام) سبباً في تزعزع تلك ألفة ويكون سبباً في الفرقة ١؟

هل نسي الخضرى يوم السقيفة، وما أقدم عليه البعض حين شق عصا المسلمين وأبعدهم عن المنهل العذب والينبوع الصافي والشراب الهني؟
فما اجتماع البعض في سقيفة بني ساعدة إلا مؤامرة دبّروها لإقصاء الإمام عليّ (عليه السلام) عن سدة الحكم.

وهذا الاجتماع أوّل خيانة لأمانة الله ورسوله، وأوّل ضربة للإسلام، وأوّل اغتصاب يسجله تاريخ المسلمين، وإلا هل يُعقل أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يؤكّد على صفات الأعمال وجزئيات العبادات والمعاملات وحتى السنن، فهل يعقل أن يترك الأمة الإسلامية الجديدة العهد بدينها من دون راع يرعاها؟ على أنّ الأمر ذو خطر وذو أهميّة كبرى، فأيّ عاقل يتصوّر ذلك؟ أم كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) غافلاً عن نوايا بعض أصحابه الذين دخلوا في الإسلام كرهاً، بل دخلوا الإسلام لمّا انكسرت شوكتهم وتفرّق شملهم، وبالمقابل قويت شوكة المسلمين وانتشر الإسلام في البلدان والأصقاع البعيدة؟ فما كان لهم -لأولئك النفر- إلا أن يدخلوا الإسلام حفظاً لمصالحهم، وحقناً وصيانةً لدمائهم، وإلا من منّا لا يعرف عداة بني أمية لبني هاشم، بل عدائهم للإسلام، وما من راية كانت قد رفعت لحرب الرسول والملسمين إلا وكان رأس المشركين - أبو سفيان - رافعها وقائدها الى العمى...!!

فهل هناك شك في علي بن أبي طالب حتى أقدم القوم في سقيفتهم للتأمر على الإسلام، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجّى في بيته بعد لم يُغسل ولم يُجهّز؟ بل إنهم اتّبَعُوا هوى النفس وخطوات الشيطان لمّا تبين لهم أنّ الإمام عليّ (عليه السلام) أخذ في تجهيز الرسول وتكفينه ...

لكن ربّ سائل يسأل: ألم يكن من الواجب على أولئك الذين اجتمعوا

نصوص من كتب السنّة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم ٣٧١

في السقيفة المشؤمة أن ينتهوا عن تأمرهم حتى - على أقل تقدير - ينتهوا من دفن نبيهم (ﷺ)، وأنداك ليفعلوا ما يجدونه صواباً فيما بعد...؟!

فان قلت: ما ذنب الخليفين حيث إن بعض المسلمين من المهاجرين والأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لتنصيب سعد بن عباد، ولمّا علم الخليفان استدركا الموقف فأسرعا الى المكان واستعملا ذكاءهما وسياستهما وممّا أوتيا من حكمة وقوّة وشدّة حتّى حسما الموقف لصالحهما؟

قلنا: ألم يعلما مكانة الإمام عليّ (عليه السلام) من الله ومن الرسول ومواقفه في الإسلام وجهاده بين يدي النبي (ﷺ) واشترائه في كلّ الحروب والغزوات؟! ألم يعلما منزلته العلمية وتقواه وزهده وورعه و... و...؟! فلماذا لم يحسما الموقف لصالح الإمام عليّ (عليه السلام)؟..

ثمّ نقول: ألم يستطع كلّ من الخليفة الأوّل والثاني أن يستعملا ذكاءهما بل ومالديهما من قوة وسياسة وحنكة لفضّ النزاع وتأجيله الى وقت آخر؛ كي يشترك الجميع في مراسيم تجهيز نبيهم (ﷺ) حتّى يحافظوا على وحدة المسلمين وألفتهم وجمعهم على كلمة واحدة في غدهم القريب، وفي مسجد نبيهم، وهو دار الحكومة والعبادة في آن واحد، وعلى مرأى ومسمع من كلّ المسلمين ينتخبون خليفتهم؟!

فلماذا إذن هذا الإصرار على أن تكون البيعة خاصّة في بيت منزو ضمن أفراد من المسلمين عُرِفوا بجاهليّتهم القريية ونزواتهم النفسيّة وأطماعهم، والرسول (ﷺ) مسجّى بين أيديهم؟

فأيّ عذر في هذا أو في ذاك وهو خليفته الحقّ عليّ بن أبي طالب؟ بل لماذا أقصوه عن حقّه ومنصبه...؟

ألم يسمعوا من الرسول (ﷺ) مراراً وتكراراً، وأخيرها في حجة الوداع حيث إنه يقول: «عليّ خليفتي، ويؤدّي عني...» و«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من

٣٧٢.....الحسين سنام القرآن

خذه...!؟

علماً بأنّ الذين اشتركوا في الحجّ مع الرسول في حجة الوداع من المسلمين كان عددهم على أقلّ التقادير الواردة في الروايات أكثر من عشرة آلاف من أصحاب الرسول، وكلّهم شهدوا الرسول في كلّ منازل في الحجّ، وكذا لمّا رجع قافلاً منه، والكلّ شهدوا موقفه في الجحفة في غدير «خَم»، والكلّ شهدوا له بالإمارة والخلافة وبايعوه عليها، وأحدهم يقول له: بخّ بخّ لك يا عليّ، اليوم أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة...

ثمّ ألم يسمعو من الرسول (ﷺ) وهو يخاطب عليّ بن أبي طالب: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي...»؟

ألم يقل فيه الرسول: «أنت أخي ووصيّ وخليفتي بعدي...»؟

ألم يقل فيه الرسول: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها... الخ»؟ إلى مئاة من الأحاديث التي تبين فضل الإمام عليّ (عليه السلام) وسابقتها في الإسلام، وفضله في الجهاد والعلم والإسلام والتقوى والزهد والورع، ولياقتها لإمرة المسلمين... (١).

(١) انظر مصادر إخواننا أهل السنة تجدها مليئة بالأحاديث الصحيحة المعتبرة التي رووها عن طرقيهم في حق الإمام علي (عليه السلام)، ونحن نذكر لك على سبيل المثال لا الحصر:

في حديث «الولاية» انظر: مجمع الزوائد للعلامة الهيثمي ١٦٣/٩، الدر المنثور للسيوطي ٦٠/٢، صحيح الترمذي ٢٠٠/١٣، جامع الأصول لأبن الأثير ١٨٧/١، ذخائر العقبى ص ١٥، تفسير الخازن للبغدادي ٤/١، أسد الغابة لابن الأثير ١٤٧/٣، المناقب لابن المغازلي، أرجح المطالب للأمر تسري ٢٣٥، سنن الدارمي ٤٣١/٢.

وفي حديث: «المنزلة» انظر:

كفاية الطالب للحافظ الكنجي ١٤٨، نور الأبصار للشبلنجي ٧٤، كنز العمال للمتقي الهندي ١٥٢/٦، شواهد التنزيل للحسكاني ١٤٩/١، تلخيص المستدرك للذهبي ١٣٤/٣، الإصابة لابن حجر العسقلاني ٢٧٠/٤، ينابيع المودة للقندوزي ٤٩.

وفي حديث: «أنت أخي ووصيّ وخليفتي» انظر:

الرياض النضرة لمحّب الدين الطبري ١٧٨/٢ و ٢٣٤، سمط النجوم ٤٨٧/٢ تهذيب التهذيب للعسقلاني ١٠٦/٣، ميزان الاعتدال للذهبي ١٢٧/٤، المحاسن والمساوي للبيهقي ٣١، الصواعق

نصوص من كتب السنة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم ٣٧٣

ثم أي ألفة - أيها الخضري - كانت بعدما آلت الخلافة لأبي بكر؟
 ألم يمتنع جلّ الصحابة وكبار المسلمين عن مبايعة أبي بكر؟
 ثم ألم تذكروا جملةً من المسلمين وطائفة من الصحابة وقسماً كبيراً من القبائل أنها امتنعت من أداء الحقوق والصدقات لأبي بكر، لأنهم لا يرونه للخلافة أهلاً، ولعدم اعترافهم به ممن سُميت منهم بالمرتدين، وقد وجّه اليهم الخليفة من يقاتلهم، وسُميت تلك الوقائع بحروب الردّة...؟
 ثم ألم يقل أبو بكر: أقيلوني...، أقيلوني، فلست بخيركم؟^(١)
 ألم يقل عمر بن الخطّاب بعدما تولّى الخلافة بوصيّة صاحبه الأوّل: كانت

المحرقة لابن حجر ٧٥، كنوز الحقائق للمناوي ٩٨، الجامع الصغير ١٤١/٢، أسنى المطالب للبيروني ١٣٧، مناقب الخوارزمي ٣٩.

وفي حديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» انظر:

تاريخ بغداد للحافظ البغدادي ٣٧٧/٢، تاريخ جرجان ٢٤، الأنساب للسمعاني ١١٨٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٨/٤، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ١١٣، المقاصد الحسنه للسخاوي ٩٧، الدرر المنتثرة ٤٢، تمييز الطيب من الخبيث للشيباني الشافعي ٤١، المستدرك للحاكم النيشابوري ١٢٧/٣، الجامع الصغير للسيوطي ٣٦٤/١ الاستيعاب لابن عبد البر ١١٠٢/٣، تاريخ ابن عساكر.

وإذا اردت التفصيل في شأن الوقوف على مصادر القوم راجع كتابنا ملامح شخصيّة الإمام علي من كتب الجمهور، ط ١ سنة ١٩٨٨ مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت.

(١) وقوله لما احتُضِرَ: ما آسى على شيءٍ إلا على ثلاث فعلتها وددت أني تركتها، وثلاث تركتها وددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني سألت رسول الله (ﷺ) عنها، فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقتة نجيحاً أو قتلته صريحاً، ووددت أني يوم سيقفة بني ساعدة قدّفت الأمر في عنق احد الرجلين فكان اميراً وكنت وزيراً... الخ مروج الذهب سلعسمودي ٣١٠/٢، تاريخ الطبري ٥٢/٤ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١٨/١ والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢٥٤/٢ أي خطأ بعد هذا دخولهم على بيت فاطمة «عليها السلام» وحرق بيتها واسقاط جنيها وكسر ضلعها وغصب حقّها...و... فهل يليق لمثل هؤلاء ان يملكوا رقاب الناس ويتصدّروا للخلافة

؟!...

٣٧٤.....الحسين سنام القرآن

بيعة أبي بكر فلتةً وقانا الله عثرتها^(١).

ثم أي ألفة تزعمها - أيها الخصري - وأيام حكومة عثمان كلها في هرج ومرج، وذلك بعد انتهاكه للشرعية الغراء، وابتعاده عن سنة نبيه، إذ أوى إليه طريد رسول الله (ﷺ) مروان بن الحكم، وأكثر من ذلك اقتطع أموال وصدقات مصر وجعلها لمروان، لأنه أحد أبناء جلدته، ورأس من رؤوس بني أمية الذي يتنسب إليه الخليفة الثالث، ونفيه للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، واقتطاع الضياع والهبات والصلوات ودفعها إلى قوم من بيت مال المسلمين وحرمان الآخرين منها... فقد أثرى كلاً من الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد ابن أبي وقاص، وسعيد بن المسيب، ومروان بن الحكم، ومعاوية ابن أبي سفيان إذ أقره على بلاد الشام!

ثم لو فتشت تاريخ الخليفة الثالث من مصادر القوم لوجدت المصيبة تتبعها المصائب والبليّة تتبعها البلايا، فلو نظرت إلى عمّاله وولاته لوجدتهم في الغالب هم من بني عمومته وأقربائه، وهم بنو أمية، بل إنه سلط الفجار وشاربي الخمر على الناس. فهذا الوليد بن عقبة - وإلى عثمان على الكوفة - كان يشرب الخمر مع ندائه ومغنيّه من أول الليل إلى الصباح، فلما أذنه المؤذن بالصلاة خرج متفضلاً في غلائله فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح، فصلّى بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟

وقيل: إنه قال في سجوده وقد أطال: إشرب واسقني»، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول: ما تزيد لا زادك الله من الخير؟ والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً، وكان هذا القائل عتاب بن عيلان الثقفي^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٤٤٦/٢.

(٢) انظر: الاغانى لابي الفرج الاصبهاني ١٧٨/٤، ومروج الذهب للمسعودي ٣٣٥/٢، والكمال لابن الأثير ٤٢/٣، واسد الغابة ٩١/٥، والسنن للبيهقي ٣١٨/٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٤، والسيرة الحلبية ٣١٤/٢، وتاريخ يعقوبي ١٤٢/٢، وتاريخ أبي الفداء ١٧٦، والاصابة ٦٣٨/٣.

نصوص من كتب السنة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم ٣٧٥.....

وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره
يترنح ويتمثل بأبيات تأبط شراً:

ولست بعيداً عن مدامٍ وقينةٍ وبصفا صليدٍ عن الخير معزل
ولكنني أروي من الخمر هامتي وأمشي الملاً بالساحب المتسلسل
وفي ذلك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقي ربّه أن الوليد أحقّ بالعدر
نادى وقد تمتّ صلاتهم أزيدكم ثملاً وما يدري
ليزيدهم أخرى، ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك في الصلاة، ولو خَلَوْا عنانك لم تزل تجري^(١)
وفي الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني أبيات أخرى للحطيئة غير تلك:

تكلّم في الصلاة وزاد فيها علانيةً وجاهر بالتفاقي
وحجّ الخمر في سنن المصلّي ونادى والجميع الى افتراق
أزيدكم؟ على أن تحمدوني فمالكم ومالي من خلاق
فكم من جناية وجناية على الإسلام والمسلمين قد ارتكبتها الخليفة
الثالث، ممّا كثر القيل والقال، وانتفض المسلمون لإقامة العوج، حتّى طعنوا في
خلافته، وانكروا عليه اعمالاً كثيرة:

منها: ما كان بينه وبين عبدالله بن مسعود في مسألة تصرّفه ببيت المال.
وإعطاؤه الأموال لمروان خيانةً للمسلمين.
واستقراض الوليد بن عقبة وعدم إرجاعها لبيت المال، وطلب عثمان من
عبدالله بن مسعود ان يسكت عنها.
وقد أنكر المسلمون على عثمان فعل الوليد بن عقبة من شربه للخمر،
وصلاته بالمسلمين في الكوفة سكراناً.
ونفيه للصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري الى الربرة، وقد أمر الناس أن

(١) الأغاني لأبي الفرج : ١٧٨/٤.

٣٧٦.....الحسين سنام القرآن

يتجافوه في مسيره الى الربذة، وتسَلَطَ بني أُمَيَّة على رقاب المسلمين ... الخ.
لهذه ولغيرها اشتدَّ الطعن على عثمان، واستمرَّت صرخات المسلمين عليه، وكثرت الاعتراضات، ولمَّا لم يجد المسلمون بُدًّا من تغيير الخليفة من سلوكه وإساءته وعدم مساواته بين المسلمين، بل تعدَّيه على حقوقهم وإذلال البعض منهم، ونفي البعض الآخر ممَّا رفضوا خلافته. حتَّى أقدمت عليه الوفود تترى من كلِّ صقع وبلاذٍ حتَّى ألحقوه بالواحد القَهَّار؛ كي ينال هناك جزاءه.
ثمَّ نقول: أيُّ ألفَةٍ تدَّعيها - أيُّها الخضرى - وذاك معاوية ربيب عثمان في العصيان، إذ أشعل الحرب، وأعاد الجاهلية الثانية الى الناس، وقد تمرَّد على وليِّ الأمر وخليفته عليّ بن أبي طالب، إمام زمانه وخليفة عصره، ورابع الخلفاء الراشدين كما تزعمون.

ألم تقولوا: من خرج على إمام زمانه فهو كافر؟^(١) فكيف تبرّرون أعمال معاوية ابن ابي سفيان وتلتمسون المعاذير والتخريجات لتمرّده على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بل وعداؤه المستمرّ له ولبنيه، بل ابتدع البدع وجعلها سنّة حسنة في الأجيال، كسب الإمام عليّ في كلّ جمعة وجماعة وعلى منابر المسلمين ...؟

(١) قال ابن المغازلي في مناقبه ص ٤٥ بسنده عن الرسول (ﷺ) قال: من ناصب علياً الخلافة فهو كافر.

أقول ولا شك ان معاوية ناصب علياً في الخلافة وعقد لها راية الحرب وناصره العداء الى آخر لحظة من عمره.
وقال (ﷺ) : من آذى عليا بعث يوم القيامة يهوديا أو نصرانيا. انظر مناقب ابن المغازلي ص ٥٢.

أقول: ولا يخفى ان معاوية قد آذى علياً وولديه الحسينين. واحاديث كثيرة في ذلك فليراجع.

الآية الحادية عشرة: ٣٧٧

الآية الحادية عشرة:

قوله تعالى..

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

الاصطفاء معناه: الاختيار والانتخاب أي: جعلهم الله سبحانه الصفوة المختارة من خلقه، حيث أوكل إليهم وكلفهم بتبليغها لعباده، والصفوة، أي: الشيء الخالص النقي من كل كدرة أو شائبة.

وقد اصطفى الله سبحانه من البشر الأول آدم (عليه السلام)، ثم نوحاً، وبعد ذلك أجمل الخطاب بكلمة «آل» لابراهيم، و«آل» لذرية عمران بن يصر بن قاهث. فمن ذرية إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء، بضمنهم خاتم الأنبياء وسيدهم نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار، وهم الأئمة المعصومون الاثنا عشر «عليهم السلام».

ومن ذرية عمران: موسى وهارون ابنا عمران، الذي ينتهي نسبهما الى لاوي بن يعقوب (عليه السلام) وكذا عيسى بن مريم (عليها السلام) الذي ينتهي نسب أمه السببي الى يهوذا بن يعقوب.

وعلى هذا، فإن الاصطفاء يعطي معنى التفضيل أيضاً، وفي المقام ينبغي التنبيه على أمور:

الأمر الأول: لا يخفى أن المخلوقات: منها المكلفة، ومنها غير المكلفة، والقسم الأول أفضل من الثاني، لأنه وعاء لامثال الأوامر وتقبل الطاعات والعبادات، فهو المقصود بالتكليف، وهو المنزجر بالنواهي، لذا فالثواب والعقاب موضوعهما البشر وما يقدمه لنفسه من عمل صالح أو سيئ.

٣٧٨.....الحسين سنام القرآن

والمكلفون أربعة أقسام: الملائكة، والبشر، والجن، والشياطين، وقد ثبت التلكيف على الجميع بالأدلة المشهورة من الكتاب والسنة والعقل والإجماع، ولا حاجة الى البسط في الكلام خوف الإطالة.

الأمر الثاني: وقع الكلام بين علماء المسلمين في أن أي الأقسام هو الأفضل؟ فقالوا - ولا شك - أن البشر أفضل من الجن والشياطين، واختلفوا في أن البشر أفضل أم الملائكة؟

والجواب هو كما قرّر القرآن الكريم بأن البشر أفضل من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رَوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(٢). وكذا آيات أخر في معنى سجود الملائكة لآدم^(٣).

يتّضح من الآيات المذكورة آنفاً، أن آدم أفضل من الملائكة، وذلك لقربه ومكانته من الحقّ المتعال، وما سجود الملائكة للأمورين بالسجود له إلا دليل على أفضليّته وعلوّ شأنه، بل إنّ الملائكة صارت خدماً له وللأنبياء من ذرّيّته، لأنّهم رسل الله سبحانه الى العباد والطريق الى توحيده، ولشرف الرسالة وعظيم خطرهما وفضلها تحمّل الأنبياء المشقّة والعناء وأصناف العذاب؛ لغرض أداء الرسالة بأحسن أداء، حتّى أنّهم لاقوا من الهوان والعذاب والأذى من أهل العناد ما يزلزل الجبال ..، وكلّ ذلك من أجل هداية البشر الضالّ، والأخذ بيده الى

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الحجر ٢٨/ - ٣١.

(٣) انظر البقرة ٣٤، والأعراف ١١، والأسراء ٦١.

الآية الحادية عشرة: ٣٧٩

طريق الحق وتوحيد الله والإيمان به وبرسله وكتبه؛ فأَيُّ مشقّةٍ كانت للملائكة قبال ما كان قد حصل للأنبياء والرّسل؟ وأي امتحانٍ وابتلاءٍ كان لهم حتّى نقيس مكانتهم مع مكانة آدم والأنبياء من أبنائه، وكذا الأوصياء والأولياء منهم؟ فإذا لم يكن لآدم والأنبياء من ذريّته والصالحين منهم أفضليّة على الملائكة فبماذا تفسّر ذلك السجود - سجود الملائكة - لآدم عندما أمرهم الله بذلك؟

نعم، إنّ الذي فسّر ذلك السجود هو الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): فقد روي عن الإمام موسى الكاظم، عن آبائه، عن الإمام عليّ (عليه السلام) من كلام له طويل مع اليهوديّ الذي سأله فقال: هذا آدم أسجد الله له الملائكة فهل فعل بمحمّد شيئاً من هذا؟

فقال له عليّ (عليه السلام): لقد كان كذلك، ولئن أسجد الله لآدم ملائكته فإن سجودهم لم يكن سجود طاعة إنّهم عبدوا آدم دون الله عزّ وجلّ، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له ... الخ^(١).

ثمّ أصرح من ذلك الآية الشريفة من سورة الإسراء التي تبين هذه الأفضليّة للبشر على سائر المخلوقات، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢) ولا شك أنّ الملائكة بعض من «مِمَّنْ خَلَقْنَا».

وربّما تكون العلة في أفضليته البشر على الملائكة لعظم الابتلاء الذي سوف يتليه الله، وأن الدنيا دار فتنة وامتحان، ولا ينجو من الفتن إلّا من خلص إيمانه لله تعالى، والبشر يختلفون عن الملائكة من هذا الوجه.

ومن خلال روايات أهل البيت (عليهم السلام) - فإنّ الله عزّ وجلّ - ركب العقل في

(١) نور العقليين ٥٧/١، وقد اقتطعنا من الحديث ما يفي بالغرض.

(٢) الإسراء/٧٠. لقد ورد في صدر الكتاب حديث يثبت افضلية الحسين والأئمة الاطهار على الملائكة وهكذا شيعتهم.

٣٨٠.....الحسين سنام القرآن

الملائكة، وركب العقل والشهوة في الإنسان^(١)، فانظر أي امتحان سوف يمتحن به البشر، والله قد عَلِمَ أَنَّ الإنسان ظلوم جهول، كما عبّر في كتابه المجيد: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢).

فليس عجباً أن يكون البشر أفضل من الملائكة، والعلة كما عرفت: إنه حُمِّلَ أمانةً كبيرةً قد عجز وصغر من هو دونه من الملائكة والسماوات والأرضين والجبال عن حملها، وإنه خليفة الله في أرضه، وإن له عدوّاً يغويه في كلّ آن؛ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

وإنه لمفتون بالمال والبنين ... الى غير ذلك، وهذه كلّها محطّ امتحان البشر دون الملائكة، لذا كان الثواب والجزاء لمن آمن واتقى أعلى درجات الخلد، بل هو من المقرّبين بحيث إنّ الملائكة تصبح في خدمة العبد طالما العبد كان في طاعة الله تعالى.

الأمر الثالث: إنّ الأنبياء الذين وصفتهم الآية بالإصطفاء على العالمين إنّما كان الإصطفاء لهم بالنسبة الى أقوامهم من جهة، والى زمان كلّ واحدٍ منهم من جهةٍ أخرى.

وبعبارةٍ أخرى: أنّ كلّ نبيٍّ منهم مفضّل على عالم زمانه بما فضّله الله، أو بما خصّه من ميزاتٍ انفرد بها ذلك النبيّ دون غيره، على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام.

فمثلاً، آدم اصطفاه الله سبحانه إذ جعله أباً للبشر، ومنه بدأ التناسل والتكاثر، وهو أوّل خليفة في الأرض، وهو الذي أسجد الله له الملائكة، وكان محلّه ابتداءً في الجنة..

(١) في الحديث القدسي: انظر المواعظ والأدب لشرف الدين ص ٧ والكافي ١٠/٢ ح ١ و ٢٦ و ٣٢.

(٢) الأحزاب ٧٢/.

الآية الحادية عشرة: الآية الحادية عشرة: ٣٨١

أما نوح (عليه السلام) : فهو أول نبيٍّ خصَّه الله بكتابٍ وجعله صاحب شريعة، وكان أول أنبياء أولي العزم، وقد خصَّه الله بطول العمر فهو شيخ الأنبياء لسنّه، ثم أمر بصنع السفينة، ثم أنجاه الله من قومه بالطوفان ..

وأما آل إبراهيم (عليه السلام) : وآل عمران فيبدو - والله أعلم - أنَّ الاصطفاء هو الخاصّة من الذريّة، والتي يراد بها: الأنبياء والأوصياء منهم، ويبعد كلام من قال: كافّة الذريّة وجميع الأبناء، لأنَّ الاصطفاء لا يكون إلّا من خصَّه الله تعالى بكرامة القرب والأفضليّة.

ونحن نعلم: أنَّ الأمم التي تتصل بإبراهيم (عليه السلام) ليست كلّها مؤمنةً بالله، فكيف يصطفى الله سبحانه جميع الذريّة من آل إبراهيم، أو جميع الذريّة من آل عمران: قال تعالى يخاطب إبراهيم: ﴿إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ في الوقت الذي يبيّن القرآن الكريم لنوح: أنَّ ابنك ليس من أهلك، وإنَّ الآل والأهل بينهما عموم وخصوص من وجه، فإن أريد جميع الآل والأهل لوقع التناقض مع قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربّه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنّك ليس من أهلك إنّك عملت غير صالح...﴾^(١).

فكما وقع الكفر من ابن نوح فكذلك وقع الكفر من غيره ممّن يتصل نسبه عبر الأجيال بإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء «عليهم السلام»، بدليل قوله تعالى يصف ذريّة إبراهيم (عليه السلام) : ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريّتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾^(٢).

ومما يؤيد أن الاصطفاء هو لخاصّة الأبناء - أي: بعض الذريّة - قوله تعالى ﴿ذريّة بعضها من بعض﴾^(٣).

(١) هود / ٤٥ - ٤٦.

(٢) الصافات / ١١٣.

(٣) آل عمران / ٣٣.

٣٨٢.....الحسين سنام القرآن

فالأنبياء الذين هم من ولد إسماعيل أو من ولد إسحاق أو من ولد يعقوب أبوهم السببي هو إبراهيم (عليه السلام)، وإبراهيم أبوه الأول آدم (عليه السلام)، وهذا يظهر من خلال التسلسل في ذكر الأنبياء في الآية الشريفة، حيث كان البدء بآدم، ثم نوح، ثم آل إبراهيم، ثم آل عمران. لذا فإن الاصطفاء متصل في السلسلة المباركة، ومنهم: الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، الذين يدخلون في تأويل هذه الآية الشريفة: ﴿ذرية بعضها من بعض﴾.

كما ورد عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) وكذا عن الإمام الرضا (عليه السلام) في علل الشرائع والعيون، وإكمال الدين وغيرها: عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني، فقلت: يا رسول الله، فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال: يا علي، إن الله فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل من بعدي لك يا علي، وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدّامنا وخدام محبينا، يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي، لولا نحن ما خلق الله آدم، ولا حواء، ولا الجنة، ولا النار، ولا السماء، ولا الأرض، فكيف لا تكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم الى معرفة ربنا وتسييحه وتقديسه؟ فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة، فسبحت الملائكة بتسييحنا»^(١).

ثم الذرية تطلق على الواحد وعلى الجمع، أي: بعضهم متولد من بعض، وقد يكون أن مآل الجميع ينتهي الى أبي البشر، وهو آدم (عليه السلام)، حيث إن الجميع عيال لآدم، وآدم أبوهم السببي وإن بعدت السلسلة بينهم.

(١) انظر: علل الشرائع ٥/١ ح ١ وعيون أخبار الرضا ٥٨/٢ ح ٢١٩ وفي البحار ٢٥/٢٠ ح ٣١ ورد بالفاظ مقاربة .

تأويل الآية والدليل الروائي

في مدينة المعاجز، وفي تفسير الصافي: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال محمد بن الأشعث بن قيس الكندي «لع» للحسين (عليه السلام): يا حسين بن فاطمة، أيّ حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟ فتلى الحسين (عليه السلام) هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، ثم قال: والله إنّ محمداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد (صلى الله عليه وآله) (١).

وفي البحار - والمنتخب - قال: إنّ الحسين (عليه السلام) دعا وقال: اللهم إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته، فأقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا إنك سميع قريب، فقال محمد بن الأشعث، وأي قرابة بينك وبين محمد؟ فقرأ الحسين (عليه السلام): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا... الآية﴾ ثم قال: - أي الحسين (عليه السلام): أرني فيه في هذا اليوم ذلاً عاجلاً فبرز ابن الأشعث للحاجة فلسعته عقرب على ذكره، فسقط وهو يستغيث ويتقلب على حدثه (٢).

وفي البحار: «... رفع الحسين سبّابه نحو السماء وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز اليهم أشبه الناس خلقاً وخلُقاً ومنطقاً برسولك، كنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه، اللهم امنعهم بركات الأرض، وفرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قِدْداً، ولا تُرضِ الولاية عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا. ثم صاح الحسين (عليه السلام) بعمر بن سعد: مالك؟ قطع الله رحمك، ولا بارك الله لك في أمرك، وسلّط عليك من يذيبك بعدي

(١) مدينة المعاجز ٢٤١، والبحار نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب - ج ٣٠٢/٤٥.

(٢) البحار: ٣٠٢/٤٥ و ٣١٧/٤٤، تفسير الصافي م ١/ ح ٢٥٦/٢، طهران ١٣٨٤.

٣٨٤.....الحسين سنام القرآن

على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله (ﷺ) ، ثم رفع الحسين (عليه السلام) صوته وتلا^(١): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ... الْآيَةَ﴾.

وفي المجالس^(٢): ذكر أن الحسين (عليه السلام): لَمَّا أَقْبَلَ وَلَدَهُ عَلِيَّ الْأَكْبَرَ إِلَى قِتَالِ الْقَوْمِ رَفَعَ صَوْتَهُ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ... الْآيَةَ﴾.

(١) البحار: ٤٣/٤٥.

(٢) المجالس السنوية للعالمى ١٠١.

الآية الثانية عشرة: ٣٨٥.

الآية الثانية عشرة:

قوله تعالى..

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ
عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

للآية ارتباط بالتي قبلها، وهي: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

الآيتان متحدتان في السياق في ردِّ النصارى الذين جاؤا لمحااجة
الرسول (ﷺ) في شأن عيسى، إذ سألوا من أبوه؟ فنزلت الآية: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى
عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ... الآية﴾.

ثم ردَّهم الله تعالى بآية المباهلة؛ لأنهم لم يقبلوا من الرسول ما نزل عليه
من القرآن في خصوص عيسى؛ لأنهم أصرُّوا على أن المسيح ابن الله ...
فما شأن المعاند إلا أن تدعوه إلى الابتغال والملاعنة، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ... الآية﴾^(٣).

لقد دعا الرسول أهل بيته، وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين «عليهم
السلام» للابتغال مع وفد نجران، والرجل المحق لا يبتهل إلا بخاصته من أهله،
لذا لم يدعُ الرسول (ﷺ) غيرهم، في الوقت نفسه لديه من الأزواج ما شاء الله،
ومن بني عمومته كذلك، وإن كانت الآية ذكرت هذه الأصناف - أعني: الأبناء
والنساء والأنفس بصيغة الجمع - مع أنَّ الداخلين من النساء فاطمة فقط، ومن

(١) و(٣) آل عمران: ٦١.

(٢) آل عمران ٥٩/.

٣٨٦.....الحسين سنام القرآن

الأنفس عليّ فقط، فكيف صحّ أن يطلق لفظ الجمع على المفرد؟
لا يخفى جوابه: أنّ العرب كانت تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم، والقرآن
نزل بلغة العرب. ثم إنّ الآية أرادت تعظيم هؤلاء الخمسة «عليهم السلام»؛ لما
لهم من منزلة وشرف كبيرين عند الله، وقد طهرهم الله بصريح قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً...﴾^(١).

فأي تعظيم بعد هذا وأي شرف فوق ذلك !!؟
لقد أجمع أهل التفسير والحديث وأرباب التواريخ، من العامة والخاصة
على أنّ الآية نزلت في هؤلاء الخمسة أهل العباء عليهم السلام دون غيرهم.
ومن قال: جيء بهم على سبيل الأنموذج للأبناء والنساء والأنفس فقد
توهّم.

روي عن ابن طاووس في سعد السعود: أنّه رأى في تفسير محمد بن
العباس بن مروان: أنّه روي خبر المباهلة من واحد وخمسين طريقاً من الصحابة
وغيرهم، وكذا رواه جمع غفير من العامة في تفاسيرهم وتواريخهم وكتب
أحاديثهم، كالثعلبيّ في تفسيره، والفخر الرازيّ في التفسير الكبير، والمالكيّ في
الفصول المهمة، ومسلم في صحيحه، وأبي نعيم في الحلية، والسيوطي في الدرّ
المشور، والبيهقيّ في الدلائل، والحمونيّ في فرائد السمطين، والزمخشري في
الكشاف، وابن المغازليّ في مناقبه، والترمذيّ في صحيحه، والنسائي في
الخصائص ... إلى غير ذلك من المصادر قديماً وحديثاً، فراجع.

أمّا المرجفون الذين ترتعد فرائصهم من ذكر عليّ وفاطمة
والحسين عليهم السلام فقل لهم: موتوا بغيضكم هذا.

فهذا محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا ينقل عنه في تفسيره المنار،
قال: قال الأستاذ الإمام - محمد عبده - الروايات متّفقة على أنّ النبي اختار

الآية الثانية عشرة: ٣٨٧.....

للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما، ويحملون كلمة نساءنا على فاطمة، وكلمة أنفسنا على عليٍّ فقط. ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف. وقد اجتهدوا في ترويحها ما استطاعوا، حتّى راجت على كثيرٍ من أهل السنّة، ولكنّ واضيعها لم يحسنوا تطبيقها على الآية (...)^(١).

أقول: أيّ المصادر الشيعيّة تعنيها؟

أمناهج السنّة لابن تيمية، أم المسند لابن حنبل، أم البداية والنهاية لابن كثير، أم كتاب المغازي، أم الدرّ المنثور للسيوطي، أم حلية الأولياء لأبي نعيم، أم الكشف للزمخشري، أم الدلائل للبيهقي، أم التفسير للثعلبي، أم الفصول المهمّة للمالكي، أم الخصائص للنسائي، أم المناقب لابن المغازلي، أم التفسير الكبير للفخر الرازي، أم كتب الصحاح للترمذي، ومسلم، وغيره، أم ... أم ماذا؟^(٢).

أم تعتقد أنّ الصحابة الذين رووا الحديث هم من الشيعة؟

فما بالك ممّن رواه: كعثمان بن عفّان، وطلحة، وأنس بن مالك، والزبير، وسعد ابن ابي وقّاص، وأبي رافع مولى النبي، والبراء بن عازب، وعبدالرحمان ابن عوف، وغيرهم، مما يطول الكلام فيما لو اردنا استقصائهم ...؟

أما كفّاكم إساءة الصدر الأوّل لآل الرسول حتّى جثتم لتزيدوا في الكيل، الصاع الواحد بشعرة، إلى أن حدّى بكم الهوى والضلال أن تسدلوا الاستار على كل فضيلة أو منقبة للعترة الطاهرة، بعد ما تظافرت كتب التفسير والحديث والتاريخ والمناقب في إمطة اللثام عن تلك الفضائل. أليس حريّاً بالمسلمين أن

(١) تفسير المنار ٣/٣٢٢.

(٢) لقد ذكر السيد الشهيد العلامة نور الله الحسيني التستري أكثر من مائة وعشرين مورداً الذي يؤكد نزول الآية في حق المعصومين الخمسة اهل العباء فراجع احقاق الحق ج ٣/٤٦ - ٦٢ وج ٩/٧٠ -

٣٨٨.....الحسين سنام القرآن

يَتَّبِعُوا الْحَقَّ وَالْهَدْيَ كَيْ يَنْعَمُوا فِي الدَّارَيْنِ ؟...
فَالْأَمَّ تَنْكُرُونَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ الْمَعْتَبِرَةَ وَالْأَحَادِيثَ الْمُتَوَاتِرَةَ الَّتِي مَلَأَتْ
الْأَفَاقَ ؟

أَفِي الْعَيْنِ قَذْيٌ، أَمْ فِي الْعَيْنِ عَوَارٌ، أَمْ أَصَابَهَا الْعَمَى مِنْ شِدَّةِ الضَّلَالِ
وَالظُّلْمَةِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا ؟... ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
...﴾^(١) وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢) بَلَى، إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارَ ...﴾^(٣) وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مِنْ أَضَلِّ سَبِيلٍ﴾^(٤).

فَالْأَبْنَاءُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَازِلَةٌ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْفَخْرُ
الرَّازِي أَنَّ ابْنَ الْبَنْتِ يَسْمَى ابْنًا، قَالَ: (هَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْحَسَنَ
وَالْحُسَيْنَ (عليهما السلام) كَانَا ابْنِي رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَعَدَّ أَنْ يَدْعُو أَبْنَاءَهُ، فَدَعَا الْحَسَنَ
وَالْحُسَيْنَ، فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ ابْنِيهِ، وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتُهُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾. وَمَعْلُومٌ
أَنَّ عِيسَى (عليه السلام) إِنَّمَا انْتَسَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) بِالْأُمِّ، لَا بِالْأَبِّ، فَثَبَتَ أَنَّ ابْنَ
الْبَنْتِ قَدْ يَسْمَى ابْنًا﴾^(٥).

أَمَّا ﴿نِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ فَقَدْ عُرِفَتْ آتِفًا: أَنَّ الرَّسُولَ دَعَا فَاطِمَةَ (عليها السلام)
فَقَطَّ، وَلَمْ يَدْعُ أَزْوَاجَهُ﴾^(٦).

(١) محمد (ص) / ٢٢.

(٢) فضلت، ٢٢.

(٣) الرعد / ٤٢.

(٤) الفرقان / ٤٢.

(٥) التفسير الكبير ٨/ ٨٦.

(٦) قَالَ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ، فِي خَبَرِ شَرْحِبِيلَ لَمَّا أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ)، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ الْغَدَ بَعْدَمَا أَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ أَقْبَلَ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فِي خَمِيلَةٍ لَهُ وَفَاطِمَةَ تَمْشِي

الدليل الروائي... ٣٨٩.....

أما ﴿أنفسنا وأنفسكم..﴾: فقصد بالنفس: علياً (عليه السلام)، وإلا لا يصح أن يكون المقصود هو نفس الرسول (ﷺ)، لأن الرسول هو الذي دعاهم للابتغال واللعن، فلا بد أن يكون غيره، وهو الامام علي (عليه السلام)، وإن كان نفس علي نفسه (ﷺ)؛ لأنهما خلقا من شجرة واحدة، وأن علينا من الرسول بمنزلة هارون من موسى...، الى غير ذلك من الروايات المتفق عليها عند المسلمين. وأما الابتغال: فهو الاجتهاد في الدعاء بالهلاك، أو يراد به: الالتعان قولهم بهله الله، أي: لعنه الله فالبهل كاللعن، وهو الطرد والمباعدة عن رحمة الله.

﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين...﴾ أي: ندعو بالهلاك واللعنة على الكاذب منا، وفي الآية دلالة على صحة نبوة محمد (ﷺ) من جهة، وإن وفد نجران علموا أن الحق مع النبي، لذا تركوا المباهلة، وعقدوا الصلح والهدنة مع الرسول بدفع الجزية في كل عام من جهة أخرى.

الدليل الروائي

شملت الآية: الرسول والإمام علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وذلك عندما باهل فيهم الرسول النصاري، وفيما بعد باهل بهم اليهود، كما تدل عليه الأخبار.

ففي تفسير العياشي، عن حريز، عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) سئل عن فضائله؟ فذكر بعضها، ثم قالوا له: زدنا، فقال: إن

خلف ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبه اني أرى امرأ مقبلا ان كان هذا الرجل نبيا مرسل فلاعتاه لا يبقى على وجه الأرض من شعر ولا ظفر الاهلك ... الدر المنثور

٣٩٠.....الحسين سنام القرآن

رسول الله (ﷺ) أتاه حبران من أحبار النصارى من أهل نجران، فتكلما في أمر عيسى، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ... الْآيَةَ﴾ فدخل رسول الله (ﷺ) فأخذ بيد عليّ والحسن والحسين وفاطمة، ثم خرج ورفع كفه الى السماء، وفرّج بين أصابعه، ودعاهم الى المباهلة. قال: وقال أبو جعفر (عليه السلام): وكذلك المباهلة يشبك يده في يده ويرفعهما الى السماء، فلمّا رآه الحبران قال أحدهما لصاحبه: والله لئن كان نبياً لنهلكنّ، وإن كان غير نبىّ كفانا قومه، فكفّا وانصرفا^(١).

وكذا فيه، عن محمد بن سعيد الأزدي، عن موسى بن محمد بن الرضا، عن أخيه أبي الحسن (عليه السلام) أنه قال في هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبون للمباهلة، وقد علم أنّ نبىّه مؤدّ عنه رسالاته، وما هو من الكاذبين^(٢).

وكذا فيه، عن عامر بن سعد قال: قال معاوية لأبي: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ قال ثلاث رويتهنّ عن النبي (ﷺ)، لمّا نزلت آية المباهلة ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ... الْآيَةَ﴾ أخذ رسول الله (ﷺ) بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، قال: هؤلاء أهلي^(٣).

وفي تفسير الرازي: روي أنه (عليه السلام) لمّا أورد الدلائل على نصارى نجران، ثم إنهم أصرّوا على جهلهم فقال (عليه السلام): إنّ الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أبهلكم، فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا، ثمّ نأتيك، فلمّا رجعوا، قالوا للعاقب: وكان ذا رأيهم، يا عبدالمسيح، ما ترى؟ فقال: والله فقد

(١) تفسير العياشي ١/١٧٦، تفسير البرهان ١/٢٨٩.

(٢) تفسير العياشي ١/١٧٦، تفسير البرهان ١/٢٨٩.

(٣) تفسير العياشي ١/١٧٧، تفسير البرهان ١/٢٨٦ - ٢٩١.

الدليل الروائي..... ٣٩١

عرفتم يا معشر النصارى، إنَّ محمداً نبىً مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحقّ في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قطّ فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لكان الاستئصال، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم. وكان رسول الله (ﷺ) خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ (عليه السلام) - خلفهما وهو يقول: «إذا دعوت فأمّنوا» فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقن على وجه الأرض نصرائي الى يوم القيامة، ثم قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك...^(١).

أقول: لقد عرفت ان ابن البنت يسمّى ابناً، وقد مرّ في الصفحات السابقة استدلال الفخر الرازي في تفسيره، فقال: هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين (عليه السلام) كانا ابني رسول الله (ﷺ) ...^(٢).

فإذا كان كذلك فهناك أحاديث كثيرة من النبي (ﷺ) أكّد فيها على أن أمّته ستقتل ولديه الحسن والحسين، كما صرّح باسم القاتل في بعضها، وفي بعض الأحاديث الأخرى صرّح باسم كربلاء.

انظر الى مقتل الخوارزمي حيث يقول - نقلاً عن المسور بن مخرمة :- (ولقد أتى النبي (ﷺ) ملك من ملائكة الصفيح الأعلى لم ينزل الى الأرض منذ خلق الله الدنيا، وإنما استأذن ذلك الملك ربّه ونزل شوقاً منه الى

(١) التفسير الكبير ٨/٨٥، الدر المنثور ٢/٣٨، تفسير القمّي ١/١٠٤، الخصال في احتجاج علي مع ابي بكر.

(٢) عن ام الفضل في حديث قالت: ... فدخلت يوماً الى رسول الله (ﷺ) فوضعت في حجره ثم حانت مني التفاتة فاذا عينا رسول الله (ﷺ) تهريقان من الدموع قالت فقلت يا نبي الله بأبي انت وامي مالک؟ قال اتاني جبرائيل (عليه السلام) فاخبرني أن أمّتي ستقتل ابني هذا ... مستدرک الصحيحين للحاكم ٣/١٧٧.

٣٩٢.....الحسين سنام القرآن

رسول الله (ﷺ) ، فلما نزل الى الأرض أوحى الله عز وجل اليه: أيها الملك، أخبر محمداً بأن رجلاً من أمته يقال له: يزيد يقتل فرخك الطاهر وابن الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، فقال الملك: إلهي وسيدي، لقد نزلت وأنا مسرور بنزولي الى نبيك فكيف أخبره بهذا الخبر؟ ليتني لم أنزل عليه، فنودي الملك من فوق رأسه: أن أمضي لما أمرت، فجاء وقد نشر أجنحته حتى وقف بين يديه، فقال: السلام عليك يا حبيب الله، إني استأذنت ربّي في النزول اليك، فليت ربّي دق جناحي ولم آتك بهذا الخبر، ولكني مأمور يا نبي الله، اعلم: أن رجلاً من أمتك يقال له: يزيد يقتل فرخك الطاهر ابن فرختك الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران ولم يمتّع من بعد ولدك، وسيأخذه الله معافصةً على سوء عمله، فيكون من أصحاب النار، قال: ولما أتت على الحسين من مولده ستان كاملتان خرج النبي في سفر، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك؟ فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها: كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة، فقيل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال له: يزيد، لا بارك الله في نفسه، وكأني أنظر الى مصرعه ومدفنه بها، وقد أهدي رأسه، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه...^(١).

وكذا رواه الطبراني في المعجم الكبير مقارب^(٢).

وكذا ما يقاربه في كتاب «مفتاح النجا في مناقب آل العبا» للبديخي^(٣).

هذه بعض الطرق التي عند الأصحاب. أما طرقنا فهي كثيرة، فليراجع في

مضائها.

(١) مقتل الحسين - الخوارزمي ١٦٢/١ ط الغري.

(٢) المعجم الكبير ص ١٤٧.

(٣) مفتاح النجا ص ١٣٦.

الآية الثالثة عشرة: ٣٩٣

الآية الثالثة عشرة:

قوله تعالى..

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

الآية وما قبلها في سياق واحد، والآيات السابقة قسّمت الناس الى قسمين: قسم منهم وجوههم مبيضة وقسم آخر وجوههم مسودة ثم علق جزاء كل قسم حسب عملهم في الدنيا، فقال عزّ من قائل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٢).

ثم بعدها يصف تعالى حال المؤمنين الذين صدّقوا في هذه الدنيا الرسول واتّبعوه، فهم مبيضة وجوههم، وفي رحمة الله منعمون، فقال سبحانه وتعالى في حقّهم: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣).

على أنّ هذين القسمين المذكورين هنا في هذه السورة المباركة إنّما أوضحت مآلهما في يوم القيامة، إلّا أنّه سبحانه وتعالى قد ذكر قبل الآيتين ما يذكر به عباده ويعلمهم طريق الحق والخير والهدى، بل يحذّرهم من مفارقتهم الحياة الدنيا وهم على دين غير الإسلام، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

(١) آل عمران ١١٠/

(٢) آل عمران ١٠٦/

(٣) آل عمران ١٠٧/

٣٩٤.....الحسين سنام القرآن

حَقِّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ بَلْ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَأْمُرُهُمْ
بِالْتَّمَسْكِ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَيُنْهَاهُمْ عَنِ التَّفْرِقَةِ وَيَطْلُبُ جَلَّ شَأْنُهُ - مِنْهُمْ أَنْ يَتَذَكَّرُوا
النِّعَمَ الَّتِي وَهَبَهَا إِيَّاهُمْ، وَمَا حَبَاهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، قَوْلُهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ:
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا...﴾ (٢).

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْمُرُهُمْ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنْ يَكُونُوا الدَّعَاةَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيُنَاهِضُوا الشَّرَّ، فَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِذْ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:
﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

الخطاب في هذه الآية المباركة ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ...﴾ مَوْجَّهٌ لِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ تَكْلِيفٌ عَامٌّ، لَكِنَّهُ يَسْقُطُ بِقِيَامِ الْبَعْضِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ الْوَاجِبِ
الْكَفَائِيِّ، وَلِذَا فَيَسْتَظْهَرُ فِيهَا أَنَّ مَعْنَى «مَنْ» لِلتَّبَعِضِ، وَمَا يَقْوِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى
فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. إِذْنِ، الْخُطَابُ بِصَدَدِ الْجَمَاعَةِ الَّتِي
اتَّخَذَتْ عَلَى عَاتِقِهَا رِسَالَةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِنْ كَانَ
التَّكْلِيفُ قَبْلَ التَّصَدِّي لِلْإِمْتِثَالِ عَامًّا إِلَّا أَنَّهُ سَقَطَ بِقِيَامِ الْبَعْضِ بِهِ.

وَرَبِّمَا قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى «مَنْ» لِلْبَيَانِ، أَي: لَتَكُونُوا وَفَقِ اجْتِمَاعِكُمْ أُمَّةً تَدْعُونَ
إِلَى الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ.

وَعَلَى أَيِّ فَكْمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي بَابِ الْفَقْهِ أَنَّ الْعِبَادَاتِ تَنْقَسِمُ إِلَى: تَكْلِيفِ
عَيْنِيَّةٍ: كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْخُمْسِ وَالزَّكَاةِ وَهُوَ مُتَعَيِّنٌ عَلَى كُلِّ مَكْلَفٍ

(١) آل عمران ١٠٢.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) آل عمران ١٠٤.

الآية الثالثة عشرة: ٣٩٥.

أداؤها وأخرى كفاية، فلو قام البعض بها سقط عن الباقي، أي: المسؤول بها كل الأمة، ويكون العقاب على الجميع مع تركهم للامثال بلا عذر، ولو تصدئ البعض لها كان المثاب هم، دون غيرهم.

أما الآية التي نحن بصدددها ﴿وكنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر...﴾ فهو تقرير لحالة تلك الأمة التي أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ومن جاء ذكرها في الآيات السابقة، وإن كان حصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن بعض تلك الأمة، ولا ضير فيما لو حصل الغرض من ذلك البعض لسقط عن الآخرين، فكان الخطاب والإطراء على الكل لما حصل منهم امتثال الأمر، وهذا خطاب مألوف عند العرب، تخاطب الفرد بلفظ الجماعة، أو تخاطب البعض بلفظ الكل، كما لو قلت: «أكرمت قبيلة الأوس» و«زارتني قبيلة الخزرج»، ومرادك بعض الأوس وبعض الخزرج...

وكيفما كان، الملفحون من الناس من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، والأمة قائمة على الخير والهدى طالما أولئك الملفحون بين ظهرانهم، بل وطالما هناك تواص بين أفراد الأمة بالحق، ومن جملة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله ورسوله (ﷺ)، وما جاء به من شريعة سمحاء من قبل الله سبحانه.

وهنا لابد من الإشارة إلى عدة نكات:

النكتة الأولى: ما المراد بـ«كان» في قوله تعالى: ﴿وكنتم خير أمة...﴾؟

ذهب النحاة والمفسرون إلى عدة أقوال:

أولاً: أنها تامة، ومعناها: «وجدتم وتخلقتم خير أمة»، وهنا اشعار بالحدوث بقرينة «أخرجت للناس»، إذ أن الأمة لم تكن، ثم كانت، وعلى هذا

٣٩٦.....الحسين سنام القرآن

يتعين أن «خير أمة» هي بمعنى الحال، وهذا ما ذهب إليه جمع من المفسرين^(١).

ثانياً: أنها ناقصة، وللمفسرين من هنا أقوال في تحديد المعنى:

١ - كنتم خير أمة، أي: في علم الله.

٢ - كنتم، أي: في اللوح المحفوظ، ووافق هذا الفراء والزجاج.

٣ - كنتم، أي: في الأمم السابقة المذكورين بأنكم خير أمة.

٤ - كنتم، أي: في دنياكم خير أمة.

٥ - كنتم، أي: مذ آمتتم بالله خير أمة.

٦ - كنتم، بمعنى: أنتم، عن الحسن.

٧ - كنتم، بمعنى: قوم مخصوصين معينين من أصحاب الرسول ﷺ

وهم السابقون الأولون^(٢).

ثالثاً: أنها بمعنى: صار، أي: صرتم خير أمة أخرجت للناس بسبب كونكم

أمريين بالمعروف وناهين عن المنكر ومؤمنين بالله.

رابعاً: أنها زائدة.

أقول: وليس موافقاً من قال بزيادتها؛ لأن زيادة كان: إما في وسط الكلام،

أو في آخره، ثم إذا قلنا بزيادتها بمعنى: أنها ملغاة عن العمل، وهذا لا يتأتى في أول الكلام.

واعلم: أن مسألة الزيادة في كلام العرب إنما كان من تحقيق علماء النحو

واللغة، حيث قصرت نظرهم في تخريج تلك الموارد: كزيادة ما بعد إذا، وزيادة كان ...

وقد جرى الكلام فتعدى من اللغة والنحو إلى القرآن الكريم، فقالوا بمثل

(١) مجمع البيان ج ٤٨٦/٢ ط بيروت، وعراب القرآن لمحيي الدين درويش ١٩/٢ ط ٣، ١٩٩٢

والتفسير الكبير للفخر الرازي ١٩٣/٨.

(٢) انظر مجمع البيان ج ٤٨٦/٢ وتفسير الفخر الرازي ١٩٣/٨.

الآية الثالثة عشرة: ٣٩٧

ذلك، والمتيقن عندنا: أن ليس في القرآن، في حروفه وكلماته، أي: معنى من معاني الزيادة، بل ليس لها محل، بل إن من أسرار القرآن الكريم هي تلك الحروف التي جهلنا حقيقتها ومعانيها فليس من العدل والإنصاف كل ما غاب عن إدراكنا ننسبه الى الزيادة، كما قيل في الحروف المتقطعة من أوائل بعض السور أنها زائدة....، بل إن الجميع من الأمور الغيبية والأسرار الخفية التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم من آل محمد (ﷺ).

أضف الى ذلك أنه ليس كل ما جاء في كتب التفاسير مطبق على صحته ومسلم فيه، بل غاية ما هناك: أن نعدّه من باب تقريب المعنى الظاهري، وأما باطن الآيات أو تأويلها أو ما يريد الله سبحانه فليس لنا فيه حديث إلا ما جاء به النبي وأهل بيت العصمة (عليهم السلام)، وما عدا ذلك فمنهي عنه أن نعمل آراء نافية، وقد دلت الأخبار الصحيحة من العامة والخاصة على نهى النبي عن تفسير القرآن بالرأي، فراجع.

النكتة الثانية: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ بأي وجه أصبحت هذه الأمة - الإسلامية - خيراً من غيرها من الأمم السابقة؟

قلنا: أصبحت هذه الأمة أخيراً ممّا سبقها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله حقاً، مما رفعها وجعلها أفضل الأمم.

ورب سائل يقول: ألم تكن تلك الأمم أيضاً تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله؟!..

فما الفرق بين عمل هذه الأمة وعمل أولئك الذين سبقوهم من أمة عيسى وموسى وإبراهيم (عليهم السلام)؟

قلنا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له مراتب ودرجات. فمنه ما يكون بالقلب وهو أضعف الإيمان، ومنه ما يكون باللسان، ومنه ما يكون باليد، أي: بالقوة والجهد بالنفس دونه.

٣٩٨.....الحسين سنام القرآن

وإنما كانت هذه الأمة أفضل وخيراً من غيرها لأنها حرصت في أداء الحق من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الإيمان بالله بكل الوسائل والطرق المناسبة، حتى أنها أقامت مع الرسول في حروبه وغزواتها للصدّ عن الكفر والمنكر والأمر بالمعروف، وهكذا في زمن الخلفاء الأربعة وبعدها نشرت الإسلام في الشرق والغرب سعياً وراء نشر كلمة «لا إله إلا الله» التي هي رمز الحق والعدل والمعروف والهدى.

فقد استرخصت كل شيء، وجادت حتى في بذل النفس، وهو أقصى غاية الجود، لإقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فأين هذه الأمة من الأمم الأخرى، فهذه أمة موسى (عليه السلام) التي قالت لنبيها، عندما أمرها بقتال عدوها: ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون...﴾^(١).

بل إنهم - اليهود - حاولوا قتل نبيهم هارون (عليه السلام) عندما ذهب موسى لموعد ﴿مقات﴾ ربّه لي جلب الألواح لهم والتي فيها من كل شيء موعظة، وقد خلف على قومه أخاه هارون (عليه السلام)، قال تعالى يحكي على لسان هارون: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي...﴾^(٢).

بل وصريح القرآن الكريم يذكر قوم موسى (عليه السلام) إنهم لن يستجيبوا لنداء الله في جهاد أنفسهم منهم، حيث قال: وعزّ من قائل: ﴿ولو أننا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم...﴾^(٣).

وقول تعالى: ﴿... إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولّوا إلا

(١) المائدة / ٢٤.

(٢) الأعراف / ١٥٠.

(٣) النساء / ٦٦.

الآية الثالثة عشرة: ٣٩٩

قليلاً منهم ...»^(١).

وهكذا بقية الأمم ما كانت تعشق القتال في سبيل الله .
أما المسلمون: فقد عشقوا الشهادة والقتل في سبيل الله، درأً للمنكر
والفساد المتأثري عنه، والآيات الكريمة شاهدة على ذلك، بغض النظر عن أولئك
المنافقين الذين نزلت في حقهم آيات بينات تكشف عن نواياهم وسوء
سريرتهم وخبثهم وكيدهم للإسلام والمسلمين... فلا تغفل.
وتلخص ممّا تقدّم: الظهور في أفضلية هذه الأمة، وأنة أخير من غيرها،
لأنّها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بكل الوجوه وأكدها: القتل، وهو إلقاء
النفس في خطرها، ولهذا أصبح الجهاد من أعظم العبادات وهو عندنا في
الإسلام أقوى منه في سائر المذاهب والأديان.

النكتة الثالثة: تعيين من جملة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ أن
المسلمين أفضل وأخير من اليهود والنصارى وسائر الأمم، لذا وجب على الأمم
أن تُدين بالإسلام وتقتدي بالمسلمين، وهذا تأييد لما ورد في الآيات الأخرى
من القرآن الكريم في أحقية الدين الإسلامي ووجوب اعتناقه قوله تعالى: ﴿إِنَّ
الدينَ عند الله الإسلام﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في
الآخرة من الخاسرين...﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح
صدره للإسلام..﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿...إِنَّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلا وأنتم

(١) البقرة / ٢٤٦.

(٢) آل عمران / ١٩.

(٣) آل عمران / ٨٥.

(٤) الأنعام / ١٢٥.

٤٠٠.....الحسين سنام القرآن

مسلمون ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢)، الى غيرها من الآيات.

النكته الرابعة: نستظهر من لفظة «للمناس» أي: عامة البشر في السابق واللاحق، وأن هذه الأمة - المسلمة - هي الأخرى أخير الأمم وأفضلها في الماضي والحاضر، لهذا أخرجت للناس حتى تكون مثلاً يقتدى بها سعياً وراء الكمال والخلاص.

النكة الخامسة: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون

بالله﴾.

استعمال الفعل المضارع في هذه الألفاظ الثلاثة «تأمرون، تنهون، تؤمنون، يدل على حركية هذه الأمة وفعاليتها واستمراريتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، أي: أن الأمر بالمعروف ما كان موقوفاً على الصدر الأول من المسلمين، وكذلك النهي عن المنكر فلم يختص بمن خاطبوا بهذه الآية الكريمة.

وكما تعلم أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، وهذه الاستمرارية في الصفات والعمل بها جعل هذه الأمة المباركة خيراً من غيرها، وأخرجها للناس حتى يختتم بهم، ويكونوا حجة على غيرهم.

كما أن هذه العبارة تعليل للنص المتقدم «كنتم خير أمة»، وهذا مما تعارف عليه أهل اللغة والبلاغة: أن ذكر الحكم المقرون بالوصف المناسب له يدل على أن هذا الوصف علة لذلك الحكم، لكن لا يمكن القول بأنها علة تامة، فربما كانت جزء العلة، والله اعلم.

(١) البقرة / ١٣٢.

(٢) المائدة / ٣.

الآية الثالثة عشرة: ٤٠١.

النكتة السادسة: في الآية الشريفة تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله، وهو قوله سبحانه: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وهذا التقديم ربّما يلاحظ فيه هذا السؤال، ألم يكن الإيمان بالله أوّل الطاعات المخاطب بها الإنسان؟

أجيب عنه: أنّ شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الإيمان بالله، وإنّما هذه الطاعات الأخرى هي فرع تلك الطاعة، بل هي أثر لذلك المؤثر الحقيقي، فإنّ الكلام من أصل الإيمان مفروغ عنه.

كما أنّ الإيمان بالله أمر مشترك بين سائر الأمم الموحّدة، فلا يعقل - والخطاب لمن آمن به - أن يكون الإيمان هو سبب التفضيل، وقد علمت أنّه صفة مشتركة بين الموحّدين في سائر الأديان.

النكتة السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ترغيب منه سبحانه وتعالى لأهل الكتاب بالإسلام، وقد كانوا يجدون في كتبهم الحقّة المنزلة أن خاتم النبوات على يد النبي محمّد (ﷺ)، وأنّ صفة النبيّ محمّد (ﷺ) مسطورة في كتبهم وقد استعلمتها أنفسهم، لكن جحدت بها إبقاءً على مطامعهم، وحبّاً لتسلّطهم على رقاب الناس والمستضعفين منهم بالخصوص. فلو آمنوا لأصابهم خير الدنيا ونعيم الآخرة والخلود فيهما، فهم يجمعون الى ما يصبون اليه من هذه الدنيا خير الآخرة، لكن بما أنهم جحدوا بآيات الله وأصرّوا على كفرهم وطغيانهم ممّا سلبهم الله سبحانه كلّ ما يرجونه، وهذا هو الخسران المبين، وأنّ عذاب ربّك لأشدّ وأخزى.

وهذا لا يعني استعمال كلمة «خيراً لهم» أنها من باب التفضيل حتّى تُعطي لهم مشروعيّة التعبد بالدين الذي هم عليه، وقد عرفت سابقاً: أنّ كلّ دين لا يجوز التعبد به عدا الإسلام، وأنّ الشريعة الإسلامية ناسخة لكلّ الشرائع، لذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

٤٠٢.....الحسين سنام القرآن

من الخاسرين ﴿١﴾.

نعم، إنّما الآية ناظرة الى ما بأيديهم من نعيم زائل قبال النعيم الخالد، وهو نعيم الإيمان بالله في الدنيا، وهو من أكبر النعم وأفضلها، ونعيم الآخرة الذي هو جزاء المحسنين، والمؤمن إنّما هو محسن لنفسه بإيمانه من دون أي شك ...

قوله تعالى: ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ (٢).

منهم، أي: من أهل الكتاب - و«من» هنا أفادت التبعض - وهم جماعة من أهل الكتاب آمنوا بما وجدوه في كتبهم من صفة النبي المرسل آخر الزمان، وهو محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء، والألف واللام في «المؤمنون» للعهدية، وليس للاستغراق، أي: أولئك النفر المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفات النبي المبعوث في جزيرة العرب والبشارة به، أمثال: عبدالله بن سلام وأصحابه من اليهود، والنجاشي وأصحابه من النصارى.

﴿وأكثرهم الفاسقون﴾، أي: الجاحدون المنكرون لما أوجبه كتابهم من

الإقرار بنبوّة الرسول (ﷺ) واتّباعه.

والخطاب في هذه الآية مختلف فيه، وأهم الآراء هي:

١ - قيل: أريد به: المهاجرون خاصّة، عن ابن عباس والسدي.

٢ - وقيل: أريد به: ثلّة من الصحابة، وهم: ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، عن عكرمة.

٣ - وقيل: أريد به: جميع أصحاب الرسول (ﷺ) عن الضحّاك.

٤ - وقيل: إنّ خطاب للصحابة، ولكن يعمّ سائر الأمة (٣).

ثم بيّنت الآية الشريفة - كما عرفت - بعض خصوصيّات هذه الأمة من

(١) آل عمران ٨٥.

(٢) آل عمران ١١٠.

(٣) الدر المنثور ٦٣/٢ ومجمع البيان ٤٨٦/٢ ط بيروت.

الآية الثالثة عشرة: الآية الثالثة عشرة: ٤٠٣.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

ففي تفسير العياشي، عن أبي عمرو الزبير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال: يعني: الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم (عليه السلام) فهم الأمة التي بعث الله فيها ومنها واليها، وهم الأمة الوسطى، وهم خير أمةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (١). وفيه أيضاً: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إنّما نزلت هذه الآية على محمد (صلى الله عليه وآله) فيه وفي الأوصياء خاصة، فقال: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، هكذا والله نزل بها جبرئيل، وما عنى بها إلا محمداً وأوصيائه صلوات الله عليهم (٢).

وفيه أيضاً: عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: في قراءة علي (عليه السلام) ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم آل محمد «ص» (٣).

وفي الدر المنثور قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي جعفر ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: أهل بيت النبي (٤).

(١) تفسير العياشي ١/١٩٥.

(٢) تفسير العياشي ١/١٩٥، إثبات الهداة ٣/٤٦، تفسير الصافي ١/٢٨٩، البرهان ١/٣٠٨.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) الدر المنثور ٢/٦٤.

٤٠٤الحسين سنام القرآن

الدليل الروائي

عن ابن سنان قال: قُرئت عند أبي عبدالله (عليه السلام): ﴿كُتِمَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «خير أمة» يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام). فقال القارئ: جعلت فداك كيف نزلت؟ قال نزلت: ﴿كُتِمَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ألا ترى مدح الله لهم: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

وذكرت كتب التاريخ والسيرة: أنَّ الحسين (عليه السلام) لما أراد الخروج من الحجاز وقف عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يناجي ربه قائلاً: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا قَبْرُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنا ابن بنت نبيِّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحَبُّ الْمَعْرُوفِ وَأَنْكَرُ الْمُنْكَرِ، وَأَسْأَلُكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِحَقِّ الْقَبْرِ وَمَنْ فِيهِ إِلَّا اخْتَرْتُ لِي مَا هُوَ لَكَ رِضَى وَلِرَسُولِكَ (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن الباقر (عليه السلام) قال: فهذه - الآية - لآل محمدٍ ومن تابعهم، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر^(٣).

ولا يخفى عليك أنَّ الحسين (عليه السلام) لم يقتل إلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو (عليه السلام) من أشهر مصاديق هذه الآية الكريمة، وقد كتب في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية عندما أراد الخروج من المدينة:

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ١/١١٠.

(٢) مقتل الخوارزمي ١/١٨٦.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ١/١١١.

الدليل الروائي.....٤٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب الى أخيه محمد
المعروف بابن الحنفية:

أَنَّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله،
جاء بالحق من عند الحق، وأنَّ الجنة والنار حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها،
وأنَّ الله يبعث من في القبور، وأنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً،
وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ﷺ)، أريد أن أمر بالمعروف
وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فمن
قبلني بقول الحق فالحق فأولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتَّى يقضي الله بيني
وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك، وما توفيقي
إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»^(١).

وفي الزيارة المشهورة: «أشهد أنك قد أقممت الصلاة، وآتيت الزكاة،
وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله، وجاهدت في
سبيله حتَّى أتاك اليقين...»^(٢).

وقد روي عنه (عليه السلام): «أنه كان يحبَّ الجهاد ويسعى لأجله، ويقارع الظلم
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال (عليه السلام): «حبُّ إلي من دنياكم ثلاث:
الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة حدود الله»^(٣).

(١) البحار ٣٢٩/٤٤، مقتل الخوارزمي ج ١/١٨٨، مقتل العوالم ٥٤.

(٢) مقطع من الزيارة السادسة المطلقة او المشهورة. انظر مفاتيح الجنان.

(٣)

٤٠٦.....الحسين سنام القرآن

الآية الرابعة عشرة:

قوله تعالى..

﴿...وَبَاءُ وَبَغْضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ...﴾ (١).

تمام الآية ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغْضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

الآية وما قبلها، قيل: نزلتا في رؤساء اليهود مثل: كعب، وأبي ياسر، وابن صوريا، وأبي رافع، وكنانة الذين عمدوا الى مؤمنينهم، كعبدالله بن سلام وأصحابه، فأنتوهم لإسلامهم، فنزلت الآية، وهو مروي عن مقاتل (٢). للضرب هنا أحد معنيين:

الأول .. بمعنى: اللصق والإلصاق كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به، فيكون معنى الآية: جعلت الذلّة ملصقة بهم، ومنه كان تسمية الخراج ضريبة، لأنه لازم وملصق بصاحبه لا بد من دفعه.

الثاني .. بمعنى: البناء والاثبات المحيط بالشيء، كالقباب والخيام المضروبة المحيطة على ساكنيها، فهو نوع استعارة، وهذا لا يختلف عن المعنى الأول في لزوم الذلّة لليهود.

«أينما تُقْفُوا» بمعنى: أينما وجدوا.

و«الذلّة» فيها عدّة معانٍ:

(١) آل عمران ١١٢/.

(٢) مجمع البيان ٤٨٧/٢.

الآية الرابعة عشرة: ٤٠٧.

الأول: الذلة بمعنى الجزية، فهم يدفعونها عن يد وهم صاغرون ، وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(١).

الثاني: أو بمعنى: لا أمان لهم ولا قرار، وهذا ما يشعرون به في قرارة أنفسهم.

الثالث: أو ليس فيهم عزيز أو محترم، بل جميعهم في نظر آخرين من الناس محتقرون.

الرابع: أو المراد: أن يُحاربوا ويُقتلوا وتُسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم، وتملك أراضيهم.

الخامس: الذلة لفظ مشترك يجمع كل ألوان الاستصغار والهوان والذل، فلو ارتفع بعض مصاديق هذا اللفظ كالقتل والسبي فلا يرتفع باقي المصاديق بسبب من الأسباب لذا فإنّ الذل والهوان لازم لهم بدليل ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا﴾ قرينة لازمة في ذلك.

ثم لا يخفى أنّ الأصل في اليهود كونهم مهدوري الدم والعرض والمال، أي: لا بدّ من محاربتهم، وإذا كان كذلك فدمهم مباح، وكذلك نساءهم وأموالهم مباحة للمسلمين بصريح الآية الكريمة: ﴿أَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، بمعنى: أينما وجدتموهم ثمّ جاء الاستثناء ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ﴾. والحبل هنا قد يراد به العهد، عهد الله سبحانه وتعالى، وعهد الناس.

فاليهود هم في ذمة مَنْ يسكنون في جوارهم وبعبارة أخرى إن دمّهم وعرضهم ومالهم يكون في ذمة المسلمين فيما لو تمسكوا بعهد الله المعبر عنه في الآية «بالحبل» لأنّ الحبل إذا وصل الشيء به أحكمه من السقوط ومنعه، وبما أنّ الإنسان الخائف لا أمان له قبل العهد فيصير بعد العهد آمناً، كأنما العهد أوصله الى الأمان، وهكذا الحبل يوصل المتمسك به الى مطلوبه.

٤٠٨.....الحسين سنام القرآن

والعهد الذي يستهضر من «الحبل» هو دفع الجزية حتّى يكونوا في ذمام المسلمين، ولما استظهرنا من لفظة «الذلة» المعاني الأربعة جميعاً، أو قل: المعنى الخامس، وهو المعنى الجامع تعيّن أنّ الحبل المقصود منه - من خلال الاستثناء - حصول الأمان، وهذا يدلّ على أنّ دفع الجزية - رافع للحرب والقتل فقط.

فالاستثناء هنا لمصداقٍ واحدٍ من مصاديق المستثنى منه المتعدّدة. والحاصل: أنّ الحبل الذي استظهرناه بالعهد - وهو، دفع الجزية كما نصّ عليه سبحانه وتعالى - رافع للخوف والقتل والحرب. أمّا الذلّ والهوان والاستصغار فلم يدخل في الاستثناء، بل لازم لهم أين ما وجدوا. أمّا الذين قالوا: «الحبل من الله» هو الاسلام و«الحبل من الناس» هو الذمة فهذان معنيان متغايران والعطف يراد به: الجمع والوحدة فكيف جاز لكم أن تجمعوا بين الإسلام والذمة؟ وقد عرفت أنّ الذمة لا محلّ لها بعد دخول الكتابيّ في الإسلام!!

نعم، يصحّ ذلك إذا ورد العطف بالحرف «أو» للتنويع، فيصير المعنى: هم في أمانٍ إذا تمسّكوا بحبلٍ من الله وهو الإسلام، أو: هم في أمانٍ إن تمسّكوا بحبلٍ من الناس، وهو دفع الجزية فيكونوا في ذمتهم...! وبعضهم قال: يراد بالحبلين: هما العهد والذمة والامان لان الامان المأخوذ من المؤمنين هو الأمان المأخوذ بإذن الله، وهذا المعنى لا يقوى على دليل، وضعيف في مبناه لعدّة وجوه لا طائل من ذكرها.

وذهب السيّد الطباطبائي في الميزان الى إنّ تكرار لفظ «الحبل» إنّما كان لاختلاف المعنى بالإضافة.. فيقول: (وقد كرّر لفظ «الحبل» بإضافته الى الله» والى الناس؛ لاختلاف المعنى بالإضافة، فإنّه من الله القضاء، والحكم تكويناً أو تشريعاً، ومن الناس البناء والعمل).

الآية الرابعة عشرة: ٤٠٩.

ثم قال: (والمراد بضرب الذلة عليهم: القضاء التشريعي بذلتهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا ثَقِفُوا﴾، فإن ظاهر معناه: أينما وجدهم المؤمنون، أي: تسلطوا عليهم، وهو إنما يناسب الذلة التشريعية التي من أثارها الجزية^(١). أقول: لا يستفاد من كلام صاحب الميزان «قدس سره» تفصيل المطلوب، لذا نورد عليه ما يلي:

أولاً: عدم تحديد المعنى بالنسبة لحبل الله وحبل الناس بلحاظ الإضافة حتى يُعرف الفرق بينهما. أمّا ما أورده الطباطبائي قدس سره في معنى الحبل قبل النص المنقول فهو معنى عام لا يفيد التمييز.

ثانياً: حبل الله وحبل الناس لا بد أن يجمعهما معنى مشترك، كالعهد والأمان وما شابه ذلك، حتى يكون لأخذ الجزية الموجب لحصول الأمان أثر من أثار حبل الناس، وهذا الأثر إنما هو فرع أصل، وأصله قضاء الله وحكمه في عالم التكوين أو التشريع، والمعبر عنه في الآية ﴿حبل من الله﴾ وإذا كان كذلك فلا معنى أن تكرر لفظة الحبل وإذا كررت فلا داعي أن نقول بمغايرة المعنى من خلال الإضافة، بل هو بملاك واحد، أحدهما في عالم الإثبات، والثاني في عالم الثبوت.

ثالثاً: نحن بصدد الكشف عن معنى «الحبل من الله والحبل من الناس»، وليس بصدد الذلة التشريعية أو التكوينية، بل إن هذه الذلة متحققة كيفما كان.

رابعاً: من قال إن الذلّ سوف يرتفع من الذمّي فيما لو دخل في أمان من الناس أو تحت ذمة المسلمين...؟ ويكفي للذمّي استصغاراً واحتقاراً وإذلالاً له بدفعه الجزية، وما دفع الجزية إلا مظهر من مظاهر الإذلال والهوان، بينما ما أفاده صاحب الميزان (رحمته) خلاف ذلك، قال: (فيؤول معنى الآية إلى أنهم أذلاء بحسب حكم الشرع الإسلامي، إلا أن يدخلوا تحت الذمة أو أمان من الناس

(١) تفسير الميزان ٣/ ٣٨٤.

٤١٠.....الحسين سنام القرآن

بنحو من الأنحاء^(١).

وكيف كان، إن عبارة السيّد - قدّس سرّه - قاصرة عن أداء الغرض، وفيها تشويش وارتباك لا يخفى.

﴿وباؤا بغضب من الله﴾، أي: رجعوا بغضب الله، وهو لعنه وعقابه.

﴿وضربت عليهم المسكنة﴾، المسكنة: أشدّ الفقر؛ وذلك أن اليهود يتظاهرون بالفقر وإن كانوا أغنياء، وهذا ديدنهم إلى اليوم. ولا يخفى أن مظهر الفقر يلازمه - غالباً - الذلّ والاستعطاف والالتواء، بل إن أغنياءهم كانوا يظهرهم بهذه الحالة؛ كي لا تضاعف عليهم الجزية.

فهذه صفات ثلاث ذكرتها الآية الكريمة:

١ - ضربت عليهم الذلّة.

٢ - وباؤا بسخط الله وغضبه.

٣ - وضربت عليهم المسكنة من الفقر والذلّ.

أما السبب في ذلك هو: ﴿بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾، ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حقّ﴾.

وهذا شأن اليهود أنّهم جحدوا صفة النبي محمد (ﷺ) في كتبهم، وكفروا بآيات الله سبحانه ونعمه الظاهرة. كما أنّهم جحدوا بالقرآن، ومن قبل بالإنجيل، لذا ففي مورد آخر يصفهم القرآن الكريم: ﴿فباؤا بغضب على غضب﴾، الأول: لكفرهم بعبسى (عليه السلام) والإنجيل، والغضب الثاني: لكفرهم بمحمد (ﷺ) والقرآن الكريم.

أما قتلهم الأنبياء مثل: زكريّا ويحيى وغيرهما (عليهم السلام) بغير حقّ: أي بغير ذنب أو جرم، وهذا لا يعني في قوله تعالى: ﴿بغير حقّ﴾ أنّه قد يصحّ قتل الأنبياء بحقّ الله لأنّ الله سبحانه لم يجعل للناس على الأنبياء من سبيل، بل هم

الآية الرابعة عشرة: الآية ٤١١

دائماً في موقع المظلومين، حتى يزيد لهم الأجر ويرفع لهم منزلتهم (عليه السلام).
﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾: إشارة إلى معاصيهم وقتلهم الأنبياء
 بغير الحق، واعتدائهم في السبب ونقضهم العهد... الخ.

ولا يخفى أن الخطاب في هذه الآية موجه لليهود في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)،
 وأولئك الذين كانوا في صدر الإسلام لم يصدر منهم اعتداء القتل، فليس هم
 المعنيين بقوله: **﴿يقتلون الأنبياء بغير حق﴾**، بل إن المعني أسلافهم وآبائهم
 السابقون. وبما أن هؤلاء المعاصرين للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) رضوا بأفعال آبائهم
 وصوبوها كان رضاهم هذا كفعل آبائهم، ولو قدر أنهم عاشوا زمن آبائهم لصدر
 منهم القتل أيضاً، وعلى أي حال، من رضي بفعل قوم حشر معهم.
 ومما تجدر الإشارة إليه: أن الذلة التي عليها اليهود قد ورثوها من زمان
 سابق، وقبل ظهور الإسلام، حيث كانوا يدفعون الجزية من قبل للفرس وهم
 صاغرون.

روي عن يونس بن عبدالرحمان، عن عده من أصحابنا رفعوه إلى أبي
 عبدالله (عليه السلام) في قوله: **﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾** قال: الحبل من
 الله: كتاب الله، والحبل من الناس: هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) وتلا هذه الآية: **﴿ذلك
 بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا
 وكانوا يعتدون﴾** قال: والله ما ضربوهم بأيديهم، ولا قتلوهم بأسيفاهم، ولكن
 سمعوا أحاديثهم وأسرارهم فإذا عوها فأخذوا عليها فقتلوا. فصار قتلاً واعتداءً
 ومعصية (٢).

(١) نور الثقلين ١ / ٣١٨ ورواه علي بن إبراهيم القمي ورواه ابن شهر آشوب في المناقب عن
 الباقر (عليه السلام) ورواه العياشي في تفسيره ١ / ١٩٦ والبرهان ١ / ٣٠٩ والصفاني ١ / ٢٩٠.

(٢) تفسير العياشي ١ / ١٩٦ والبرهان ١ / ٣٠٩ والصفاني ١ / ٢٩٥.

٤١٢.....الحسين سنام القرآن

والجدير بالذكر ان الاشارة في ذيل الآية الكريمة، ﴿ذلك بما عصوا﴾ يستظهر منها ان سبب قتلهم للأنبياء بغير حق وكفرهم بآيات الله أنما حصل من جراء مقدمات سابقة الا وهو اصرارهم على الصغائر من الذنوب والمعاصي المنهي عنها بالنقل والعقل وكما هو المروي عن أهل العصمة (عليهم السلام) لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فالاصرار على الصغائر يفضي إلى مباشرة الكبائر بل والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر وقد تعارف عند أهل الأدب وأهل الدين والورع أن من ابتلى بترك الأدب وقع في ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع في استحقال الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر.

وقد ورد عن الرسول (ﷺ) الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهات، فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالزاعي يحوم حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

الدليل الروائي

ممن استشهد بهذه الآية مضموناً: العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) إذ لما وصلت السبايا إلى الكوفة قادمةً من كربلاء، خرج أهل الكوفة يتفرجون على حريم رسول الله (ﷺ) وما أن شاهدوا ذلك المنظر الحزين حتى انفرجوا بالبكاء والعيول وهم كذلك حيث خطبت بهم العقيلة متمثلةً بمضمون هذه الآية^(١) فقالت:

بعد الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين:

(١) من سورة آل عمران ومثلها من سورة البقرة آية ٦١.

الدليل الروائي. ٤١٣.....

«أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقات الدمعة، ولا هدأت الرئة، إنما مثلكم كمثلي التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف^(١)، وملق الإمام، وغمز الأعداء، أو كمرعي على دمنية، أو كفضية^(٢) على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون!

أتبكون وتنتحبون؟ إي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنآنها^(٣)، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفرغ نازلتكم، ومنار حجتكم، ومدره سنتكم، ألا ساء ما تزررون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتكم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتكم؟ وأي حرمة له انتهكتكم؟ لقد جثتم بها صلعاء عنقاء سؤاء فقماء، [خرقاء شوهاة] كطلاع الأرض، وملأ السماء، أفعجتكم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهمل، فإنه لا تحفره البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد^(٤).

(١) الصلف الذي يمتدح بما ليس عنده. والتطف القذف بالفجور.

(٢) وربما ضبطت بالقاف وهي انصب إلى الملحودة والقصة أي تجصيص - القبر - وهو المنهي عنه.

(٣) وفي نسخة شنارها.

(٤) البحار ٤٥ / ١٠٩، اللهوف في قتل الطفوف ١٢٥، الاحتجاج ٢٥٦.

٤١٤.....الحسين سنام القرآن

الآية الخامسة عشرة:

قوله تعالى..

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١)

يظهر من سياق الآيات المتقدمة إلى آية (١٥): أنها نزلت في غزوة أحد. كما أن في الآيات المتقدمة عتاب وتوبيخ للمسلمين الذين ظنوا فوات النصر والخذلان، واعتقدوا أن النبي قد قُتل؛ وذلك لما حمى الوطيس ودارت الدوائر على المسلمين؛ فانهزم جمعهم من حول الرسول ﷺ، وتولوا عن القتال. والمستفاد من تلك الآيات: أن الكفار كانوا أيام نزول الآيات - في غزوة أحد - يلقون إلى المؤمنين بصورة الوعظ والنصح، مما يثبط عزائمهم ويصرفهم عن القتال، وقد حاولوا زرع الفتنة بين المسلمين والتنازع، وإيجاد الفرقة بين المؤمنين.

ولا يخفى أن هذا العمل يولد الشقاق والبغضاء بين صفوف المجاهدين، بل يوقع الرعب في ضعاف النفوس، وقد التزم به الكفار في جميع حروبهم مع الرسول ﷺ كوسيلة إعلامية يراد منها: تشريد المسلمين وإبعادهم عن القتال؛ ويستفاد من هذا المعنى لكشف نوايا الكفار وغيرهم من اليهود والمنافقين من خلال الآيات اللاحقة.

منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ...﴾^(٢).

(١) آل عمران / ١٤٦.

(٢) آل عمران / ١٧٣.

الآية الخامسة عشرة: الآية الخامسة عشرة: ٤١٥

ومنها قوله تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾^(١).

وكذا قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن طغيوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم...﴾^(٢).

ولا يستبعد أن الخطاب في بعض هذه الآيات قد استهدف اليهود والمنافقين يوم «أحد»، حيث أشاعوا بين المسلمين، أن النبي قد قُتل، وهذا يستفاد من الآية: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس...﴾^(٣) فكلمة «الناس» في الموردين عام يشمل الكافر واليهودي والمنافق، إذ الكل داخل فيه، وإلا فإتصال المؤمنين بالكفار ليسمعوا منهم نصائحهم وإرشادهم أمر مستبعد.

نعم، لا يستبعد أن يكون الإصغاء إلى كلمات الكفار ونصائحهم المزعومة بوسائط متعدّدة، لا منهم مباشرة، ومن جملة تلك الوسائط بين المسلمين والكفار: هم المنافقون الذين يأتون بهذه الكلمات زعماء من عند أنفسهم، وأنهم يريدون الخير والصلاح للمسلمين، إلا أن الواقع غير ذلك؛ بل هم رسل وجواسيس الكفار على المسلمين. فمن هذا الباب أوضحت الآية الشريفة أن الإصغاء والإطاعة لهؤلاء إنما هو إطاعة للذين كفروا بعدما تبين للمسلمين أن الوجه في هذه الكلمات من أولئك هو لاستزلالهم، كما أن الشيطان يزلّ الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿إنّ الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا...﴾^(٤).

وعلى أي حال في الآية التي صدر البحث موعظة واعتبار وتشويق

(١) آل عمران / ١٥١.

(٢) آل عمران / ١٤٩.

(٣) آل عمران / ١٧٣.

(٤) آل عمران / ١٥٥.

٤١٦.....الحسين سنام القرآن

للمؤمنين، واقتداء بالذين سبقوهم من الأمم الغابرة، والاعتبار بأصحاب الأنبياء الذين قاتلوا مع أنبيائهم إعلاءً لكلمة الله وتأيداً لدينه...

﴿وَكَايْنٍ...﴾ أصلها: أي، دخلت عليها كاف التشبيه، كما دخلت على «ذا». و«أن» فأصبحنا «كذا» و«كأن» ثم كثر استعمالها فصارت بمنزلة الكلمة الواحدة.

وأي تفيده الاستفهام، ولما أصبحت مع الكاف بمنزلة الكلمة الواحدة أفادت - عندئذٍ - معنى «كم»، وتأويلها الكثير، وهذا نظير ما جاء في القرآن الكريم ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا...﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أُمِلَّتْ لَهَا...﴾.

﴿من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿قتل معه﴾، وعلى هذا التقدير يكون المعنى: أن كثيراً من الأنبياء قتلوا، والذين بقوا بعدهم ما وهنوا وما استكانوا، وهذه القراءة ضعيفة لا يمكن التعويل عليها؛ لأن المعنى يكون بها بعيداً، وما دلت عليه الروايات خلاف ذلك:

منها: ما رواه سعيد بن جبير أنه قال: ما سمعنا قط أن نبياً قتل في القتال^(١) وكذا رواه الحسن.

ومن قرأ: ﴿قاتل معه...﴾ فمعناه: كم من نبي حارب أو قاتل معه العدد الكثير من أصحابه، فأصابهم من عدوهم القتل والتعذيب ومع ذلك فما وهنوا وما استكانوا؛ لأن الذي أصابهم إنما هو في سبيل الله، وإعلاءً لكلمته، ونصرةً لنبئه، وهذا الخطاب - للمسلمين - فيه عتاب وتوبيخ، وكذلك فيه ترغيب وتشويق. فمن كان هذا شأنهم مع الأنبياء في الأمم السابقة كان النصر حليفهم وحرى بكم يا أمة محمد (ﷺ) أن تقتدوا بأولئك، بل ينبغي لكم أن لا تفارقوا سوح القتال وتتركون نبيكم وحده هدفاً للأعداء.

(١) الدر المنثور ٢ / ٨٢، ومجمع البيان ٤ / ٥١٧.

الآية الخامسة عشرة:..... ٤١٧.

ويستظهر من الآية الشريفة: إدامة القتال؛ لأن فيها ترغيب المسلمين عليه.
نقل عن ابن الأنباري أنه قال: فقد كان واجباً عليكم أن تقاتلوا على أمر
نبيكم لو قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم^(١).

﴿ربّيون كثير﴾ في معناه عدّة أقوال:

أولها: عن ابن عباس: أنّهم علماء فقهاء ضبر.

ثانيها: عن مجاهد وقتادة: أنّهم جموع كثيرة^(٢).

ثالثها: عن الأخفش: أنّهم منسوبون إلى الربّ، ومعناه: المتمسكون بعبادة

الله.

رابعها: عن الزجاج أن [الربّيون] عشرة آلاف وهو المروي عن أبي جعفر

الباقر عليه السلام.

خامسها: عن ابن زيد أن «الربّيون» الاتباع والربانيون الولاية^(٣).

سادسها: حكى الواحدي عن الفراء الربّيون: الأولون^(٤).

كيف كان فـ«الربّيون» هم الذين ناصرُوا النبي وقاتلوا معه ، وقد مدحهم الله
سبحانه بصفاتٍ جليّة، فقال عزّ من قائل: ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل
الله﴾ أي: أنّ البقيّة من المجاهدين في سبيله لم يفترّوا عن القتال عندما رأوا
أصحابهم قد استشهدوا أمامه، فما لكم أيّها المسلمون حيث أرجفتم في يوم
أحدٍ حتّى بان عليكم الضعف ولذتم بالفرار وتركتم نبيكم لمّا وجدتم جيوش
الكفر قد أحاطت بكم؟ فإنّ الأمم التي سبقتكم ما جبنوا عن القتال ولا هزّبوا.
ثمّ وصفهم الله بقوله: ﴿وما ضعفوا﴾ أي: أنّ أولئك الذين سبقوكم لم

(١) مجمع البيان ١ / ٥١٧.

(٢) وقال الزجاج: هم الجماعات الكثيرة، التفسير الكبير للفخر الرازي ٩ / ٢٦.

(٣) مجمع البيان ٤ / ٥١٧.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي ٩ / ٢٦، وفيه: هم الأئمة والولاية.

يفتروا عن الجهاد.

ثم وصفهم بصفةٍ ثالثة ﴿وما استكانوا﴾ أي: وما خضعوا لعدوهم. وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والإنكسار عند الإرجاف بقتل رسولهم كما توهمه بعض النفوس الضعيفة، حتى أن البعض تمنى لو أن عبد الله ابن أبي سلؤل معهم حتى يرسلوه إلى أبي سفيان يأخذ لهم الأمان منه، فما بالك بهؤلاء النفر الذين يتمنون لو أن رأس النفاق عبد الله ابن أبي سلؤل معهم، فلو كان معهم فأَي هزيمة وخسارة سوف تلحق بالمسلمين...؟

وليس بعيداً لو قُسر الوهن باستيلاء الخوف على المسلمين، والضعف هو ضعف الإيمان مما استجابوا للشكوك والشبهات، حتى أن بعضهم صدق قول من أذاع خبر قتل النبي، والاسكتانة: الخضوع للمقابل.

ثم إنَّ الوهن غالباً ما يكون ضعفاً يلحق القلب، أما الضعف المطلق ما يلحق البدن والأعضاء، فتختل فيه القوى الجسميّة والقدرة.

﴿والله يحب الصابرين﴾، أي: مَنْ صَبَرَ على الجهاد في سوح القتال وتحمل الشدائد في ذات الله ولم يظهر الجزع والهلع فإنَّ الله يحبه، وهذه المحبة من الله سبحانه لعبده هي غاية الإكرام والإعزاز، والشهادة رزق يخص بها من عباده من يشاء، فهي مدخرة لخواص عباده، وقد مدحهم الله سبحانه بعدة آيات، منها: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١).

والجدير بالذكر: أن الله سبحانه وتعالى ضرب للمسلمين مثلاً رائعاً يتسم بالعمومية، فالآية الكريمة لم تحدّد نبياً من الأنبياء، ولا فيها تحديد لتلك الأمم السالفة، ولا ذكرت الأزمان التي حدثت فيها تلك الوقائع، بل إنَّها تربطهم

مَجْمَلُ قِصَّةِ أَحَدٍ وَوَأَقْعَتَهَا: ٤١٩

بموجب الإيمان والمؤمنين الذين سبقوهم، وتعلمهم الأدب الرسالي الذي ينبغي لكل فرد أن يتمثل به كي يؤدي دوره خلال تبليغه رسالة الحق والهدى إلى الناس.

ثم إن الآية تصوّر للمسلمين الابتلاء والمحنة التي واجهها من سبقهم وكأثما الأمر مطرّد في كل دعوة وفي كل مواجهة بين الحق والباطل...

مَجْمَلُ قِصَّةِ أَحَدٍ وَوَأَقْعَتَهَا:

كان رأس المشركين أبو سفيان يؤلب قريش على حرب المسلمين وذلك بعد هزيمتهم في بدر وبعدما أصابهم من الخذلان والخسران إذ قتل منهم سبعون وأسر مثلهم، وقد كانت لقريش قافلة تحمل متاجرهم، فتواصوا في التآمر على المسلمين برصد تلك الأموال للحرب، ثم إن أبا سفيان خطب في رؤساء الكفر قائلاً: يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبيكين على قتلاكم فإن الدّمة إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمد.

ثم جهّز أبو سفيان ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل وأخرجوا معهم النساء وكان خروجهم إلى أحد يوم الأربعاء من شوال سنة ثلاث للهجرة ولمّا بلغ الرسول أمرهم جمع أصحابه وحثهم على الجهاد ومقاتلة الكفار، فأشار إليه عبدالله بن أبي سلول، وكان رأس المنافقين، أن يقيم في المدينة وتكون المعركة والقتال فيها لأنهم يتحصّنون بازقتها وطرقها وتشاركهم نساءهم من أعلى السطوح غير أن سعد بن معاذ أشار إلى الرسول عكس ذلك وهو بالخروج لهم، على أيّ كان الأمر من الرسول (ﷺ) أن يخرج لهم حيث وصل مع أصحابه إلى أحد يوم الجمعة من شوال وكان القتال يوم السبت، وقد تخلف عبدالله بن أبي

٤٢٠.....الحسين سنام القرآن

سلول في المدينة لعدم استجابة الرسول إلى رأيه، والذي اشترك مع الرسول في غزوة أحد سبعمائة رجل، ثم عباً الرسول أصحابه فوضع عبدالله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب وقال لهم (ﷺ): إن رأيتُمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وإن رأيتُموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا وألزموا مراكزكم، ثم دفع الرسول الراية إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

أما قريش فقد عبأهم أبو سفيان فوضع خالد بن الوليد على كمين في مأتي فارس وقال لهم إذا رأيتُمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم. ثم حمل الأنصار على المشركين وأوقعوا فيهم حتى هزموهم فاشتغل المسلمون بجمع الغنائم وتركوا عدوهم يتربص بهم الدوائر ولما رأى أصحاب عبدالله بن جبير أن اخوانهم غنموا من فلول المشركين اعترضوا على ابن جبير في البقاء على باب الشعب وطلبوا الغنيمة إلا أن عبدالله وعظهم وأرشدهم إلى وصية الرسول وما عهد إليهم لكنهم لم يستجيبوا له، فأخذ أصحابه ينسل الواحد منهم بعد الآخر فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، وأصبحت مراكزهم مكشوفة لقريش، وقد كانت راية الكفار آنذاك بيد طلحة بن أبي طلحة العبدى فتقدم هؤلاء نحو المسلمين وهجم بعضهم على سرية رسول الله (ﷺ) فحمل عليهم الامام علي (عليه السلام) حتى قتل تسعة ممن رفع راية المشركين وكلهم من بني عبد الدار، وقد جهز خالد بن الوليد مع أصحابه على باب الشعب فقتل عبدالله بن جبير والنفر القليل الذين واسوه، ثم أتى المسلمين من أدبارهم والراية أصبحت بيد عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها حتى لاذ بها أصحاب أبي سفيان وحملوا على الرسول وأصحابه فتفرق المسلمون وانهزموا من بين يدي الرسول إلا نفر قليل كعلي بن أبي طالب والعباس وجماعة من الصحابة كأبي دجانة وسعد بن أبي وقاص وهذا مما ساعد الموقف قريش

مجمل قصّة أحد وواقعته: ٤٢١.

فكانت الدائرة على الرسول (ﷺ)، لولا نصر الله ورعايته لرسوله الكريم، ولما كانت هزيمة المسلمين نكسة كبيرة وخطرها فادح يؤذي بالاسلام صاح بهم الرسول (ﷺ) بعدما كشف البيضة عن رأسه...إليّ أنا رسول الله، إليّ أين تفرون عن الله تعالى وعن رسوله...والجدير بالذكر ان الذي ساعد على هزيمة المسلمين هو نداء بعض المشركين بقتل الرسول، وقيل النداء كان من ابليس، فاجتمع أصحاب الرسول ثانية وأحاطوا بالنبي وحموه بعدما أثنى بالجراحات وكسرت ربايعيته وشجّ في وجهه.

الاحداث المهمة في هذه الغزوة:

أولاً: هو مقتل حمزة بن عبد المطلب والمثلة فيه وقاتله وحشي وهو عبد لجبير بن مطعم وقد اغرته هند بنت عتبة زوج أبي سفيان فقالت له دونك محمد أو علي أو حمزة لئن قتلت واحداً منهم لأعطينك كذا وكذا وقد أمته بالعتق والمال، ولما قتله بحريته جاءت هند وشقت بطن حمزة (ﷺ) وأخرجت كبده فلاكته ثم لفظته من فيها وقد مثلت به فقطعت مذاكيره وأذنيه ويده ورجله.

ثانياً: هزيمة المسلمين وانكسارهم بسبب عدوهم وراء الغنائم وعدم اطاعة أوامر نبيهم وهذا درس يسجله التاريخ لكافة المسلمين في كل وقت وعصر...

ثالثاً: كشفت هذه المعركة النقاب عن أهل النفاق وضعاف النفوس وميّزتهم عن غيرهم ممّن ثبت مع الرسول وأخلص لله جهاده.

رابعاً: اشتراك عنصر النساء في المعركة من كلا الجانبين، فقد اشتركت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية والتي كانت تذبّ عن الرسول (ﷺ) وضربت عمر بن قميئة بسيفها عدة ضربات إلا أنها لم تؤثر فيه إذ كان يرتدي درعين، وأما من جهة المشركين فاشتركت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وكذلك اشتركت عمرة بنت علقمة الكنانية رفعت راية قريش حتى لاذ بها المنهزمون ثانية.

٤٢٢.....الحسين سنام القرآن

خامساً: ممّن امتاز بهذه المعركة بفضيلة وشرف: الامام علي (عليه السلام)؛ لما انكسر سيفه ناوله الرسول سيفه المسمّى بذي الفقار فنادى جبرئيل في السماء: «لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار»، وكذلك نال حنظلة الأنصاري وساماً من الملائكة إذ غسّله لما استشهد حيث برز إلى القتال وهو جُنُب فسَمّي حنظلة غسيل الملائكة. وهناك احداث اخرى تطلب في مظانها...

الدليل الروائي

إنّ من أشهر مصاديق الآية الكريمة: ما ورد عن المعصوم (عليه السلام) في زيارة شهداء طُف كربلاء - رضوان الله عليهم - الذين قدّموا أنفسهم قرباناً لله سبحانه، وإعلاءً لكلمة الحقّ التي تمثّلت بالحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، والذي نذر نفسه أن يقف بوجه الظلم والانحراف المتمثّل برأس الخيانة والمنكر يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان، سلالة المُجُون والانحراف والكفر... فجاء في الزيارة: «السلام عليكم أيّها الرّبّانيّون، أنتم لنا فرط وسلف، ونحن لكم اتباع وأنصار، أشهد أنّكم أنصار الله كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَكَايِنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا...﴾».

وفي زيارة أخرى، وهي المشهورة أيضاً: «أشهد أنّكم أنصار الله كما قال الله عز وجل: ﴿وَكَايِنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾»، وما ضعفتُم وما استكتتم حتّى لقيتم الله على سبيل الحق.

وهنا يتجلّى للباحث والمتتبّع: أنّ أصحاب الحسين (عليه السلام) هم أفضل

الدليل الروائي..... ٤٢٣

بكثيرٍ من بعض أصحاب الرسول، بل قل أفضل من الجميع عدا المعصوم منهم؛ لأنَّ هؤلاء على قُلَّتْهم وكثرة جيوش يزيد بن معاوية، وللحصار الذي ضربه عمر بن سعد على الحسين وأصحابه ومنعواهم من الماء لمدة ثلاثة أيامٍ، وللأمنيات الكثيرة التي كان يمنيها عمر بن سعد ومن خلفه عبيدالله بن زياد ويزيد بن معاوية بغية الإغراء والتغريب بهؤلاء النخبة الطاهرة فمع ذلك فلم يتركوا الحسين (عليه السلام) وحيداً، ولم يضعفوا عن القتال، ولم يهنوا، وما استكانوا للعدو قط، بل كان أحدهم صلباً قوياً في إيمانه، لا تغريه غنائم، ولا يطمع بما يمني له يزيد وأتباعه، كما أنَّهم لم ينهزموا، ولم يلوذوا بالفرار، ولو شأوا ذلك لوجدوا من الزمان والمكان متسعاً لهم... فهل يوجد بعد هذا شك في الأفضلية؟

الفهرس.....٤٢٥

الفهرس

٩٠.....	تقريظ سماحة الأديب الأستاذ الشيخ جعفر الهلالي
١١.....	تقريظ الأديب الشيخ سعيد المنصوري
١٣.....	المقدمة
٢٧.....	القسم الأول - الردود
٢٩.....	١ - مع محمد إبراهيم الشيباني في مقدّمته
٣٩.....	المصادر التي تؤكد على كفر يزيد وأهم الجرائم التي ارتكبها
٦٩.....	٢ - مناقشة حمد العرينان في مقالته
٧٦.....	لوط بن يحيى في مصادر الشيعة
٧٨.....	أقوال علماء السنّة في لوط بن يحيى
٧٨.....	وثيقة لوط بن يحيى
٨١.....	٣ - مع الصالحيّ النجف آباديّ وكتابه «شهيد جاويد» (الشهيد الحيّ)
٨٥.....	ماذا من جديد في كتاب «شهيد جاويد»
٨٨.....	موقف العلماء من كتاب «شهيد جاويد»
٩٠.....	تساؤلات أم انحراف في العقيدة
١٠٤.....	الإمامة وعلم الإمام
١٠٤.....	الإمامة من خلال القرآن
١٠٦.....	الإمامة عند المسلمين
١٠٩.....	مجمال الحديث في الإمامة
١١٢.....	الخلاصة
١١٤.....	علم الإمام <small>عليه السلام</small>
١١٧.....	هوية بعض المصادر التي اعتمدها المصنف صالحيّ آبادي
١٢٧.....	القسم الثاني - السرقات

٤٢٦.....الفهرس

مع الركابي في سرقاته. ١٢٩.....

مع الشيخ الركابي وكتاب (وقعة كربلاء) المسروق من الأصل الفارسي
(شهيد جاويد)..... ١٣١

بيعة يزيد امتداد لبيعة الخلفاء الثلاثة ٢٠٥

بيعة أبي بكر (١١ هـ) ٢٠٥

أين كان أبو بكر لما توفى الرسول ﷺ؟ ومتى جاء إلى المدينة ٢٠٧

ماذا حدث بعد وفاة النبي ﷺ؟ ٢٠٨

لماذا سقيفة بني ساعدة؟ ٢٠٩

البيعة لأبي بكر تؤخذ بالسيف ٢١٢

بيعة عمر بن الخطاب ٢١٨

بوادر الشورى والبيعة لعثمان ٢٢٥

قرار الشورى يصنع الخليفة الثاني بعد السيف ٢٣٠

كيفية البيعة ليزيد بن معاوية ٢٣٤

خلاصة ما تقدم ٢٣٧

أما الشيعة الإمامية ٢٣٨

القسم الرابع -

نبذة مختصرة عن حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢٣٩

مراسلات بين الحسين عليه السلام وأهل الكوفة ٢٤٤

خروج الحسين عليه السلام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٤٨

وصية الامام الحسين بن علي عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية ٢٤٩

إخبار الرسول ﷺ بشهادة الحسين عليه السلام ٢٥٠

أقوال الرسول ﷺ في الحسين عليه السلام: «حسين مني وأنا من حسين» ٢٥٣

الحسين خير الناس جداً وجدةً وأباً وأماً ٢٥٩

٢٦٧.....	الفهرس
٢٦٠.....	من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين عليه السلام
	شدة حبّ النبي ﷺ للحسين عليه السلام : اللهم إني أحبّه فأحبّه وأحبّ من
٢٦٣.....	يحبّه.
٢٦٤.....	النكتة في التكبيرات السبع في صلاة العيدين.
٢٦٥.....	الرسول ﷺ يقبل الحسين عليه السلام
٢٦٦.....	فداء النبيّ حسيناً بابنه إبراهيم عليه السلام
٢٦٧.....	بكاء الحسين يؤذي النبيّ ﷺ
٢٦٨.....	إنّي قاتل بالحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً
٢٦٩.....	عذاب قاتلي الحسين عليه السلام ومن اشترك في قتله
٢٧٥.....	عظمة الحسين عليه السلام عند الله تعالى
٢٧٧.....	القسم الخامس الحسين سنام القرآن وترجمانه
٢٧٩.....	الآية الأولى
٢٨٢.....	جواب الفقرة الأولى
٢٨٥.....	جواب الفقرة الثانية
٢٩٣.....	جواب الفقرة الثالثة
٢٩٤.....	جواب الفقرة الرابعة
٢٩٥.....	جواب الفقرة الخامسة
٢٩٨.....	جواب الفقرة السادسة
٢٩٩.....	فصل في التوبة
٣٠٠.....	شروط التوبة
٣٠٢.....	تأويل الآية بالدليل الروائي
٣٠٤.....	الآية الثانية
٣٠٧.....	تأويل الآية والدليل الروائي من باب الجري

٤٢٨	الفهرس
٣١٠	الآية الثالثة
٣١٣	تأويل الآية والدليل الروائي
٣١٥	الآية الرابعة
٣١٦	تأويل الآية والدليل الروائي
٣١٨	الآية الخامسة
٣٢١	تأويل الآية والدليل الروائي
٣٢٢	الآية السادسة
٣٢٦	تأويل الآية والدليل الروائي
٣٢٧	الآية السابعة
٣٣٦	تأويل الآية والدليل الروائي
٣٤٠	الآية الثامنة
٣٤٥	تأويل الآية والدليل الروائي
٣٤٧	الآية التاسعة
٣٥٣	تأويل الآية والدليل الروائي
٣٥٥	الآية العاشرة
٣٥٩	تأويل الآية والدليل الروائي
٢٦١	نصوص من كتب السنة في الوقوف في وجه الحاكم الظالم
٢٧٧	الآية الحادية عشرة
٣٨٣	تأويل الآية والدليل الروائي
٣٨٥	الآية الثانية عشرة
٣٨٩	الدليل الروائي
٣٩٣	الآية الثالثة عشرة
٤٠٤	الدليل الروائي

٤٢٩.....	الفهرس.
٤٠٥.....	وصية الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> إلى أخيه محمد ابن الحنفية.
٤٠٦.....	الآية الرابعة عشرة
٤١٢.....	الدليل الروائي
٤١٤.....	الآية الخامسة عشرة
٤١٩.....	مجل قصة أحد وواقعته
٤٢٢.....	الدليل الروائي
٤٢٣.....	الفهرس.

صدر للمؤلف

- ١ - المرأة المعاصرة (الطبعة الرابعة)
- ٢ - شاعر العقيدة
- ٣ - شرح الأشباه
- ٤ - ملامح شخصية الإمام علي (ع) من كتب الجمهور
- ٥ - الميسر في علوم القرآن
- ٦ - الكليني وخصومه (محمد أبو زهرة) الحلقة الثانية
- ٧ - شبهة الغلو عند الشيعة
- ٨ - الحسين من خلال القرآن (الجزء الأول)
- ٩ - الكليني والكافي (أطروحة الدكتوراه)
- ١٠ - فصول من العقيدة
- ١١ - أهمية علم الرجال في العلوم الإسلامية (تحت الطبع)

الكتب المخطوطة

- ١٢ - الطب بين القديم والسنة
- ١٣ - عقائد وفرق
- ١٤ - الإعلام وأهميته بين الماضي والحاضر
- ١٥ - النقد الأدبي ومنهجه
- ١٦ - الأدب السياسي في صدر الإسلام
- ١٧ - مواقف شهد لها التاريخ
- ١٨ - فهرست مخطوطات المكتبة المستوية (٤ أجزاء)
- ١٩ - فلسفة الدعاء
- ٢٠ - العزلة بين السلب والإيجاب
- ٢١ - فضائل السور

